السماع عند الصوفية

"خاصة عند الغزالى"

تأليف

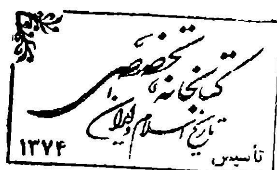
دكتورة / كوكب عامر

مدرس بكلية البنات .. جامعة عين شمس

١٩٨٨

السماع عند الصوفية

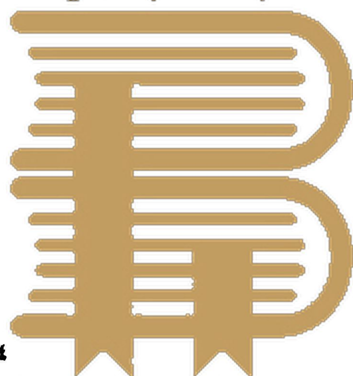
"خاصة عند الغزالى"



تأليف

دكتورة / كوكب عامر

مدرس بكلية البنات .. جامعة عين شمس



١٩٨٨

طبع فى

شركة اخوان رزيق

٢٠٤ شارع النزهة ـ مصر الجديدة

ت : ٢٤٥٠٤٩٦

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الفصل الرابع

الفصل الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ترجع أهمية هذا البحث عن السماع عند الصوفية وبخاصة عند الامام الغزالى الى انه يناقش قضية تستحق من الباحث فى الفكر الاسلامى بصفة عامة ،والفكر الصوفى بصفة خاصة ، وقفه ، لمعرفة حقيقة موقف الاسلام من الغناء وما اذا كان سماع الغناء على اختلاف اغراضه جائز شرعا ام انه لا يباح . خاصة وان الاراء قد تعددت وتناقضت حول تلك المسألة ، فمن علماء الدين من اباح سماع الغناء من غير كراهه ،ومنهم من اباحه مع الكراهة ،ومنهم من حرمه.

والسماع لا يقتصر فقط على الغناء وانشاد القصائد والموسيقى ،وانما يمتد الى سماع القرآن الكريم. وهذا النوع الاخير من السماع ليس هناك خلاف على حله واباحته اذ أن الله تعالى قد امر بسماعه والانصات له وتدبر معانيه فى قوله تعالى : " واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون " (سورة الاعراف ، آية ٢٠٤) . وانما كان الاختلاف حول ما يسميه الصوفية بالوجد عند سماعه كأن يغشى على المستمع او يصدر عنه صوت مرتفع او يصفق او يأتى بحركات غير عادية وغير ذلك مما يترتب على انفعال السامعين بسماع آيات الذكر الحكيم . فمن العلماء من يبيح ذلك ومنهم من ينكره ، ويرى ان الالتزام بالهدوء والاستماع فى خشوع وسكون الى القرآن فيه وقار وفيه اقتداء برسول الله (ص) وصحابته رضوان الله عليهم . الذين كانوا حينما

يسمعون القرآن يتلى لا يزيد وجدهم على البكاء فى صمت وخشوع ،وتقشعر جلودهم عملا بقوله تعالى : " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم " (سورة الزمر ،آية ٢٣) وقوله تعالى : " واذا سمعوا ما آنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع " (سورة المائدة ، آية ٨٣) .

وفى ايامنا هذه نجد ان الغناء والموسيقى قد ذاعا وانتشرا واصبح الشباب والشيوخ من الجنسين يقبلون على السماع بشكل ملحوظ .

ولاشك ان الانسان يستمتع بسماع الاصوات الجميلة والموسيقى العذبة والغناء المطرب للترويح عن نفسه وغسل هموم قلبه بين تضاعيف الجد وكثرة الاعمال والاعباء فالنفس تستلذ النغمات الطيبة وتستجيب لها وتنفعل بها انفعالا فطريا .

غير ان الانسان ايضا عليه الا يسرف فى الاستمتاع بالسماع ويمضى فيه جل وقته ويجعله اكبر همه فان ذلك يشغله عن الامور الهامة والاعمال الجادة ومنها ذكر الله والتعبد له .

وقد كان موضوع السماع محل اهتمام الباحثين من الصوفية وغيرهم قديما وحديثا فمنهم من افرد للسماع مصنفا كاملا . ومنهم من تناوله ضمن موضوعات اخرى فى مصنف او اكثر .

ومن بين من افرد له مصنفا خاصا " محمدبن طاهر القيسرانى " (٤٤٨ هـ - ٥٠٧ هـ) فى مصنفه (فى السماع)

وابن القيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١ هـ) فى مصنفه عن"السماع" وابن حجر الهيثمى فى " كف الرعاع عن محرمات السماع" وعبد الوهاب الشعرانى (٨٩٨ هـ ـ ٩٧٣ هـ) فى مصنفه كشف القناع عن وجه السماع " وعبد الغنى النابلسى (١٠٥٠هـ ـ ١١٤٣ هـ) فى مصنفه " ايضاح الدلالات فى سماع الالات " وغيرهم .

ومن بين من تناولوا السماع ضمن موضوعات اخرى فى مصنفاتهم ابن الجوزى البغدادى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) فى مصنفه (تلبيس ابليس) وشمس الدين محمد بن ابى بكر الزرعى الدمشقى المعروف بابن القيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١هـ) فى مصنفه و " مدارج السالكين " و " اغاثة اللهفان ". وابن حزم الاندلسى فى رسائله . والشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨ هـ) فى مصنفه " كلمات الصوفية " والسهروردى البغدادى فى (عوارف المعارف " و " آداب المريدين " وعبد الكريم بن هوزان القشيرى (٣٦٧ هـ ـ ٤٦٥هـ) فى مصنفه (الرسالة القشيرية فى علم التصوف). وابو نصر السراج الطوسى فى مصنفه (اللمع) وغيرهم الكثير مما يصعب حصره .

هذا الى جانب اقوال الصوفية المحققين فى السماع كالجنيد البغدادى وذو النون المصرى وابو يعقوب النهرجورى وابو علی الرزبارى وابو على الدقاق وابو اسحق ابراهيم الفيروزبادى المعروف بالشيرازى وغيرهم ممن وردت اقوالهم فى السماع فى كتب الطبقات وفى " الرسالة القشيرية " وفى " عوارف المعارف " و " احياء علوم الدين " وغيرها من كتب التصوف .

وقد اهتم الامام ابوحامد الغزالى[1] " المعروف بحجة الاسلام" (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ) بدراسة موضوع السماع فى الجزء الثانى من كتابه الكبير " احياء علوم الدين" فى الكتاب الثانى من ربع العادات . وكانت دراسة الغزالى للسماع دراسة وافية عرف فيها السماع ،ثم اوضح الاتجاهات المختلفة فيه ،وعرض لاراء المويدين والمعارضين له وذكر حجج من انكروا السماع ومالوا الى تحريمه ورد عليها ،وحدثنا عن السماع من طريق الغناء وسماع القرآن الكريم وتحدث عن الوجد واداب السماع والتزم فى ذلك بموقف من اباح السماع فى اطار اداب وشروط محددة ثم ابان عن العوارض التى تحرم السماع واثبت بالحجج النقلية والعقلية حل السماع واباحته محاولا احقاق الحق وازهاق الباطل فى كل ما قيل حول هذه المسألة . ولذلك كان رأى الغزالى فى السماع جديربالدراسة .

وقد انتهى من تلك الدراسة الى ان الغناء ليس محرما تحريما مطلقا ولا مباحا اباحة مطلقة وانما هو يحرم على من غلبت عليه الشهوة من الشباب الذين ينزلون ما يسمعون من غناء على من لا يحل لهم ،ولا يحرك سماع الغناء فيهم الا الصفات الذميمة الغالبة عليهم . وهو مكروه اذا اسرف الانسان فى الاستماع على سبيل اللهو، فيتخذ سماع الغناء عادة تشغله عن الجاد من الامور ،وهو مباح لمن يستمع طلبا للطرب والتمتع بجمال الصوت وطيب النغمات ،وهو مستحب لمن غلب على قلبه حب الله تعالى لان السماع لا يحرك منه الا الصفات المحمودة .

---

(١) انظر ترجمة الغزالى ،طبقات الشافعية للسبكى ،جـ ٤ ،ص١٠١ واتحاف السادة المتقين للزبيدى ،جـ١ ،ص٢ ،ووفيات الاعيان لابن خلكان جـ١ ،ص ٥٨٦ الى ص٥٨٨ ،وكتاب سيرة الغزالى واقوال المتقدمين فيه .تحقيق عبدالكريم العثمان ،دار الفكر ،دمشق .

وقد عبر الغزالى عن رأيه فى السماع باسلوب مهذب لم يجنح فيه الى تجريح المخالفين له فى الرأى مستخدما الفاظا معبرة واضحة بعيدة عن الغموض وافكار منظمة متسلسلة ،كما تجلت بوضوح ثقافته الدينية والفقهية من خلال عرضه للادلة الشرعية من الكتاب والسنه ،وهو فوق هذا كله يتناول الموضوع من خلال تجربته الذوقية الصوفية •

وقد قسمت هذه الدراسة الى خمسة فصول فبدأت بعد المقدمة بالفصل الاول الذى حاولت فيه اعطاء لمحة سريعة عن تاريخ الغناء والموسيقى ثم التعريف بالسماع واظهار العلاقة بينه وبين الموسيقى العربية وعلة طرب الارواح بالنغمات العذبة والغناء واختلاف درجات السامعين باختلاف احوالهم وتأثرهم بالنغمات والكلمات المغناه ثم حديث الصوفية والغزالى عن الوجد وهو ثمرة السماع والاداب التى يجب ان يلتزم بها فى مجالس السماع •

وفى الفصل الثانى ، تناولت سماع القرآن الكريم كما تبينته عند الصوفية وعند الغزالى موضحة انهم يعتبرونه سماع الكمل من القوم ثم تعليل الغزالى لطرب السالك المبتدىء بالنغمات وتأثره بها اكثر من انفعاله بايات القرآن الكريم •

وفى الفصل الثالث ، عرضت رأى من ذهبوا الى تحريم السماع والادلة الشرعية التى استندوا اليها فى ذلك موضحة رأى ائمة الفقه الاربعة مالك والشافعى واحمد بن حنبل وابو حنيفه وغيرهم ممن مالوا الى تحريم السماع

وفى الفصل الرابع ، تناولت الرأى المخالف الذى اباح اصحابه السماع وقالوا بجوازه شرعا وذكرت الادلة التى استندوا عليها من الكتاب والسنه .

وفى الفصل الخامس والاخير تناولت بالتفصيل موقف الغزالى من السماع وعرضت لرد الغزالى على الشافعى ورده على حجج القائلين بتحريم السماع ثم أدلة الغزالى على اباحة السماع ورأيه الخاص فيه .

واختتمت البحث بتعقيب وخاتمة ثم ثبت لأهم المراجع العربية والاجنبية .

والله الموفق ،،

كوكب عامر

القاهرة - مارس ١٩٨٨

الفصل الأول

سماع الموسيقى والغناء

- لمحة تاريخية عن الغناء والموسيقى
- تعريف السماع
- العلاقة بين السماع والموسيقى العربية
- علة طرف الارواح بالغناء والنغمات العذبة
- مقامات السامعين في :
  (١) الفهم .
  (٢) الوجد .
- آداب السماع .

الفصل الأول

سماع الموسيقى والغناء

(١) لمحة تاريخية عن الغناء والموسيقى

يعتبر الغناء فن من الفنون العريقة التى لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات فى كل بقاع العالم ايا كانت درجة تقدمه أو تخلفه الحضارى . فلكل مجتمع غناء والحان موسيقية خاصة به متميزة عن نظيراتها فى المجتمعات الاخرى.

وقد عرف الانسان الغناء منذ فجر التاريخ فقد ذكر " أبو جعفر الطبرى " ان الذى اتخذ الملاهى رجل من ابناء " قابيل " بن " آدم" أبو البشرية يقال له " ثوبال " اما الات اللهو " اى الالات الموسيقية " فاتخذت فى زمان "مهلائيل" ابن" قينان" وكانت من المزامير والطبول والعيدان. فانهمك ولد قابيل فى اللهو . وتناهى خبرهم الى من بالجبل من نسل " شيث " فنزل منهم قوم وانتشر اللهو والغناء وفشت الفاحشة وشرب الخمر(١) .

واذا صحت هذه الرواية فان الانسان الاول يكون قد عرف الغناء والموسيقى منذ بداية الخليقة .

ومحاولة تحديد نشأة الغناء والموسيقى تحديدا تاريخيا صارما أمر ليس باليسير حيث ان الغناء والموسيقى كانا لهما نشأة بدائية بسيطة ، ثم تطورت على مر الازمان والعصور. بل ان هناك من ذهب الى ان محاولة تحديد نشأة الغناء مجهود ضائع وهدف لا يمكن الوصول اليه (٢) .

---

(١) ابن الجوزى البغدادى : تلبيس ابليس ، ص ٢٢٢.

(٢) ابن القيسرانى : السماع .تحقيق أبو الوفا المراغى، ص ١٢.

للغناء والموسيقى اذن تاريخ طويل منذ العهود البعيدة وقد عرفه أصحاب الحضارات القديمة مثل قدماء المصريين واليونانيين والفرس . كما الف الفيثاغوريون كتبا فى الموسيقى ووضعوا لها اصولا نظرية . كذلك صنع أصحاب حضارة سبأ فى اليمن والغساسنة فى الشام والمناذرة فى العراق وكانت موسيقاهم أرقى من موسيقى البدو فقد اصطنعوا من آلات العزف العود والطنبور والمعزف والمزمار وآلات ضبط الوزن والدفوف والصنج (١) .

وقد كان البدوى فى الجاهلية شاعرا بطبعه بغير علم ولا صناعة يتغنى بالرجز لبساطة تفاعيله وهو غناء قريب من الحداء يحدو به للابل وبذلك كان الحداء أصل الغناء العربى كما ظهر منه النصب وهو الغناء المرتجل (٢) .

وكان الغناء فى بداية الامر غير مصحوب بالالات الموسيقية ثم رئ لزيادة تحسينه أن تصحبه الالات الموسيقية (٣) فظهرت الالات على اختلاف انواعها واختلاف ترتيبها التاريخى وبدأت فى صورة بدائية بسيطة ، ثم تطورت وتنوعت واصبحت على مر العصور فنا وعلما متقدما حتى ان الكثير منها الان يعمل بالكهرباء . كما يستخدم الكومبيوتر فى عزف العديد من الالحان الموسيقية .

---

(١) انظر الاصفهانى . الاغانى . ج ٤ ، ص ١٢ .
(٢) انظر د. أحمد فؤاد الاهوانى . الكندى فيلسوف العرب ، ص ٦١ (القاهرة ١٩٦٤).
(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٢٨ .

وارتبط الغناء بالشعر[1] وصار الشعر الغنائى أكثر الاشعار انتشارا واغناها بالمعانى المحببة الى النفس المثيرة للخيال واقربها الى القلوب .

ويذهب اخوان الصفا الى أن أصحاب النواميس الالهية من الحكماء استعملوا الموسيقى والغناء فى الهياكل وبيوت العبادة وعند القراءة فى الصلاوات ،وعند تقديم القرابين والتضرع والبكاء. كما كان يفعل داود النبى عليه السلام عند قرأءة مزاميره . وكما يفعل النصارى فى كنائسهم. كما تغنى المسلمون بالقرآن فى مساجدهم من طيب النغمة ولحن القراءة . فان كل ذلك لرقة القلوب ولخضوع النفوس ولخشوعها والانقياد لاوامر الله تعالى ونواهيه والتوبة اليه من الذنوب والرجوع اليه سبحانه وتعالى باستعمال سنن النواميس كما رسمت[2] .

---

(١) يذهب اخوان الصفا الى ان ميزان الشعر وقوانينه مماثلة لقوانين العروض الذى يعرف به المقاطع الثمانية فى الاشعار العربية وهى "فعولن ،مفاعيل ،مستفعلن، فاعلاتن ،فاعلن ،مفعولات ،مفاعلين " وهذه الثمانية مركبة من ثلاثة أصول وهى" السبب ،والوتد ،والفاصلة" وكذلك قوانين والالحان ثلاثة اصول وهى " السبب ، والوتد،والفاصلة" فأما السبب " فنقرة متحركة يتلوها سكون مثل قولك تن تن تن تن ويكرر دائما و" الوتد"ثلاث نقرات متحركة يتلوهاسكون مثل قولك تنن تنن تنن ويكرر دائما و" الفصلة "ثلاث نقرات متحركة يتلوهاسكون مثل قولك تننن تننن تننن تننن فهذه الثلاثة هى الاصل ، أنظر اخوان الصفا ، ج ١، ص ١٤٤، الرسالة الخامسة فى الموسيقى .

(٢) اخوان الصفا، الرسالة الخامسة فى الموسيقى،ج١،ص ١٣٥.

كذلك ذهب اخوان الصفا الى ان أحد الاسباب التى دعت الحكماء الى وضع النواميس واستعمال سننها هو ما قدح لهم من موجبات أحكام النجوم من السعادات والمناحس عند ابتداء القرانات وتحاويل السنين من الغلاء او الرخص او الجدب او الخصب او القحط او الطاعون والوباء او تسلط الاشرار والظالمين وماشاكلها من تغيرات الزمان وحوادث الايام فلما تبين لهم ذلك طلبوا حيلة تنجيهم منها ان كانت شرا وتوفر حظهم فيها ان كانت خيرا ، فلم يجدوا حيلة انجى ولا شيئا انفع من استعمال سنن النواميس الالهية التى هى الصوم والصلاة والقرابين والدعاء عند ذلك بالتضرع الى الله تعالى . بالخشوع والخضوع والدعاء والبكاء والتوبة والانابة ليكشف عنهم ما قد توجبه او اوجبته احكام النجوم من المناحس والبلاء . وكانوا يستعملون عند الدعاء لله والتسبيح والقراءات الحانا من الموسيقى تسمى" المحزن"(١) .

وكانت تلك الموسيقى ترقق القلب وتبكى العين وتكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب واخلاص السرائر واصلاح الضمائر فهذا فى رأى اخوان الصفا ، كان أحد اسباب استخراج الحكماء للموسيقى واستعمالها فى الهياكل وعند القرابين والدعاء والصلاوات .

كما استخرجوا لحنا اخر يسمى " المشجع " كان يستعمل فى الحروب والهجاء وهو يكسب النفس شجاعة واقدام .

واستخرجوا لحنا يستعمل عند الاعمال الشاقة والصنائع المرهقة مثل ما يستعمله الحمالون والبناؤن واصحاب المراكب يخفف عنهم تعب الابدان والنفوس .

---

(١) اخوان الصفا . الرسالة الخامسة فى الموسيقى ،ج ١ ،ص ١٣٥ .

ووضعوا ايضا الحانا اخرى تستعمل عند الفرح واللذة والسرور فى الاعراس والولائم .

كما وضعوا الالحان التى تخفف على الحيوانات ثقل أحمالها مثل الحداء[١] الذى يستعمل لتنشيط الابل فى السير ويخفف عنها الاحمال ،كما يستعملها رعاة البقر والخيل والغنم عند ورودها الماء ترغيبا لها فى شرب الماء. كما يستعملون لها الحانا اخرى عند هيجانها والحانا اخرى عند حلب البانها لتدره . كما يستعمل صياد الغزلان والطيور الحانا يوقعها بها .

وتغنى الام لطفلها حتى يكف عن البكاء ويخلد الى النوم[٢] وهكذا تعددت الالحان وانتشر الغناء وصحبته

---

(١) يذهب ابن الجوزى البغدادى الى ان اصل الحداء ما أنبأنا به يحى بن حسن بن البنا عن ابى جعفر بن المسلمه عن المخلص عن احمد بن سليمان الطوسى عن الزبير بن بكار عن ابراهيم بن المنزر عن ابى البحترى وهب عن طلحة المكى عن بعض علمائهم ان رسول الله (ص) مال ذات ليلة بطريق مكة الى حادمع قوم فسلم عليهم فقال: ان حادينا نام فسمعنا حاديكم فملت اليكم فهل تدرون انى كان الحداء؟ قالوا: لا والله .قال: ان آباهم مضر خرج الى بعض رعاته فوجد ابله قد تفرقت فاخذ عصا فضرب بها كف غلامه ففر الغلام فى الوادى وهو يصيح" يا يداه . يا بيداه "فسمعت الابل ذلك فعطفت عليه (اى جاءت نحوه) فقال مضر: لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت. فاشتق الحداء -انظر تلبيس ابليس ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢) رسالة اخوان الصفا فى الموسيقى ، ج ١ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

الموسيقى وأقبل الناس في كل زمان ومكان على سماعها والاستمتاع بها لما لها من تأثير في نفوس الانسان والحيوان.

من ذلك ترى ان الغناء ظاهرة انسانية فهي كما يقول الغزالي اللذة الخاصة بحاسة السمع كما لكل حاسة من حواس الانسان لذة خاصة بها كما سنرى بعد .

ويذهب ابن خلدون الى ان الغناء يحدث في العمران اذا توفر وتجاوز حد الضروري الى الحاجي ثم الى الكمال حيث ان الغناء والموسيقى في رأى ابن خلدون لا يستدعيهما الا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية اللازمة للمعاش فلا يطلبها الا الفارغون من سائر احوالهم تفننا في مذاهب الملذوذات(١) .

ويذهب ابن خلدون ايضا الى ان الفرس برعوا في الموسيقى وكان ملوكهم يهتمون بها ويولعون بها فاهتموا بأهل هذه الصناعة وكان لهم مكانة خاصة في دولتهم. وقد ازدهر فن الموسيقى عند الساسانيين فبلغ شأوا بعيد المدى.

وكان اهتمام الفرس بالموسيقى في دينهم ودنياهم ولذلك شواهد عدة تطالع من نظرة في تاريخهم او شدا شيئا من آدابهم(٢) .

وفي تركيا ازدهرت الموسيقى والغناء وخاصة في عهد السلطان سليمان القانوني الذى عم فيه الرخاء واستبحر العمران . وكان هذا السلطان رائد نهضة ادبية وعلمية هي أسمى نهضة عرفها الترك في الاداب والعلوم . وبلغ الشعر في

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ ، ص ٣٣٨ .

(٢) د.محمد مجيب المصري. فارسيات وتركيات ،ص ٥٧ وانظر له ايضا. صلات بين العرب والفرس والترك ، ص ٢٦٢.

عهده الشأو البعيد، وكان شعر العصور المتقدمة يجرى على نسق واحد ويكرر المعنى ،واقترن شعر الحضارة التركية بالموسيقى والغناء[١] فهناك صلات وطيدة بين الشعر والموسيقى والغناء .

وقد تأثر الترك بالموسيقى الفارسية فتعلموا منهم من فنون الموسيقى والغناء ما لم يكن لهم به علم. وهذا يبدو واضحا مما نلاحظه على أسماء النغمات والمصطلحات الموسيقية عند الترك فنجد معظمها فارسى ومن اظهر الامثلة على ذلك " گاه " بمعنى مقام عند الموسيقيين وهى من" كا تا" بمعنى الاغانى وهو اسم جزء من كتاب مقدس لدى الفرس يسمى " بالابستاق " ودخلت فى الفهلوية فاصبحت " گاس " ثم تطورت فى الفارسية الحديثة الى " گاه "[٢] ويقال انها تلحق باعداد فارسية فتصبح " دوگاه " و " سه گاه " و " جهارگاه " على سبيل المثال فيسبقها العدد اثنان وثلاثة واربعة ولهذا دلالة فى مصطلح الموسيقى[٣].

كذلك كلمة " بشرو " وهى فى الاصل كما يقول الدكتور المصرى بمعنى" المتقدم " و " الراشد " اما عندالموسيقيين فتعنى مقدمة موسيقية وتنطق فى العامية المصرية (بشرف)[٤].

---

(١) دقائق رشاد : تاريخ آدبيات عثمانية ، ص ٢٦٩.برنجى جلد (استانبول) .

(٢) انظر د. محمدمجيب المصرى . صلات بين العرب والفرس والترك ،ص ٤٤٨ وانظر له ايضا كتاب ٪ فارسيات وتركيات ،ص ٥٨ (القاهرة سنة ١٩٤٨).

(٣) د. مجيب المصرى . صلات بين العرب والفرس والترك،ص٤٤٩.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة .

وقد أخذ المصريون هذا عن الاتراك الذين آخذوه من قبل عن الفرس . ومن المعازف التى عرفها الترك " الناى " و" الكمان " والكلمتان فارسيتان ، الاولى بمعنى القصبة والاخرى بمعنى القوس . كما يسمى الفرس هذا المعزف " كمانجه " بمعنى القوس الصغيرة ،وهى نفس الكلمة فى العامية المصرية وان نطقت بكيفية مختلف عن اصلها الفارسى شيئا ما (١).

اما العرب فى الجزيرة العربية فكان الشعر له مكانة عظيمة عندهم فى الجاهلية ولذلك جعلوه ـ كما يقول ابن خلدون ـ ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم واصلا يرجعون اليه فى الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم (٢).

وكان رؤساء العرب منافسين فى الشعر فكانوا يقفون فى سوق عكاظ بمكة لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر ـ حسب تعبير ابن خلدون ـ وعلقوا اشعارهم باركان البيت الحرام موضع حجهم . ثم انصرفوا عن الشعر فى اول الاسلام لانشغالهم بامر الدين والنبوة والوحى لما أدهشهم من اسلوب القرآن ونظمه (٣).

وعندما أستقر لهم الامر ولم ينزل الوحى بتحريم الشعر وحظره وسمعه النبى صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه ، وكان لعمر بن ابى ربيعة كبير قريش مقامات فيه عالية وكان كثيرا ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه معجبا به (٤).

---

(١) د.حسين مجيب المصرى، صلات بين العرب والفرس والترك، ص ٤٤٩.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ج ٤ ، ص ١٢٩٠.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣١٢.

وقد تغنى العرب بالشعر وعرفوا الحداء للابل وكان الفتيان فى فضاء خلواتهم يتفنون به ويترنمون ويسمعون الترنم اذا كان بالشعر غناء(١).

ثم انتشر الاسلام فى بلاد العجم وكان العرب من البداوة والقضاضة على الحال التى عرفت لهم... فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه وصاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ اقبل المغنون من الفرس والروم الى الحجاز وصاروا موالى العرب وغنوا جميعا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير وسمعوا العرب تلحينهم للاصوات فلحنوا عليها اشعارهم(٢).

فقد كان فن الموسيقى عند العرب قبل الاسلام بدائيا واختلف اختلافا جوهريا عنه بعد الاسلام .

وقد حدثنا الفارابى عن الالحان الموسيقية فى الجاهلية ولا يستبعد أن يكون ما اشار اليه الفارابى بقايا الحان قديمة للعرب قبل الاسلام(٣) وأياما كان الامر فليس هناك شك فى أن العرب قد تأثروا فى هذا الفن بالفرس وان هناك صلات قوية قد قامت بينهم فى فن الغناء والموسيقى(٤).

ويرى ابن خلدون انه لم تكن امة من الامم اولع بالطرب والملاهى والاغانى بعد الفرس والروم من العرب (٥).

---

(١) ابوفرج الاصفهانى / الاغانى ،ج ١ ،ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) مهدى بركشلى : موسقى در دوره ساسانى ، ص ٩ ،١٠ طبع (تهران ١٣٢٦ م).

(٤) د.حسين مجيب المصرى ،صلات بين العرب والفرس والترك ص ٢٦٣ .

وقد اشتهر بالغناء فى الجاهلية " أعشى قيس " الذى كثيرا ما كان يفد على بلاط الحيرة وبلاط كسرى والتقى " بأنو شروان " فى المدائن وقد اورد فى شعره كثيرا من الالفاظ الفارسية ووصف مجالس الانس عند الفرس .

وتغنت القيان فى الحانات بالحان فارسية وروميـة واما اللغة فكانت عربية احيانا وفارسية ورومية احيانا اخرى ومن العلماء من ذهب الى انهن كن يتغنين بلغتهم الفارسية واليونانية لا العربية [١] غير ان الدكتور حسين مجيب المصرى يقول " وفى رأى ان العرب لا يمكن ان يرضوا استماع الشعر العربى من فم اجنبى والذى نذهب اليه فى ذلك ان هذا لا يمكن القطع فيه برأى وان كان الاقرب الى الصواب أن يكون هذا الغناء فارسى أو رومى اللحن عربى اللغة بدليل ان الاعشى مثلا كان يتغنى بشعره العربى مقلدا الفرس فى الحانهم ولا نعرف عنه انه غنى بالفارسية " ولعل بعضهم كن يغنين بلسانهن" [٢].

ويقال ان اول من غنى على العود بالحان الفرس " النضر بن الحارث بن كلدة " . وفد على كسرى فتعلم ضرب العود والغناء ، وقدم مكة . كما كان من اوائل من تغنى فى الاسلام بالحان الفرس " سعيد بن مسجح" وذلك ان عبدالله ابن الزبير لما وهى بناء الكعبة جدد بناءها وكان فيها صناع من الفرس يغنون بالحانهم فوقع عليها ابن مسجح الغناء او الطرب العربى [٣].

---

(١) انظر: Farmer: A History of Arabic Music. p. 12. (London, 1929)

(٢) د.حسين مجيب المصرى ،صلات بين العرب والفرس والترك ص٢٦٣.

(٣) انظر: النواجى: حليت الكميت ،ص ١٨١، ٢٦٤، (القاهرة ١٢٩٩)

ومن المعازف التى عرفها العرب عن الفرس " البربط" وهو " العود " ويقول لغويو العرب فى تفسير معنى الكلمة انها من " بر " بمعنى " صدر " و " بط " بمعنى الطائر المعروف فكأنها بمعنى " صدر البط " و الصحيح أن هذا المعزف قد سمى باسم " بربد " او " باريد " وهو اسم مطرب مشهور " لكسرى برويز " وقد صنع " باريد " هذا ثلثمائة وستين لحنا " لكسرى برويز " وكان رأيه فى الموسيقى قانونا يلتزمه الموسيقيون جميعا وكلهم اخذ عنه مقتد به (١)

كما عرف العرب من الفرس آلة " الصنج " ذات الاوتار وقد استعار العرب من الفرس كلمة " دستان " وهو موضع الاصابع من العود والطنبور كما سموا الوتر الاول والرابع " الزير " و " اليم " غير انهم لم يغيروا اسم الوتر الثانى والثالث وهما " المثنى " و " المثلث "(٢).

وقد كان الفرس اشهر من تغنوا وعزفوا الموسيقى بين العرب ومن المغنين الفرس اسماء عديدة نجدها مدونة فى كتاب الاغانى للاصفهانى(٣).

وقد اخذ العرب عن الفرس كلمة " خيناكر " و" خناگر " بمعنى المغنى والموسيقى وصاغوا منها فعل عربى الوزن هو " خنكر " او " غنى "(٤) فيقال " يخنكر " اى " يغنى ".

---

(١) انظر : Christensen: L'Empire des Sassanides. p. 104 (Kovenhavn, 1907)

(٢) انظر : Farmer: A History of Arabic Music. p. 70. (London, 1929)

(٣) انظر . الاصفهانى . الاغانى ، ص ٣٧٨، ٣٧٩، ج ١ (القاهرة ١٩٢٥).

(٤) انظر : النويرى: نهاية الارب ، ص ٣٦٨ ، ج ٤ القاهرة ١٩٣٥).

وما زالت صناعة الغناء تتدرج عند العرب حتى اكتملت في آيام بني العباس عند " ابراهيم بن المهدى " و" ابراهيم الموصلى " وابنه " اسحق " وابنه " حماد " وكان ذلك فى دولتهم ببغداد(١).وكان الغناء سبيلا الى جوائز الخلفاء وصلاتهم التى كانت تكاد تخرج عن حد التصديق فقد قال ابراهيم بن جامع : " اخذت من الرشيد ببيتين غنيته اياهما عشرة الاف دينار(٢). واكتظت المدينة بدور اللهو والغناء التى كانت تطلب دائما شعرا تغنيه مغنياتهم ومغنيهم وكانوا اذا فقدوه فى المدينة طلبوه فىشعر البادية(٣).

وكانت مكة تنافس المدينة فى الغناء وان كانت نهضتها قد جاءت متأخرة عن نهضة المدينة ومستمدة منها ومتأثرة بها وكان من ابرز الشعراء فى مكة عمر بن ابىربيعه الشاعر الغنائى . وقد جرف تيار الشعر الغنائى شعراء المدينة حتى الفقهاء والمحدثين " فعروة بن اذينه " كان معدودا من الفقهاء والمحدثين ومع ذلك نظم الشعر الغنائى بل غنى بما كان ينظمه فيه وله فيه اصوات معروفة كما ورد فى كتاب الاغانى(٤).

وكذلك عبيدالله بن عبدالله بن عتبة وهو احد الفقهاء السبعة المقدمين بالمدينة(٥).

---

(١) ابوفرج الاصفهانى ، الاغانى ، ج ١ ،ص ١٢ ،(القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م).

(٢) النويرى : نهاية الارب ،ج ٤ ،ص ٢٩٩ .

(٣) انظر: د.شوقى ضيف ، الشعرالغنائى فى المدينة من ص ١٤١:ص ١٤٨ .

(٤) انظر: الاصفهانى، الاغانى ،وانظر ايضا ابن القيسرانى ، كتاب السماع تحقيق ابوالوفا المراغى ،ص ١٤(القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م).

ومازال الشعر الغنائى والغناء ينمو ويزدهر وارتبط بالادب الرقيق وزاحم فنون الشعر واقبل عليه الجمهور ومما ساعد على ذلك ، اتصاله بالطبيعة البشرية وميلها اليه استرواحا من هموم الحياة واثقال العيش ، ولعذوبة موسيقاه ووضوح معانيه وسهولة الفاظه مما قربه الى العامة وسلكهم مع الخاصة فى استساغته وتذوقه . هذا مع تطور القيم فى المجتمعات التى اصبحت تنفر من الملق فى شعر المديح وتستكره الفحش والاقراع فى شعر الهجاء ، واصبح التفاخر بالماضى ضربا من استجداء الاموات . وجرى الشعر الغنائى على السنة الناس يلتقطونه من افواه المغنيين ما يتفق مع أذواقهم (١).

ويقول الدكتور الاهوانى : " فى هذا الجو الفنى المعبق بعبير الغناء والموسيقى المملوء بالمناقشات الحامية حول محاسن الالحان ونقدها وتقديرها والمنازعات الشديدة حول تمسك بقديم عربى مأثور ومحافظة عليه واتباعه او تحرر وتجديد،واخذ بموسيقيات الفرس والروم وبخاصة بعد ترجمة كتب اليونان فى الموسيقى ظهر " ابو يوسف يعقوب الكندى " يفصل علميا فى المناقشات ويشد ازر الروح العربية ويضع للمغنيين والموسيقيين الاصول النظرية التى تبنى عليها انواع الغناء والالحان الموسيقية بما يكفل لها ان تكون سبيلا واضحا مضبوطا للمتعلمين "(٢).

وقد اعتبر " الكندى" صاحب اول مدرسة للموسيقى فى الاسلام كما اعتبر" اسحق الموصلى" صاحب اول مدرسة للغناء ثم تطورت مدرسة " الكندى" على يد " الفارابى" الذى الف

---

(١) ابن القيسرانى: السماع . تحقيق ابو الوفا المراغى، (القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) انظر : د. احمدفؤاد الاهوانى: الكندى فيلسوف العرب ، ص١٦٥ .

كتاب " الموسيقى الكبيرة " ووضع فيه اسس التعاليم الصوتية . وبلغت المدرسة ذروتها عند "الشيخ الرئيس ابن سينا " الذى فصل فى كتابه " جوامع علم الموسيقى" فصلا تاما بين الموسيقى كعلم والموسيقى كفن وصنعة .

غير ان كتب الكندى ظلت النبراس الذى استضاء به كل من جاء بعده والتى من اشهرها كتاب " فى خبر صناعة التأليف وكتاب " المصوتات الوترية " وكتاب " فى اجزاء خبريه فى الموسيقى " وكتاب فى " فى تأليف النغم وصناعة العود" ثم كتاب "الرسالة الكبرى فى التأليف "(١).

وكان لتلك المؤلفات وغيرها مساهمة عظيمة فى تقدم علم الموسيقى لدى العرب .

واذا كان العرب قد ترجموا(٢) مصنفات اليونان فى الموسيقى فى عهد الكندى واطلع عليها الا انه سار على ترتيب موسيقى مخالف لها وقد اعلن ذلك فى قوله فى كتاب " فى اجزاء خبريه فى الموسيقى " : " سألت ايضاح اصناف الايقاعات وكميتها ،وكيفية ترتيبها وازمانها وكيفية استعمال الموسيقى لها فى الزمن المتاح اليها فيه : اذ كان أهل العصر من اهل هذه الصناعة الاغلب عليهم لزوم العادة لطلب موافقة من حضرهم عند استعمالهم من اليونانيين من استعمالها على حسب الترتيب الاوجب فيها فرأيت اجابتك الى هذا(٣).

---

(١) د. الاهوانى.الكندى فيلسوب العرب وانظر ايضا د.محمد احمد الحفنى - سلسلة فى تراثنا الموسيقى (القاهرة ١٩٥٩) - حقق الاستاذ/زكريا يوسف الرسالة الكبرى فى التأليف" كما نشر بحثا صغيرا بعنوان "موسيقى الكندى" (بغداد ١٩٦٢ م).

(٢) انظر:فارمر:تاريخ الموسيقى العربية .ترجمة د.حسين نصار (القاهرة ١٩٥٦).

(٣) [illegible]

ويرى الدكتور الاهوانى ، ان هذا النص يوضح كيف ان " الكندى " يحمل لواء القومية العربية فى وجه التيارات الاجنبية وبخاصة التأثير اليونانى، فنحن نعرف ان مؤلفات اليونان مثل" ارستكسينوس " و " اقليدس " و " بطليموس " و " نيقوماخوس " الموسيقية قد ترجمت فى عصر" الكندى " ولكنه يعلن فى غير مواربة انه ينبغى السير بترتيب موسيقى يخالفها • وقد ذكر فى اخر رسالته الكبرى ما يؤيد ذلك ويدل على معرفته بمذاهب الامم الاخرى فى الموسيقى وانه التزم بالقوانين العربية (١) •

ولاشك ان الكندى كان مدركا للذوق العربى فى الموسيقى وما يطرب العرب من الحان وانغام وما لا يتناسب مع ذوقهم العربى الذى له طابع متميز • ومن الملاحظ ان لكل شعب من شعوب العالم ذوقه الموسيقى الخاص به • واذا كان العرب قد اخذوا شيئا من موسقى الفرس او تأثروا بالموسيقى اليونانية الا ان الموسيقى العربية كان لها طابع خاص تميزت به •

وقد لاحظ " الكندى" تلك الفوارق المزاجية بين الشعوب واوضح كيف ان كل شعب يطرب لسماع آلة موسيقية بعينها وقال ما نصه : " فان الفارسى يطرب بالاراثمين والناقوس والهندى والرومى لا يطرب بالطنبور الخراسانى" (٢) •

وهو يرد هذا الخلاف فى استعمال الالات المصوتة سواء بالنقر او العزف او الاوتار الى طبيعة البيئة التى تؤثر فى صور الالات كما تغير صور اهل تلك البلاد واخلاقهموعاداتهم

---

(١) انظر:د• الاهوانى ،الكندى فيلسوف العرب ،ص ١٦٧ •

(٢) انظر كتاب الكندى ـ المصوتات الوترية من ص ٧٢ :٨٠ حيث يتحدث الكندى بالتفصيل عن مذاهب كل امة واثر ذلك فى

ولغاتهم. ففى الهند يستعملون آلة ذات وتر واحد تسمى " كنكة " وفى خرسان ونواحيها يستعملون آلة ذات وترين لانهم كانوا من الاثنينية ويعتقدون ان العالم وما فيه لا ينفك من الاثنينية (ليل ونهار - حركة وسكون - خير وشر) وقد شدوا على الالة ذات الوترين سبعة دساتين او اكثر لتنتقل عليها اصابع اليد. والروم الذين يعتقدون بثلاث مبادئ فقد صنعوا آلة شدوا عليها ثلاثة اوتار وثلاثة دساتين . اما الروم الذين اعتقدوا فى العناصر الاربعة فقد شدوا على العود اربعة اوتار وهى الالة الاكثر استعمالا عند الخاصة والعامة "(١)

وقد قسم الكندى الموسيقى الى بابين كبيرين هما: الالحان والايقاع . وتحدث عن كل قسم بالتفصيل وعمل نوتة موسيقية سار عليها الفارابى وابن سينا ومن جاء بعدهما(٢).

كذلك كان لاخوان الصفا ابحاث ودراسات فى الموسيقى واثرها على الارواح والابدان وقد خصصوا الرسالة الخامسة من رسائلهم فى الموسيقى ولم يغفلوا فيها شيئا يتعلق بالموسيقى دون ان يتعرضوا له وهم يتفقون مع الكندى فى ان لكل امة من الناس الحانا ونغمات يستلذونها ويفرحون بها لا يستلذون غيرها ولا يفرح بها سواهم مثل غناء الديلم والاتراك والاعراب والارمن والزنوج والفرس والروم وغيرها من الامم المختلفة الالسن والطباع والاخلاق والعادات(٣).

---

(١) انظر الكندى : المصوتات الوترية من ص ٧٢ : ٨٠ وانظر ايضا د. احمد فؤاد الاهوانى . الكندى فيلسوف العرب ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) انظر: ابن سيناء جوامع علم الموسيقى ،ص ٨١ ،د. احمد فؤاد الاهوانى،الكندى فيلسوف العرب ،ص ١٨٠ ، ١٨١.

(٣) اخوان الصفا رسالة فى الموسيقى ،ج ١ ،ص ١٤٣ .

واذا صح هذا الحكم الى درجة كبيرة الا انه ليس بالحكم المطلق فان لكل امة موسيقى خاصة بها والحان مميزة غير ان ذلك لا يعنى ان أهل كل امة لا يطربون الا لموسيقاهم واغانيهم الوطنية وانما قد يطرب العربى لسماعه الغناء والموسيقى الهندية او الغربية ويقبل على سماعها وهذا هو الملاحظ فعلا الى جانب حبه وطربه للموسيقى العربية .

اما أهل الاندلس فقد شاع الشعر فى قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنسيق فيه للغاية وتغنى به المطربين والمطربات واستحدث المتأخرون منه فنا سموه " بالموشح" ينظمونه اسماطا اسماطا واغصانا اغصانا يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويلتزمون عند قوافى تلك الاغصان واوزانها متتالية فيما بعد الى اخر القطعة (١).

وكان من اعلام الموشحين فى الاندلس " ابن زهر" و " ابن بقى " و " ابوبكر الابيض " والحكيم الفيلسوف " ابوبكر بن باجة" صاحب التلاحين المعروفة . ومن الحكايات المشهورة عن " ابن باجة " انه حضر مجلس مخدومه " ابن تيفلويت " صاحب " سرقسطة " فالقى بعض قيناته موشحه قال فى مطلعها :

جرر الذيل أيما جر ‏ ‏ ‏ ‏ وصل الشكر منك بالشكر

فطرب الممدوح لذلك . فلما ختمها بقوله :

عقد الله رآية النصر ‏ ‏ ‏ ‏ لامير العلا ابى بكر

فلما طرق ذلك التحلين سمع " ابن تيفلويت " صاح واطرباه وشق ثيابه وقال : " ما أحسن ما بدأت وما ختمت .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق د.على عبد الواحد وافى ، ج ٤ ، ص ١٣٢٧ (القاهرة ١٣٢٨ هـ / ١٩٦٢ م) .

وحلف بالايمان المغلظة لا يمشى " ابن باجة " الى داره الا على الذهب . فخاف الحكيم" ابن باجة " سوء العاقبة . فاحتال بأن جعل ذهبا فى نعله ومشى عليه [١].

ولما شاع فن التواشيح فى أهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع اجزائه نسجت العامة من أهل الامصار على منواله ونظموا فى طريقته بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيها اعرابا . واستخدشوا فنا سموه " بالزجل " والتزموا فيه بالنظم على مناحيهم فجاء وافيا بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم [٢].

وقد تصور الكندى ان هناك علاقة بين الانغام الموسيقية السبع وبين الكواكب السبعة الجارية فجعل - مطلق البم [٣] يناظر زجل :

- وسبابة البم يناظر المشترى .
- ووسطى البم يناظر المريخ .
- وخنصر البم يناظر الشمس .
- وسبابة المثلث [٤] يناظر الزهرة .
- ووسطى المثلث يناظر عطارد.
- وخنصر المثلث يناظر القمر .

---

(١) ابن خلدون ،المقدمة ،تحقيق د.على عبدالواحد وافى ، ج ٤ ،ص ١٣٢٦ (القاهرة ١٣٢٨ هـ / ١٩٦٢ م).

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٤٠ .

(٣) اوتار العود اربعة وهى من الغلظ الى الحدة -(البم - المثلث - المثنى - الزير). وهى تسمى اليون (عشيران - دوكاه - نوى - كردان) والبم وتر من امعاء وهو رقيق متساوى الاجزاء ليس فيه موضع اغلظ ولا ارق من موضع ، ثم يطوى حتى يصير اربع طبقات

وجعل البروج الاثنا عشر تناسب الاوتار الاربعة والدساتين الاربعة والملاوى الاربعة .

- الحمل والسرطان والعقرب والدلو لانها بروج منقلبة تناسب الملاوى التى من شأنها الالتواء والانقلاب .

- الثور والاسد والعقرب والدلو لانها بروج ثابتة تناسب الدساتين التى من شأنها الثبات فى مواقفها.

- الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت تناسب الاوتار الاربعة (١).

وقد كان الكندى متأثرا فى ذلك بمذاهب الصابئة فى قوله بذلك وبمذهب فلاسفة اليونان والفلسفة الاسكندرانية .

اما الفارابى وابن سينا لم يعترفا بهذه الصلة بين الافلاك والموسيقى وقد أعلن ابن سينا صراحة فى كتابة " جوامع علم الموسيقى انه لم يلتفت الى محاكيات الاشكال السماثية والاخلاق النفسانية بنسب الابعاد الموسيقية لان ذلك من سنة الذين لم تتميز لهم العلوم بعضها عن بعض، ولان اصحابها قوم قدمت فلسفتهم وورثوها غير ملخصة فاقتدى بهم المقصرون ممن أدرك الفلسفة (٢).

---

(١) لمعرفة المزيد من التفاصيل فى حديث الكندى عن علاقة الانغام الموسيقية بالافلاك انظر الكندى،المصوتات الوترية وانظر ايضا زكريا يوسف موسيقى الكندى ود. الاهوانى الكندى فيلسوف العرب ،ص ١٨٦،١٨٧،١٨٨.

(٢) انظر : ابن سينا : جوامع علم الموسيقى وانظر ايضا د. احمد فؤاد الاهوانى ، الكندى فيلسوف العرب ص ١٨٨ .

ويعلق الدكتور الاهوانى على قول "ابن سينا" بأن أغلب الظن ان الشيخ الرئيس يومىء بهذه الاشارة الى فيلسوف العرب " الكندى " [1] لان الكندى تأثر فى قوله هذا بالفلسفات القديمة التى ربطت بين الموسيقى والفلك .

كذلك فعل اخوان الصفا الذين تصوروا ان لحركات الافلاك نغمات كنغمات العيدان الموسيقية وذهبوا الى ان حركات الافلاك لها اصوات ونغمات طيبة مفرحة لنفوس اهلها من الملائكة وان تلك النغمات تذكرهم بعالم الارواح التى فوق الفلك والتى جوهرها اشرف من جواهر عالم الافلاك او عالم النفوس[2] .

كما تصوروا علاقة بين اوتار العود وبين عناصر الطبيعة الاربعة" النار - الهواء - الماء - التراب" فقالوا الحكماء الموسيقاريين انما اقتصروا فى اوتار العود على أربعة لا اقل ولا اكثر لتكون مصنوعات مماثلة للامور التى دون فلك القمر. اقتداء بحكمة البارى جل ثناؤه .

فوتر " الزير "[3] مماثل لركن " النار" ونغمته مناسبة لحرارتها وحدتها .

ووتر " المثنى "[4] مماثل لركن " الهواء" ونغمته مناسبة لرطوبة الهواء اللينة .

---

(١) د. أحمد فؤاد الاهوانى. الكندى فيلسوف العرب ،ص ١٨٨.

(٢) اخوان الصفا ، رسالة فى الموسيقى ،ج ١ ،ص ١٤٤.

(٣) "الزير" وتر فى العود يسمى اليوم "كردان" وهو طبقة واحدة ويصنع من الحرير .

(٤) "المثنى" وتر فى العود ويصنع من الابريسم اى الحرير وهو من طبقتين بفتلان جيدا . وقياسه قياس المعى

ووتر "المثلث" مماثل لركن الماء ونغمته مناسبة لرطوبة الماء وبرودته .

ووتر " البم " مماثل لركن التراب او الارض ونغمته مماثلة لثقل الارض وغلظها[1].

ذلك لمحة سريعة عن تاريخ الموسيقى والغناء ننتقل منها الى تعريف السماع .

---

(١) انظر اخوان الصفا، رسالة فى الموسيقى، جـ١، ص ١٤٤
كان العود يتركب بالفعل من اربعة اوتار ولكن الكندى اضاف اليه نظريا وترا خامسا هو" الزير الثانى " ويختص كل وتر بستة اصوات اولها مطلق الوتر وتستخرج الاصوات الباقية بالعفق بواسطة الاصابع على هذا الترتيب " السبابة - الوسطى - البنصر - الخنصر " انظر د. الاهوانى : الكندى فيلسوف العرب، ص ١٧١ .

(٢) تعريف السماع

للسماع مفهوم واسع فهو يشتمل على كل ما يسمعه الانسان من اصوات عذبة واغنيات واشعار وموسيقى ونثر وقرآن وغيرها وهو عامة يدل على السمع او الاستماع وآلته الاذن(١) والاحساس بالاصوات(٢) وآلته القوقعة ،والمنبه الصوتى وهو عبارة عن موجات هوائية تصل القوقعة عن طريق الطبلة والعظيمات والسائل اللمفى الموجود فى الاذن الباطنة (٣).

---

(١) من اجزاء الاذن الرئيسية الطبلة وسلسلة العظيمات ثم الاذن الباطنة وهى تقوم بوظيفتين : الاحساس والتوازن وآلته الكييس والشكية والقناوات الهلالية الثلاثة . انظر د.يوسف كرم . مبادئ علم النفس العام ص ٦٥ .

(٢) الاصوات نوعان : حيوانية وغير حيوانية .وغيرالحيوانية ايضا نوعان طبيعية وآلية فالطبيعةهى كصوت الحجر والحديدوالخشب والرعدوالريح وسائر الاجسام التى لا روح فيها من الجمادات . والالية كصوت الطبل والبوق والزمر والاوتار وما شاكلها . والحيوانية نوعان منطقية وغير منطقية . فغير المنطقية هى اصوات سائر الحيوانات الغير الناطقةواما المنطقية فهى اصوات الناس وهى نوعان : دالة وغير دالة . فغير الدالة كالضحك والبكاء والصياحوبالجملة كل صوت لاهجاء له واما الدالة فهى الكلام والاقاويل التى لها هجاء. وكل هذه الاصوات انما هى قرع يحدث فى الهواء من تصادم الاجسام . انظر اخوان الصفا ـ ج ١ ،ص ١٣٧، رسالة فى الموسيقى .

(٣) الذبذبات الصوتية التى تدركها الاذن البشرية تتراوح سلمها بين ٢٠و ٢٠٠٠ ذبذبة فى الثانية .

وقد عرف السمع بانه " قوة مودعة فى العصب المفروش فى مقعرة الدماغ تدرك بها الاصوات بطريق وصول الهواء المكيف بكيفية الصوت الى الصماغ" وقيل ان السماعى فى اللغة هو ما نسب الى السماع[١].

وقد قال الامام القرطبى فى " كشف القناع " السماع فى كلام العرب مصدر . يقال سمع يسمع سمعا وسماعا. بدليل قولهم اخذ العلم عنه سمعا وسماعا اى مشافهة ومكالمة .

وقد يقال ايضا على الفهم للمسموع كما قال الله تعالى : و لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم"[٢] اى افهمهم[٣] فهذا هو معنى السماع فى اللغة والشرع .

وللصوت المسموع خصائص عامة هى :

(١) الشدة : أو سعة الموجة ويقابلها ما يعرف بالرنة Ioudness فيقال صوت قوى او ضعيف .

(٢) التردد : أو طول الموجة ويقابله ما يعرف بالمقام Pitch وتتراوح درجته بين الحاد والغليظ .

(٣) درجة التركيب : ويقابله الكيفية الصوتية Timpey وتمتاز به الانغام الصادرة عن الالات مختلفة من حيث اجزائها الرنانة سواء كانت اوتار او خشب او نحاس او غيرها .وتراجع الكيفية الى تركيب النغمة الاساسية بنغمات اخرى تعرف بالنغمات التوافقية[٤].

---

(١) الجرجانى ،التعريفات ،ص ١٠٧ ،ط ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ م .

(٢) سورة الانفال ،آية ٢٣ .

(٣) محمد ابى الهدى المكنى بابى البركات، احكام الذكر والسماع ٤٣

(٤) انظر د . يوسف مراد . مبادئ علم النفس العام . الطبعة الرابعة ،ص ٦٥ .

وتعتبر الاذن البشرية أدق تحليلا واكثر تمييزا للكيفيات الصوتية من العين فى تحليلها للكيفيات الضوئية فليس فى امكان العين تحليل الالوان المركبة الى الوان بسيطة بينما الاذن المدربة تميز بين النغم الاساسى والانغام التوافقية . ولهذا السبب لا تفوق لذة فنية ما تجلبه الانغام الموسيقية للنفس من نعيم ومتعة (١).

ولحاسة السمع ما للحواس الاخرى من قيمة عقلية فهى تدرك الاصوات البعيدة مما يتيح فرصة للاستعداد لمواجهة الموقف بطريقة ناجحة . وهى اقل الحواس مادية واقواها استخداما للرموز والاشارات العقلية كالرموز اللغوية التى يصطنعها التعبير اللفظى (٢).

هذا عن السماع عموما اما الصوفية فانهم يطلقون السماع على فهم يقع لاحدهم بغتة يكون عند وجد وغيبة سواء كان ذلك من نظم او نثر او غيرها (٣).

فالسماع عند الصوفية له معنى خاص فهو رياضة عملية يصطنعونها لترقيق القلب وتهيأته باثارة الوجد وتزكية نار الحب والشوق فى قلوب عشاق الله تعالى بالسماع الى صوت خاشع رخيم يتغنى بكلمات منظومة على نغمات موزونة تحمل معانى الحكمة والزهد والترغيب والترهيب ما يثير انفعال السامع من شوق وطرب وحزن وخوف وانس ورجاء وغيرها من الانفعالات الكامنة فى نفوسهم فيتواجدون ويسقطون ما

---

(١) انظر د. يوسف مراد. مبادىء علم النفس العام، الطبعة الرابعة ،ص ٦٦ . ٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) محمد بن ابى الهدى المكنى لابى البركات ، احكام الذكر والسماع ، ص ٤٣ .

يسمعون على احوالهم مع الله وقد يبلغ وجدهم مقاما أعلى يغنى السامع عن احواله يغنى عما حوله ويبقى بالله فيحدث له حال من الاتصال الروحى بالله فى لحظة عابرة فينعم بلذة القرب ويجنى ثمرة الاتصال .

وهناك سماع الخاصة وهو سماع القرآن الكريم وما تحمله آياته من المعانى الجليلة العميقة اذا استمع لها بانصات وتدبر تقوى الهمم وتشعل الوجد فى الصدور وتسمو بالارواح وتثير فيها العواطف الكامنة من أثر المحبة المتزايدة للحق فتهيم حبا وشوقا وتزداد اتصالا وقربا حتى تصل بصاحبها الى حال من الجذب والوجد والاشراق القلبى

كما ان الصوفية لحضورهم الدائم مع الله قد يتواجدوا عند سماع العبارات والالفاظ العادية والاصوات المختلفة كتغريد الطيوروخرير الماء وغيرها. كما سيأتى تفصيله .

وقد جاء فى مصنفات الصوفية تعريفات عديدة للسماع نذكر اهمها ثم نتبين معا تعريف الغزالى للسماع :

(١) عرف ذو النون المصرى (١) السماع بقوله :"وارد حق يزعج القلب الى الحق ،فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق" (٢) .

وفى هذا التعريف يرى ذو النون ان السماع يحرك القلب ويثير الوجد اذا كان من يستمع اليه صادق الحال واما من يسمع طلبا للمتعة والطرب فهو فى رأيه زنديق .

---

(١) هو ابو الفيض ثوبان ابراهيم المصرى وهو من كبار صوفية مصرفى القرن الثالث الهجرى ولد سنة ١٥٥ هـ وتوفى سنة ٢٤٥هـ وكان والده نوبيا ويعد من اوائل من تكلموا فى المعرفة الصوفية . انظر طبقات السلمى ،ص ١٠ .

وقد قال ذوالنون عن الصوت الحسن : " هو مخاطبات واشارات اودعها الله كل طيب وطيبة "(١).

(٢) وقد عرف محيى الدين بن عربى السماع بانه "الانتباه بالقلب الى ما يحمد شرعا(٢) واستماع القول الذى اثنى الله عليه وامر باستماعه واتباع احسنه وهو عنده رياضة عملية يصطنعها الصوفية للوصول الى الوجد واثماره فى القلب ومقام من مقامات السالكين ومنزل عظيم الفائدة لترقيق القلب واثارة الوجد ولكنه ايضا مزلة قدم لمن لا شيخ يرشده ولا علم يحميه واما اذا كان السامع عالم بالشرع وعامل به ومسترشد بشيخ يهديه وصادق الحال فان سماعه يثمر فهو يسمع من الحق ويشهد ان لا مخاطب له سوى الحق فيمتثل لكل ما يفيضه عليه ويقول ما نصه" السماع من مقامات السالكين ،وهو منزل عظيم الفائدة ،من منازل القلب وهو مزلة قدم لمن لا تحصيل له ولا شيخ يرشده ... يخرج فيه المريد على ان يسمع من الحق ولا يرى ان احدا فى الوجود يخاطبه غير الله تعالى فهو ممتثل لكل ما يؤمر به "(٣).

(٣) وقد عرف الجنيد(٤) السماع بقوله " السماع فتنة لمن طلبه ترويح لمن صادفه "(٥) اى ان السماع فتنة لمن يطلبه للمتعة والطرب ويكون ترويحا عن النفس لمن يصادف فى نفسه صدى او اثر كريم .

---

(١) عبد الكريم القشيرى ، الرسالة ،ج ٢ ،ص ٦٤٤ .

(٢) ابن عربى : المواقع ،ص ١٦٤ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) هو ابوالقاسم الجنيدمحمد الحراز من العراق من صوفية القرن الثالث الهجرى،توفىسنة ٢٩٧ .انظر الطبقات الكبرى للشعرانى وانظر طبقات السلمى ،ص ٣٦ .

(٥) الرسالة القشيرية ،ج ٢ ،ص ٦٤٤ .

وقد قال الجنيد" الرحمة تنزل على الفقير فى ثلاث مواضع ،عند الاكل فانه لا يأكل الا عن حاجة ، وعند الكلام لانه لا يتكلم الالضرورة ،وعندالسماع لانه لا يسمع الا عن وجد"(١).

(٤) وقد عرف الشبلى(٢) السماع تعريفا يشبه تعريف الجنيد له حيث قال : " السماع ظاهرة فتنة وباطنه عبرةفمن عرف الاشارة حل له استماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة(٣)

وفى هذا التعريف يوضح الشبلى ان السماع له ظاهر وباطن فظاهره اللهو والغناء وهو لذلك فتنة لمن طلبه لهذا الغرض ،وباطنه ترقيق القلب وتهيئته للاتصال الروحى بالله عزوجل والتقرب اليه تعالى وهو لذلك عبرة. ومن عرف العبرة من السماع وكان صادق الحال حل له الاستماع اليه والاعتبار به .

(٥) وعرفه أبويعقوب النهرجورى(٤) بقوله :" السماع حال يبدى الرجوع الىالاسرار من حيث الاحتراق"(٥).

وفى هذا التعريف يرى النهرجورى ان السماع وسيلة تشعل نار الحب الالهى فى قلوب السامعين من عشاق الحق يصل

---

(١) الرسالة القشيرية ،جـ ٢ ،ص ٦٤٤ .

(٢) هو ابوبكرجحدر الشبلى ويقال اسمه جعفربن يونس من خرسان ولدببغدادوكان صاحب الجنيد.توفى سنة ٣٣٤ وهو تلميذخير النساج. انظر الرسالة القشيرية ،جـ ٢ ،ص ٦٤٥.

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) هو اسحق بن محمد النهرجورى من كبار الصوفية صحب الجنيد واقام بالحرم سنين طويلةمجاورا وتوفى به سنة ٣٠٢ هـ انظر طبقات السلمى ،ص ٦٢ .

(٥) القشيرى ، الرسالة ، جـ ٢ ،ص ٦٤٥ .

فيه السامع الى حال الغناء وتشرق الاسرار الالهية على قلبه الذى تلظى بنار الحب الالهى .

(٦) وعرف "أبوعلى الروزبارى"(١) السماع بقوله : السماع هو مكاشفة الاسرار الى مشاهدة المحبوب"(٢).

وهذا التعريف يشبه التعريف السابق فى انه يرى ان السماع يؤدى الى حال المكاشفة والمشاهدة القلبية للحق سبحانه واطلاعه تعالى الواصلين الى حضرته ومكاشفتهم بالاسرار الالهية والمعرفة اللدنية .

وقد سئل "الروزبارى" عمن يسمع الملاهى ويقول : هى لى حلال لانى قد وصلت الى درجة لا تؤثر فى اختلاف الاحوال فقال : قد وصل لعمرى ولكن الى سقر(٣).

وهذا يعنى ان السماع عنده لا يكون بالتغنى بقصائد الغزل واللهو الرخيص وانما يكون بالانشاد الدينى والاشعار التى تقرب العبد من ربه وتذكره بدار القرار وتذهده فى الدنيا وتقوى عزيمته . اما من يسمع اغانى اللهو والمجون ويدعى انها لا تؤثر فيه لانه وصل الى درجة او مقام اعلى من ان تؤثر فيه مثل هذه الكلمات فانه يكون غير صادق وسماعه لها يؤدى به الى الهلاك فيكون من اهل النار .

---

(١) هوأبو علىاحمدبن محمدبنالقاسم بن منصور بن شهريار ابن مهرذاذار بن فرغدر بن كسرى ،وهو من اهل بغداد سكن مصر وصار شيخها ومات بها صحب الجنيد وابا الحسن النورى توفى سنة ٣٢٢ هـ . انظر طبقات السلمى ،ص ٨٧.

(٢) القشيرى الرسالة ،جـ ٢ ،ص ٢٤٩ .

(٣) المرجع السابق ،نفس الصفحة .

(٧) وقد عرف " سهل بن عبدالله التسترى"(١) السماع بقوله "السماع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه الا هو "(٢) وفى هذا التعريف يعتبر " سهل " ان السماع سر من الاسرار الالهية وربما ذلك لان السماع يثير فى قلب المستمع وجداً وانفعالات وعواطف فياضة لا يعلم سر انبعاثها بمجرد السماع الا الله .

(٨) وعرفه الكلبازى(٣) بقوله " السماع استجمام من تعب الوقت وتنفس لارباب الاحوال واستحضار الاسرار لذوى الاشغال"(٤).

ويوضح هذا التعريف اهمية السماع فى الترويح عن النفس من كثرة الجد لان فيه متنفس لاصحاب الاحوال وانه يثمر استحضار الاسرار والمعارف الذوقية .

(٩) وقال السهروردى البغدادى من السماع ويعنى (سماع القرآن الكريم) " هو السماع الحق لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم بالهداية واللب وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار ،وتارة يثير شوقا، والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار . فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين ابكى وادمع ، لان الحرارة والبرودة اذا اصطدما عصرا ماء .

---

(١) هو ابومحمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله ابن رفيع التسترى احد ائمة القوم .

(٢) القشيرى . الرسالة ، تحقيق د. عبد الحليم محمود محمود الشريف ، جـ ٢ ،ص ٦٤٩ .

(٣) هوتاج الاسلام ابوبكر محمد الكلبازى(٣٨٠ هـ ـ ٩٩٠م).

(٤) المرجع السابق ،نفس الصفحة .

فاذا الم السماع بالقلب تارة يخف المامه فيظهر اثره على الجسد ويقشعر منه الجلد، قال تعالى: " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم" (١) (٢) وهنا يوضح السهروردى اثر سماع القرآن الكريم على السامعين جسميا ونفسيا فهو يبعث الوجد والحضور مع الله فتدمع العين وتقشعر الاجسام .

(١٠) وعرفه زكريا الانصارى بقوله : " السماع هو الانتباه بالقلب الى ما يحمد شرعا" (٣) وهذا التعريف عول فيه الانصارى على دور القلب فى الانتباه لمعانى المسموع والانفعال بها على ان يكون ما يسمع موافقا للشرع وملتزما بآدابه .

(١١) اما محمد بن على الباقر بن على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنه فيرى ان موت القلب من شهوات النفس وحياة القلب فى رفض شهوات النفس وكلما رفض العبد شهواتها نال من الحياة وان السماع دليل على حياة القلوب فهو للاحياء لا للاموات . قال تعالى : فانك لا تسمع الموتى" (٤) ، والاحياء هم الذين يحيون حياة روحية مترفعة عن الشهوات والاهواء فالسماع فى نظر الباقر دليل على حياة القلوب (٥) .

(١٢) ويذهب ابن سينا الى ان السماع رياضة عملية يستعين بها السالك على تهذيب نفسه وتطويع النفس الامارة بالسوء (للنفس المطمئنة لكى تجذب قوى التخيل والوهم الى

---

(١) سورة الزمر ، آية ٢٣ .

(٢) عوارف المعارف بهامش احياء علوم الدين للغزالى ، ج ٢ ، ص ٢٢٢.

(٣) انظر شرح زكريا الانصارى للرسالة القشيرية على هامش الرسالة ، ص ١٥٠ .

(٤) سورة الروم ، آية ٥٢ .

الاحساسات السامية وانفعالات الوجد والجذب والشوق مما يتناسب مع حضرة الحق وتنصرف عن الاحساسات والانفعالات الخارجية المحيطة التى تتصف بانها توهمات مادية مناسبة للامر السفلى ويقول فى ذلك:" ثم انه (اى المريد) ليحتاج الى الرياضة... والى تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة لتجذب قوى التخيل والوهم الى التوهمات المناسبة للامر القدس منصرفا عن التوهمات المناسبة للامر السفلى ... ويعين على ذلك الالحان المستخدمة لقوى النفس الموقعة لما لحن به من الكلام موقع القبول من الاوهام"(١).

(١٣) وعرفه عبدالوهاب الشعرانى(٢) بقوله:" أعلم ان السماع سر من اسرار الله تعالى يظهر فى الصادقين من العشاق ولا يعرفه حق المعرفة الا من ذاق"(٣) وهو يفرق بين نوعين من السماع :

سماع تقليدى . وسماع حقيقى . والسماع التقليدى هو ما يفعله المتشبه ليلتحق بارباب الاحوال والمواجيد فمن تشبه بقوم فهو منهم .

اما السماع الحقيقى فهو ما قال فيه الحق تبارك وتعالى " فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه

---

(١) انظر الاشارات والتنبيهات ،ج ٤ من ص ٨٢٠ الى ٨٢٤ .

(٢) هوعبدالوهاب بن احمد بن على الشعرانى ولد سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٠م ، وتوفى سنة ١٧٣ هـ/١٥٦٥م وهو عالم من علماء الفقه والتصوف وله مصنفات عديدة فى مختلف فروع العلم وهو مصرى من محافظة المنوفية وله قبر فى مسجده فى باب الشعرية بالقاهرة .

(٣) للشعرانى رسالة فى السماع هى" كشف القناع عن وجه السماع" مخطوطة بالمكتبة الازهرية ضمن مجموعة (٩٤٢حليم) ٣٣٥٧٦ انظر

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب"(١) وهذا السماع محكوم لاهله بالهداية وهو عنده ينقسم بدوره الى :

سماع طبيعى . وسماع روحانى الهى .

والسماع الطبيعى هو ما يحدث بالاصوات الحسنة والنغمات الطيبة وصاحبه يسمع بطبعه ونفسه وهواه فيكون حظه من مسموعه ما وافق طبعه وهو لا يصلح الا لمن كان قلبه صافيا ونفسه قد تهذبت .

اما السماع الروحانى او الالهى فهو سماع الخاصة لكلمات الله تعالى وادراكها وفهمها وتدبر معانيها والانفعال بها . وهو سماع مطلق لاصحاب الهمم العالية والنفوس الزكية والقلوب المستنيرة بنور الله . وهؤلاء لا تؤثر فيهم النغمات(٢).

(١٤) هذا وقد عرف الامام الغزالى السماع بقوله : " السماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا تصل نفس السامع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه "(٣) وهذا يعنى ان السماع هو اختبار صادق للقلب ليظهر ما بطن فيه فاذا كان قلب السامع صافيا عامرا بحب الله اظهر السماع هذا الحب والهب نار الشوق واذا كان قلبه مليئ بحب الدنيا ولذاتها وشهواتها اثار فيه السماع هذه اللذات والشهوات وقال الغزالى ايضا :" اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع حالة من الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف "(٤).

---

(١) سورة الزمر ، آية ١٨.

(٢) الشعرانى، رسالة كشف القناع عن وجه السماع مخطوطة ل ٢١٠ ظ

(٣) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ١٢٦٦

(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ومعنى ان السماع أول الامر هو انه وسيلة عملية لرياضة النفس يصطنعها الصوفى فى احداث الوجد وهو فى بداية الطريق الى الله . فالسماع يثمر الوجد، واذا تملك الوجد السامع فانه قد يحرك اطرافه استجابة لهذا الانفعال الداخلى القوى،يتفق قول الغزالى هذا مع ما، ذهب اليه علماء النفس من ان الانسان وحدة جسمانية نفسية لا تتجزأ وان سلوكه ناحيتان ـ ناحية النشاط الحركى ـ وناحية النشاط الذهنى وهما متلازمتان فى العادة[1] ، كذلك يتفق ما ذهب اليه الغزالى وغيره من الصوفية من ان السماع يحرك ما فى القلب وانه محك صادق يظهر ما كمن فيه مع ما توصل اليه علم النفس الحديث من ان المنبه الخارجى ـ وهو فى تلك الحالة النغمات والاصوات ـ لا يفاجئ جسما جامدا وانما جسما حيا يمتاز بالنشاط والاحساس فالانسان حتى عندما يكون غارقا فى نوم عميق ليس فى حالة غيبوبة حسية تامة بل فى حالة احساس كامن .

ومن الخطأ ان يقال ان المنبه الخارجى هو الذى يولد الاحساس بل من الخطأ ـ ان أردنا توخى الدقة فى التعبير ـ أن يقال ان التنبيه يتحول الى احساس . كل ما فى الامر ان التنبيه الخارجى يحول الاحساس الكامن الى احساس فعلى واضح. فالمنبه الحسى هو مجرد منشط للطاقة الداخلية وللاحساس الكامن ووظيفة الجهاز العصبى توجيه اثار هذا التطور وتركيزه .

وعلماء النفس يرون انه يخيل الينا اننا نحس بالاشياء وبالمنبهات ، والواقع اننا نحس انفسنا بفضل تأثير المنبهات الخارجية[2] وعلى ذلك فان النغمات وصوت

---

(١) انظر د.يوسف مراد.مبادىء علم النفس العام ،ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ،لمعرفة المزيد عن عملية التنبيه بالمؤثرات

المغنى او المسمع لا يخلق فى المستمع مشاعر لم يكن لهـــا وجود وانما هى فقط تثير مشاعر واجشان كامنة فى النفـــس فتحركها وتظهرها بشكل واضح وقوى .

ويمكننا بعد عرض التعريفات السالفة للسمـــــاع ان نستخلص ما تتضمنه من مفهوم السماع عندالصوفية فيما يلى :

(١) ان السماع عند الصوفية وسيلة عملية لاثـــارة الوجد والحب والشوق الى الله الكامن فى القلوب عن طريـــق سماع القرآن او الالحان المغناة او غيرها من الكلام حتـــى تنقدح فى سرائر المحبين فتزداد خشوعا وطلبا للقرب .

(٢) ان السماع لا يخلق شيئا جديدا فى القلوب انمـــا هو منبه يثير المشاعر الكامنة فيه فان كان حبا لله تواجد وان كان حبا للشهوة ظهر وانكشف .

(٣) ان للسماع اداب شرعية يجب الالتزام بها والا صار لهوا وعبثـــا .

(٤) ان من يسمع وهو صادق الحال يجنى ثمرة الوجـــد والاتصال وقد تتحرك نتيجة لذلك اطرافه وقد يحدث اصواتـــا وقد يسكن بلا حراك .

(٥) ان السماع سر من اسرار الله يعمل فى القلـــوب عملهافيحييهـــا ويحدد مشاعرها وينبهها فتتهيأ لتلقـــــى المعرفة الذوقيـــة .

(٣)العلاقة بين السماع والموسيقى العربية :

هناك علاقة قديمة بين السماع وبين الموسيقى فقد استخدم القدماء النغمات الموسيقية فى بيوت العبادة والالحان المحزنة والمرققة للقلوب والمذكرة، للنفوس بعالمها • وكأن سماعها لتلك الموسيقى وترتيلها تلك الالحان يقربها ويشوقها الى عالمها الروحانى •

وقد ذهب اخوان الصفا الى ان الاشعار التى كان الحكماء الالهيون يلحنونها عند استعمال الموسيقى فى الهياكل وبيوت العبادات لترقيق القلوب القاسية وتنبيه النفوس الساهية من نومة الغفلة والارواح اللاهية فى رقدة الجهالة ولتشويقها الى عالمها الروحانى ومحلها النورانى ودارها الحيوانية ولاخراجها من عالم الكون والفساد ولتخليصها من الغرق فى بحر الهيولى ونجاتها من اسر الطبيعة فكانوا يلحنون مع نغمات تلك الاوتار كلمات وابيات موزونة وصف فيها نعيم عالم الارواح ولذات اهله وسرورهم كما كان يقرأ المجاهدين المسلمين عند سماع نفير الحرب آيات من القرآن انزلت فى هذا المعنى لترقق القلوب وتشوق النفوس الى عالم الارواح ونعيم الجنة مثل قول الله تعالى: " ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراه والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به "(١)، ومثل هذه الايات من القرآن الكريم •

---

(١) سورة التوبة ، آية ١١١ •

كما ينشد المسلمون عند اللقاء ما قيل من ابيات الشعر فى وصف الحور العين ونعيم الجنان مما يشوق النفس الى هناك ويشجع على الاقدام[١].

وقد كان الغناء بذلك عنصرا هاما فى ترقيق القلوب وكان له اثر فى التقاليد الدينية وكان من الانبياء من يعتمد على جمال صوته فى جذب الناس فكان النبى داود عليه السلام اذا قرأ الزبور استمع اليه الانس والجن والوحش والطير[٢] وتستخدم الكنائس المسيحية حتى الان الموسيقى والغناء الدينى .

اما المسلمون فقد تغنوا بالقرآن منذ عهد الرسول (ص)[٣] وتفردوا الصوفية دون الفقهاء باتخاذ السماع كوسيلة لترقيق القلب وتهذيب النفس وتهييج الشوق والهاب نار العشق لله تعالى والوصول الى الوجد والاتصال الروحى بالله سبحانه وتعالى .

فالصوفية يتصورون ان الغناء يوجه النفس الى الخير اذا كان ما بداخلها خير او الى الشر اذا كان ما بداخلها شر فهو يثير كوامن النفس كما ذكرنا سالفا ولما كانت نفوس الصوفية وقلوبهم عامرة بحب الله خالية من حب الشهوات وكانت نفوسهم قد تخلصت من الاخلاق الذميمة وتحلت بالاخلاق الكريمة وتحققوا بالكمال الاخلاقى فانهم عندما يسمعون فانما يسمعون فى الله ولله ولذلك قيل ان النفوس

---

(١) انظر رسائل اخوان الصفا : رسالة فى الموسيقى، ج ١ ، ص ١٥٤، ص ١٥٥ .

(٢) الطوس ، اللمع ، ص ٢٦٨ .

(٣) يذهب د. زكى مبارك الى ان هناك من يرى ان فواتح السور فى القرآن الكريم ما هى الا علامات موسيقية وقد شرح هذا

الناطقة اذا صفت عن الشهوات الجسمانية وزهدت فى الملاذ الطبيعية وانجلت عنها الاصداء الهيولانية ترنمت بالالحان الحزينة وتذكرت عالمها الروحانى الشريف العالى وتشوقت نحوه فاذا سمعت الطبيعة ذلك اللحن تعرضت النفس بزينة اشكالها ورونق اصباغها (اى ان اللحن يرد على النفس فيثير ما تلونت به واصطبغت به من خصال حميدة او ذميمة فيثيرها فيها) كى تردها اليها فاحذروا من مكر الطبيعة أن تقعوا فى شباكها (١) فكل نفس اذا سمعت من الاوصاف ما يشاكل معشوقاتها ومن النغمات ما يلائم محبوباتها فرحت وسرت والتذت بحب ما تصورت من رسوم معشوقها واعتقدت محبوبها .

ويحكى أن رجل من أهل الوجد من الصوفية سمع قارئا يقرأ " يأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية (٢) فاستعادها من القارىء مرارا وجعل يقول . كم اقول لها ارجعى فليس ترجع ،وتواجد وزعق وصعق صعقة فخرجت روحه (٣).

وقد مدح الصوفية الصوت الحسن واعتبروه مخاطبات واشارات الى الحق وسر من اسرار الله اودعه كل طيب وطيبة .

ولا أدل على شغف الصوفية بالسماع واقبالهم عليه باعتباره وسيلة لترقيق القلب وحفذ الهمم وبعث الشوق وتقوية العزائم من ان كتبهم تفيض بالحديث عن السماع وآدابه ودرجات السامعين والوجد الذى يحدث للصوفية نتيجة للسماع

---

(١) اخوان الصفا ، رسالة فى الموسيقى ،ج ١ ،ص ١٧٩ .

(٢) سورة الفجر ، آية ٢٧ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

وما يثمره فى قلوبهم من معرفة ذوقية وما حوته تلك المصنفات من اشعارهم التى عبروا فيها عن مواجيدهم واذواقهم واشواقهم وحبهم لله واحوالهم [1].

وقد اهتم الصوفية بعقد مجالس السماع التى يجتمعون فيها ويسمعون ما ينشده القوال من قصائد والحان على نغمات الموسيقى يتغنى فيها بصوت خاشع بالاغانى والتوشيح الدينية التى تذكر السامعين بالجنة والنار وتزهدهم فى الدنيا وتدعوهم للاقبال على الله والالتزام باوامره ونواهيه وتذكر صفاته سبحانه وتعالى وتمتدح اخلاق الرسول وتدعوهم للاقتداء به .

اما طريقة التغنى فى مجالس الصوفية فقد بينها المرحوم الاستاذ الشيخ التفتازانى فى قوله [2] ان الصوفية درجوا منذ القدم على ان يبدأوا مجالس الذكر بـ"لا اله الا الله " وتعرف عندهم بالارضية ويأخذ" الرسيم" الذى هو رئيس المجلس فى التدرج بالذاكرين أثناءها من " الراست" وهو " الرصد" الى " الدوكة " الى" السيكاه " الى" الجهركاه " او " الجركاه " الى " الحجاز" ثم " الرهاوى "فالكردى" فالبياتى وهنا تبدو مقدرة الرئيس فى نقل الذاكرين من نغمة الى

---

(١) نظم الصوفية قصائد عديدة فنظموا فى الحب ومناجاة الله واغراض عديدة تصور وجدانهم واحوالهم كرابعة العدوية وابن الفارض والشبلى والحلاج وابو الحسن بن الصباغ وغيرهم من الصوفية . انظر د. زكى مبارك ـ التصوف الاسلامى فى الاداب والاخلاق فى حديثه عن المنظومات الصوفية ، ص ٢٩٩ وما بعدها .

(٢) انظر مجلة المعرفة ، يونيه سنة ١٩٣١ ، او د. زكى مبارك ، التصوف الاسلامى فى الاداب والاخلاق ، ص ٢٦٧ وما بعدها .

نغمة . كما تبدو مقدرة المنشدين فى متابعتهم للانغام والانشاد .

والغالب فى الانشاد على الارضية أن يكون من كلام الصوفية مثل :

الهى توسلنا بجاه محمد
نبيك وهو السيد المتواضع
انلنا مع الاحباب رؤيتك التى
اليها قلوب الاولياء تسارع

... الخ ثم ينفرد الرئيس بعد الوصول الى نغمة الرصد التى ينتهى عندها انشاد القصيدة بالاستغاثة " فيقول: (أغثنا أدركنا يا رسول الله) . ثم يقول الموال من نفس النغمة ،فالابيات التى ينشدها عند قيام المجلس من نفس النغمة ايضا ينشدها على الارض مقطعة ، وعند قيام الذاكرين يكرر الابيات بالطريقة المألوفة ثم ينفرد بعد ذلك بالمقطعات والقصائد والرقائق وما اليها من كلام الصوفية (١).

وكثيرا من الاغانى الصوفية يستخدم فيها الرمز وفيها ما يفصح عن اغراضهم ومنهم من يتواجد على سماع اشعار تحمل معانى الغزل والهجر والوصال ويسقطها على معانى فى نفسه باطنة تختلف تماما عن معانيها الظاهرة . فالصوفى الحق يجد الله فى كل ما يسمع والصوفية فى حال وجدهم يتمثلون بالاشعار والكلمات فينقلونها من الاغراض الحسية الى الاغراض الروحية .

---

(١) انظر مقالة المرحوم الشيخ التفتازانى فى مجلة المعرفة عدد يونيه ١٩٣١، وانظر ايضا ،كتاب د. زكى مبارك،التصوف الاسلامى فى الاداب والاخلاق ،ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

وقد كان للصوفية الفضل الكبير على الشعر والموسيقى والغناء ، وقد تركوا الاثار الباقية التى تشهد بذلك والتى كان لها قيمة فنية وأدبية عظيمة . والصوفى انسان رقيق المشاعر جياش العواطف طاهر الروح نقى القلب يتمتع بالشفافية الروحية والحس المرهف فقد يثير وجدانه واعواطفه أصوات عادية لا يلتفت اليها الانسان العامى ونذكر من ذلك ما وقع لابى الحسن بن الصباغ الصوفى وقد مر وقت الضحى ببساتين قوص فسمع حمامة على شجرة تغرد بصوت شجى فاستمع ثم بكى ثم تواجد وأنشد قصيدة ثم بكى طويلا (١) .

ويرى د. زكى مبارك انه ليس من المبالغة ان نحكم بان الصوفية تفردوا بين أهل الادب والاخلاق بالتجويد فى الموسيقى والغناء فهم الذين نظروا فى ذلك نظرا فلسفيا وهم الذين جعلوا الموسيقى والغناء من المشاكل الخلقية وهم الذين صيروا انشاد الشعر فى المحافل العلنية بابا من الادب الرفيع (٢) .

والصوفية هم الذين سمعوا من النفس حديثها ومناجاتها وسمعوا من القلب المعارف الذوقية والعلوم الكشفية .

واصحاب الطرق الصوفية فى مصر لا يزالون حتى يومنا هذا يعقدون مجالس الذكر والسماع وقد يستبيح بعضهم ان ينشد الادوار الموسيقية بمذاهبها وورودها المعروفة على مجالس الذكر ولكن هذه الطريقة قاهرية محضة " اى فى القاهرة" ويكاد لا يتبعها الا رجال الطريقة "الليثية" اصحاب الفضل

---

(١) انظر. مقالة المرحوم الشيخ التفتازانى فى مجلة المعرفة عدد يونيه ١٩٣١ ، وانظر ايضا كتاب د. زكى مبارك ، الاصوف فى الاداب والاخلاق ، ص ٢٢٩ ، .

على هذا الفن واساتذته ومبرزيه وحملة الوتيه فى القاهرة منذ اكثر من مائتى عام[(١)].

ويذهب د. زكى مبارك الى أن الصوفية اقبلوا على الغناء ولم يشترطوا الا حسن النية وشرف القصد وتفردت الطريقة " المولوية " باستجازة العزف على الآلات الموسيقية على اختلاف انواعها اثناء مجالس الذكر وكان لهذه الطريقة اشياع فى الاقطار الفارسية والتركية وكان لهم فى مصر تكية فى حى السيوفية بالقاهرة وكان لهم حضرة اسبوعية يتشوف اليها المولعون بالموسيقا والغناء. وقد اغلقت الحكومة تلك التكية . ويضيف الدكتور زكى مبارك قوله ورأينا يوم اغلاقها جماعة من اهل الادب يعترضون فى الجرائد على حرمان الموسيقا من براعة اولئك القوم[(٢)].

وقد تبينت أن الصوفية الذين أجازوا السماع واباحوه كوسيلة لاصطناع الوجد وترقيق القلب من خلال مصنفاتهم انهم مجمعون على كراهة اللهو فى السماع وادعاء الوجد واتيان الحركات المصطنعة والعبث اثناء السماع وانهم يضعون للسماع الشروط التى يجب الالتزام بها والتى تكفل له الجدية وتبعده عن اللهو والعبث .

بيد ان بعض مجالس الطرق الصوفية الان لا تلتزم كثيرا بتلك الشروط التى وضعها اسلافهم من الصوفية ويبدو هذا من ملاحظة ان مجالس الصوفية كانت تنقلب احيانا الى مجالس فنية فهى تعقد ظاهرا لذكر الله ،ولكن الغرض منها الغناء

---

(١) انظر،مقالة المرحوم الاستاذ الشيخ التفتازانى بمجلة المعرفة عدد يونيه ١٩٣١،وانظر ايضا د.زكى مبارك ، التصوف الاسلامى فى الاداب والاخلاق ،ص ٢٦٨.

(٢) المرجع السابق ،ص ٢٦٦ ،ص ٢٦٧ .

ويذهب د. زكى مبارك الى انه كان فى حى الحسين منزل تقام فيه حضرة كل ليلة ثلاثاء وكان ذكر الله فى الصورة الشكلية يتولاه طائفة من العجزة (عجزة الدراويش) اما نظام المجلس فيقوم على فن الشيخ حسن الحويحى وكان منشدا حلو الصوت عذب الاداء وكان ينشد فى الحضرة ابياتا من شعر ابن الفارض مثل :

ما بين معترك الاحداق والمهج

انا القتيل بلا اثم ولا حرج

ثم يندفع فيغنى " انست يا نور الوجود ،شرفت يا روح المهجة بعد البعاد انا قلبى عليك " او " الكمال فى الملاح صدف " الى آخر الاغانى الطريفة التى كانت تغنى فى الليالى الملاح .

ثم يضيف د. زكى مبارك انه كان يلاحظ ان اهل هذا المنزل يجعلون ليلة الحضرة ليلة قصف فيجمعون خلانهم حول الموائد ويتندرون بأطيب الاحاديث . وكان المستمعون يقترحون " الادوار " على نحو ما كانوا يفعلون فى حفلات الطرب والانس . وقد اقترح بعضهم دور " حود من هنا وتعالى عندنا" فغضب الشيخ الحويحى وقال نحن لسنا فى الازبكية (١)
(٢)
وكان د. زكى يرى من شواهد الحال ان الازبكية ليست عنهم ببعيد

واذا كنا اسلفنا القول ان الصوفية ينقلون المعانى الحسية الى المعانى الروحية وانهم لا يحملون الالفاظ التى

---

(١) كانت تقيم المرحومة السيدة / ام كلثوم سيدة الغناء العربى حفلات غنائية شهرية على مسرح حديقة الازبكية يتوافد اليها محبى الطرب من كل مكان .

(٢) د. زكى مبارك ـ التصوف الاسلامى فى الاداب والاخلاق ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

يسمعونها على معناها الظاهر وانما يسقطونها على معانى روحية باطنة فى نفوسهم فهذا لا يعنى ان يعقد الصوفية مجالس لمثل هذه النوعية من الغناء فهى على الاقل تبدو فى ظاهر الامر مجالس للانس واللهو وليس لذكر الله . ومن المؤكد أن مجالس الصوفية ليست كلها على هذا الحال فهناك مجالس تعقد للسماع يتلى فيها القرآن الكريم بالالحان او القراءات المشروعة او تنشد فيها القصائد الدينية .

ويقال ان مجالس الذكر والسماع كانت مدرسة لتخريج المغنين ففيها ظهرت تباشير النبوغ لبعض المطربين مثل عبده الحمولى ومحمد عثمان وسلامة حجازى والمنيلاوى وسيد درويش " وهم رواد الغناء والموسيقى فى مصر فى ذلك الوقت وان القرى المصرية بها مئات من قراء الموالد وهم فى الاصل من اتباع الصوفية "(١).

والحق أنى اشك فى ان يكون قراء الموالد فى القرى المصرية من اتباع الصوفية فما يحدث فى تلك الموالد بعيد كل البعد عن الدين عموما وعن التصوف خصوصا . ولقد سمعت ورأيت ما يحدث ويقال فى تلك الموالد من غناء ان لم يكن يسىء الى الدين فهو لا يحسن اليه . فمن لا يعرف الكثير عن الاسلام من اصحاب الديانات الاخرى قد يخطىء الظن ويعتقد ان مثل تلك الاعمال والاقوال من الدين فى شىء نهيك عما يحدث فى احتفالات المولد النبوى فى هذا الشأن فى القرى المصرية .

ان ما يحدث فى تلك الموالد لا يفى بالغرض الذى اصطنع الصوفية من اجله السماع كرياضة عملية تذكرهم بامور الاخرة وتزهدهم فى الدنيا وتقربهم الى الله وترغبهم فى

---

(١) د. زكى مبارك - التصوف الاسلامى فى الاداب والاخلاق ص ٢٧٠ .

الطاعات وصالح الاعمال وحميد الخصال وتهذب نفوسهم وتجلى قلوبهم لتقبل الفيوضات الالهية والمعارف الذوقية . فقد ناء بها اصحابها عن السماع الصوفى شكلا وموضوعا ولم يلتزموا فيها بآدابه التى جعلها الصوفية حصنا يحمى السماع من العبث واللهو .

هذا وقد حاول الصوفية تعليل أثر السماع فى وجدان السامع ليوضحوا لماذا تنفعل النفس بسماع الالحان وتطرب لها . وهذا ما سنتبينه معا فى عرض جانب من محاولات الصوفية فى هذا الصدد .

(٤)علة طرب الارواح بالغناء والنغمات العذبة :

تطرب النفس لسماع النغمات العذبة والالحان الشجية والعبارات البليغة المغناه يستوى فى ذلك الكبار والصغار [١] من الجنسين بل ان الحيوانات ايضا تطرب لسماع الالحان الجميلة كما سبق ان اوضحنا وكلما كان الانسان مرهف الاحساس رقيق العواطف كلما كان تأثره أقوى [٢] فلا عجب

---

(١) اكدت الابحاث العلمية التى قامت بها الجمعية العلمية الملكية بانجلترا ان الجنين يطرب لصوت امه وهو لا يزال فى بطنها واذا انطربت الام لسماع غناء فان هذا ينعكس عليه وذلك لان سماع الام للغناء ينعكس عليها فى صورة توازن هرمونى كميائى مما يؤثر بدوره على الجنين فيطرب . والطرب هو احساس عميق بالسعادة والنشوة قد يبدو فى صورة حركية كأن يميل برأسه وجسمه وهذا نراه عند الاطفال حين يطربون . جاء هذا الرأى فى دراسة نفسية حول طرب الجنين لصوت امه ونشر بجريدة الاهرام العدد ٣٦٦٥٦ الصادر يوم ١٩٨٧/٤/١٩ .

(٢) لاحظ القدماء منذ عهد الفيثاغوريين فى القرن السادس ق.م الصلة الوثيقة بين الموسيقى والغناء والنفس البشرية فكانوا يتخذون منها انواع للعلاج .واخرى للهو والطرب وثالثة للحماسة والحرب ورابعة للايقاع والرقص وتكلم عنها افلاطون فى" الجمهورية "وارسطو فى كتاب الشعر وتكلم كل منهما على ما يحسن منها ويجب تعليمه .وما يقبح ويجب استبعاده ـ كما استخدم الكندى الموسيقى العربية فى العلاج وكان يستخدم انواع خاصة من العزف يتيقظ المريض من غشيته وقد حكى فى كتابه "المصوتات الوترية "تأثير الموسيقى على الحيوان والانسان وصنف النغمات المؤثرة الى ثلاثة الحان

ان يتأثر الصوفى اكثر من غيره بالسماع لاسيما انه يجد الله فى كل ما يسمع حتى وان كان ما يسمعه جملة عادية يتفوه بها انسان فانها تجد لها وقعا فى نفسه ولذلك قال ابوعثمان المغربى: " من ادعى السماع ولم يسمع صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح،فهو فقير مدع "(١) ويقول الغزالى: " ان قرعت اسماعهم (اى الصوفية) نغمة سبقت الى المحبوب سرائرهم وان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق اومطرب او محزن او مبهج او مشوق او مهيج، لم يكن انزعاجهم الا اليه . ولاطربهم الا به . ولا قلقهم الاعليه ،ولا حزنهم الا فيه ولاشوقهم الا الى ما لديه ولا انبعاثهم الا له ،ولا ترددهم الا حواليه . فمنه سماعهم واليه استماعهم فقد اقفلوا عن غيره ابصارهم واسماعهم اولائك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين اصفيائه وخاصته "(٢).

والانسان المؤمن يجد عظمة صنع الله وابداعه فى كل ما يرى من الاشياء الجميلة وكل ما يسمع من الاصوات الرخيمة ولحضوره مع الله دائما يتأثر ادراكه الحسى بذلك الحضور ولا شك ان الحالة النفسية للسامع المؤمن تؤثر فى ادراكه الحسى لما يسمع من الاصوات(٣) او كما قال " السهروردى"

=== الطوبى وهو يلائم اللهو والالتذاذ،والاقدامى وهويناسب الشجاعة والنجدة والاقدام ،الشجوى ويناسب البكاء والحزن انظر مزيدمن التفاصيل فىكتاب د. احمدفؤاد الاهوانى ص ١٦١ ،الكندى فيلسوف العرب وكتاب الكندى(المصوتات الوترية).

(١) القشيرى . الرسالة ،ج ٢ ،ص ٦٥٥.

(٢) الغزالى ، احياءعلوم الدين ،ج ٢ ،ص ٢٣٧.

(٣) لا أدل علىذلك مما روى عن الامام على بن ابىطالب رضى الله عنه انه سمع صوت ناقوس فقال لاصحابه : " اتدرون ما يقول هذا؟" قالوا :لا،قال: " انه يقولسبحان الله حقاحقا ان المولى

" فللكمال جمال لا يدرك بالحواس ولا يستنبط بالقياس . وفي مطالعة ذلك الجمال اخذ طائفة من المحبين خصوا بتجلي الصفات . ولهم بحسب ذلك ذوق وشوق ووجد وسماع .والاولون منحوا قسطا من تجلي الذات فكان وجدهم على قدر الوجود وسماعهم على حد الشهود"(١).

ويقول "الغزالي" في ذلك ما نصه " سماع من احب الله وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شئ الا راه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه .ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاحظات لايحيط الوصف بها"(٢).

والتأثر بالسماع مجبول في فطرة الانسان والحيوان فلله سر في مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها تؤثر فيها تأثيرا عجيبا حتى انه قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج فالطفل في مهده والجمل على بلادة حسه يتأثر بالنغمات ويطرب لها دون ان يعيها او يفهم لها معنى ويكون ذلك دون سابق تعلم او اكتساب وهنا يبدو سؤالا هاما . لماذا تثير تلك النغمات والاصوات غير المفهومة انفعالات سامعيها على الرغم من عدم ادراكهم لمفهومها ؟ ويقول الغزالي:" المعاني المفهومة من الخوف والحزن والسرور انما تحصل في السماع

=== صمدا يبقى . وماروى عن عبد الرحمن السلمي انه دخل على عثمان المغربي وكان رجل يستقي الماء من بئر على بكره فقال : " اتدري ما تقول " قال لا . فقال تقول " الله ـ الله " انظر القشيري ، الرسالة ج ٢ ،ص ٦٥٥ .

(١) السهروردي . عوارف المعارف على هامش الاحياء للغزالي ج ٢ ،ص ٢٤٩.

عن غناء مفهوم واما الاوتار وسائر النغمات التى ليست مفهومة فانها تؤثر فى النفس تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الاوتار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب والذى اضطرب قلبه بسماع الاوتار او الشاهين او ما شابه ذلك ليس يدرى الى ماذا يشتاق ويجد فى نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدرى ما هو حتى يقع ذلك للعوام" (١).

ويحاول الغزالى تعليل السبب الذى يجعل السامع ينفعل بالانغام فتجعله فى حالة شوق . والشوق فى رأيه يكون له ركنان :

الركن الاول : صفة المشتاق وهو نوع المناسبة مع المشتاق اليه .

والركن الثانى : معرفة المشتاق اليه ،ومعرفة صورة الوصول اليه .

فان وجدت الصفة التى بها الشوق . ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الامر ظاهرا . وان لم يوجد العلم بالمشتاق اليه ووجدت الصفة المشوقة ،وحركت القلب الصفة واشتعلت نارها اورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة (٢).

ومعنى ذلك ان الشوق يكون بين المشتاق والمشتاق اليه فاذا عرف المشتاق المشتاق اليه كان الامر واضحا لا غموض فيه . اما اذا وجد المشتاق ووجد الشوق وحرك قلبه غير انه لا يعرف الى ماذا يشتاق فان ذلك يؤدى الى الدهشة والحيرة وذلك كمثل من يسمع الالحان فيجد روحه مأخوذه بها ويغلب

---

(١) الغزالى : احياء علوم الدين ،ج ٢ ،ص ٢٩٢.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

عليها شوق جارف الا أنه لا يعرف الى من هذا الشوق.فالانسان لا يدرى أن بين روحه وبين العالم الاعلى واللذات التى وعد بها فى سدرة المنتهى والفراديس العلا نوع من المناسبة والصلة غير انه لم يتخيل من هذه الامور الا الاسماء والصفات فالسماع يحرك فيه الشوق اليها بينما جهله المفرط واشتغاله بالدنيا وانغماسه فى الامور المادية جعله ينسى نفسه وينسى ربه وينسى مستقره الذى يشتاق اليه ويحن له بالطبع والفطرة فيشعر عند سماع النغمات بمشاعر لا يدرى سببها فيندهش لذلك ويتحير ويضطرب ويكون فى حال لا يدرك حقيقتها ولا يمكن التعبير عنها . ويقول الغزالى فى ذلك: " فكذلك فى نفس الادمى مناسبة مع العالم الاعلى وللذات التى وعد بها فى سدرة المنتهى والفراديس العلا الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء ... فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذى اليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه . امر ليس يدرى ما هو . فيندهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمخنوق الذى لا يعرف طريق الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التى لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن للمتصف بها ان يعبر عنها(١) .

هذا هو تفسير الغزالى لسبب الوجد الذى تحدثه الالحان والاصوات الحسنة فى القلب . وهناك رأى اخر يقترب من رأى الغزالى يحاول تعليل هذا الامر للسهروردى اذ يقول:" مثار الوجد الروح او الروحانى فى حق المحق والمبطل ويكون الوجد تارة من فهم المعانى يظهر ، وتارة من مجرد النغمات والالحان فما كان من قبيل المعانى تشارك النفس الروح فى السماع فى حق المبطل ويشارك القلب فى حق المحق. وما كان

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٩٢ .

من قبيل مجرد النغمات تتجرد الروح للسماع. ولكن فى حق المبطل تسترق النفس السمع . وفى حق المحق يسترق القلب السمع "(١).

وعنده ان سبب استلذاذ الروح للنغمات ان العالم الروحانى هو مجمع الحسن والجمال وان التناسب والتناسق الموجود فى الاكوان بين الموجودات تناسبا وتناسقا محبوب ومستحسن وقد خلق الله الالوان والاشكال والصور والاصوات وجعلها جميعا متعة للروح فمتى سمع الروح النغمات اللذيذة والالحان المنسجمة المتناسقة تأثر بها لان الروح تتوق اليها بطبيعتها ويقول فى ذلك " وجه استلذاذ الروح للنغمات العالم الروحانى مجمع الحسن والجمال ووجود التناسب فى الاكوان مستحسن قولا وفعلا ووجود التناسب فى الهياكل والصور ميراث الروحانية فمتى سمع النغمات اللذيذة والالحان المتناسبة تأثر بها لوجود الجنسية "(٢) اى ان الروح لها بطبيعتها حب للجمال وشوق اليه والى النغمات المنسجمة ولذلك تطرب عند سماعها .

ويحاول السهروردى تعليل طرب الروح عند سماع النغمات بطريقة اخرى فيقول : " انما تستلذ الروح النغمات لان النغمات بها نطق النفس مع الروح بالايمان الخفى اشارة ورمزا بين المتعاشقين . وبين النفوس والارواح تعاشق اصلى ينزع ذلك الى انوثة النفس وذكورة الروح. والميل والتعاشق بين الذكر والانثى بالطبيعة واقع ،قال تعالى : " وجعل منها زوجها ليسكن اليها "(٣) وفى قوله سبحانه " منها"

---

(١) عوارف المعارف بهامش احياء علوم الدين للغزالى ، ج ٢ ،ص ٢٦٦ .

(٢) المرجع السابق ،ص ٢٦٧ .

(٣) سورة الاعراف ، آية ١٨٩ .

اشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف والتعاشق . والنغمات يستلذها الروح لانها مناغاه بين المتعاشقين وكما ان في عالم الحكمة كونت حواء من آدم ففي عالم القدرة كونت النفس من الروح الروحاني فاذا استلذ الروح النغمات وجدت النفس " اى صارت في حالة وجد " المعلولة بالهوى وتحركت بما فيها"(١) ويوضح السهروردى في هذا النص ان الروح وهى مذكر تنطق مع النفس وهى مؤنثة بالايمان الخفى وهما متحابان ومتعاشقتان والروح يستلذ النغمات ويطرب لسماعها لانها منجاة بين المتعاشقين واذا استلذت الروح النغمات طربت النفس لها وشعرت بالوجد وانفعلت بانفعال الروح .

وقد سئل الجنيد . مابال الانسان يكون هادئا فاذا اسمع السماع اضطرب ؟ فقال :" ان الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الاول بقوله : " الست بربكم قالوا بلى" (٢) استغرقت عذوبة سماع الكلام الارواح. فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك"(٣) اى ان ارواح بنى ادم خاطبها الله سبحانه وتعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فانطربت الارواح لسماع كلام الله ولذلك فانها عند سماعها الانغام والالحان تتذكر ذلك فيحركها . ويتفق ما ذهب اليه "الجنيد" مع ما قاله "ابومحمد رويم" في تعليل طرب الصوفية للسماع ،واستجابة ارواحهم له ، وتواجدهم عليه اذ قال ما نصه : " ان القوم سمعوا الذكر الاول حين خاطبهم (اى الحق سبحانه وتعالى) بقوله : " الست بربكم " فكمن ذلك

---

(١) عوارف المعارف بهامش الاحيا ،جـ ٢ ،ص ٢٦٧ .

(٢) سورة الاعراف ، آية ١٧٢ .

(٣) القشيرى ، جـ ٢ ، ص ٦٤٣ .

فى أسرارهم ، كما كمن كون ذلك فى عقولهم ، فلما سمعوا كوامن اسرارهم فانزعجوا ، كما ظهرت كوامن عقولهم عند اخبار الحق لهم ذلك فصدقوا"(١).

تلك محاولات من جانب الصوفية لتعليل الطرب والانفعالات النفسية والوجد الذى يستشعره السامع فى نفسه عند سماعه للالحان والاقوال المنظومة وجميعها كما هو واضح اجتهادات غير مؤكدة والاجدر بنا ان نسلم مع من يرى منهم أن ذلك سر من الاسرار الالهية ، قد يعجز الانسان عن تعليله.

وقد حاول الفلاسفة والحكماء ايضا تعليل تأثر الكائنات الحية بالموسيقى فقالوا : ان اصوات الموسيقى ونغماتها وان كانت بسيطة ليس لها حروف معجم ،فان النفوس اليها اشد ميلا ، ولها اسرع قبولا لمشاكله ما بينهما،وذلك ان النفوس ايضا جواهر بسيطة روحانية ،غير مركبة ،ونغمات الموسيقى كذلك ،والاشياء الى اشكالها اميل(٢).

وقالوا ايضا ان البارى جل ثناؤه لما ربط النفوس الجزئية بالاجساد الحيوانية ، ركب فى جبلتها الشهوات الحسية ،ومكنها من تناول اللذات الجرمانية فى ايام الصبا ثم سلبها عنها فى ايام الشيخوخة وزهدها فيها كيما يدلها على الملاذ،والسرور،والنعم التى فى عالمها الروحانى ويرغبها فيها ،فاذا سمعتم نغمات الموسيقى ،فتأملوا اشاراتها نحو عالم النفوس(٣).

---

(١) الكلبازى : التعرف لمذهب اهل التصوف . تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور .

(٢) اخوان الصفا ـ الرسالة الخامسة فى الموسيقى ،ص ١٧٦.

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وقالوا كذلك ان النفوس الناطقة اذا صفت عن الشهوات الجسمانية ،وزهدت فى الملاذ الطبيعية ،وانجلت عنها الاصدية الهيولانية ، ترنمت بالالحان الحزينة وتذكرت عالمها الروحانى الشريف العالى ، وتشوقت نحوه ،فاذا سمعت الطبيعة ذلك اللحن تعرفت للنفس بزينة اشكالها ورونق اصباغها كيما تردها اليها(١).

وغير ذلك من اقوال الحكماء محاولين تحليل او تعليل هذه الظاهرة .

واذا حاولنا ان تقف على تحليل العلم لتلك الظاهرة فاننا نجد بيشا Bichat (٢) قد عرف الحياة عموما بانها مجموعة الوظائف التى تقاوم الموت . معنى هذا ان ما يميز الكائن الحى هو النزوع ، ويتجلى هذا النزوع فى قابلية الكائن الحى للتهيج والتنبيه لمواجهة المهيج او المنبه والرد عليه .

وان هذه القابلية موجودة فى ادنى الكائنات الحية فى جسم الحيوان كله . ثم اخذت تتمايز وتنحصر فى مناطق معينة ،وذلك بترقى الجهاز العصبى فى السلسلة الحيوانية فتكونت الاتها الخاصة ،وهى النسيج العضلى والاعصاب الخاصة بالحركة ،والمشرفة على ردود الفعل العضلية ،من انقباض وانبساط ،وما يترتب عليها من اوضاع واتزان وتوجيه . اذن فالتهيجية هى منشأ الانقباضية Contractillity .

---

(١) اخوان الصفا ، الرسالة الخامسة فى الموسيقى ،ص ١٧٦.

(٢) Xavier Bichat ،عالم فسيولوجى ومشرح فرنسى ولد سنة ١٧٧١ وتوفى سنة ١٨٠٢ عن احدى وثلاثين سنة وله كتاب " التشريح العام" وكتاب " البحوث الفسيولوجية فى الحياة والموت " انظر د. يوسف مراد ، مبادىء

والى جانب خاصية الانقباض نشأة خاصية التنبيه وكانت هى ايضا فى بادىء الامر غير متميزة شائعة على سطح الجسم بشكل حالة التماس ،ثم اخذت تتمايز وتتخصص فتكونت الالتها الخاصة ،وهى أعصاب الحس وسائر الحواس التى تنتهى عند نهاية أطراف هذه الاعصاب ،وان الحس والحركة مرتبطان ارتباطا وثيقا . ويمر التنبيه الحسى بعدة مراحل قبل ان يتحول الى الحركة (١).

ولن اطيل الحديث فى التفاصيل ،وانما اكتفى بالاشارة الى المراحل الثلاث التى تتم فيها دراسة الاحساس او تأثر السامع بصفة خاصة بما يسمعه من الموسيقى والغناء. وهذه المراحل هى :

(١) مرحلة الشروط الفزيائية :

لا يؤثر المنبه الحسى (الموسيقى والغناء الا اذا مس العضو الحاس (الاذن باجزائها المختلفة) ويكون هذا التماس فى حالة السمع غير مباشر .

(٢) مرحلة الشروط الفسيولوجية :

وهى تنقسم الى ثلاث مراحل وهى :

(أ) انفعال العضو الحاس (الاذن) واستقبالها للانغام والالحان وهى ما يسمى بالتنبيهات وتركيزها ثم تحليلها وتفهم معانى المسموع .

---

(١) انظر د.يوسف مراد ،مبادىء علم النفس العام ،ص ٥٥ الى ص ٦٨ لمعرفة مزيد من التفاصيل العلمية .

(ب) توصيل التنبيه بواسطة العصب المورد، وتختلف مدة انتقال التنبيه باختلاف الاعصاب وما يعترض طريقها من تسهيلات او عقبات فسيولوجية . وهذا يعنى ان هناك فروق فردية فى الاستجابة للسماع بالنسبة للمستمعين من الناحية الفسيولوجية .

(ج) ان الاحساس او ادراك المحسوس او المسموع من الالحان والنغمات وغيرها من الاصوات لا يتم الا فى المراكز العصبية .

(٣) المرحلة النفسية :

وهى مصاحبة لانفعال المركز العصبى . وهى التأثير النفسى الذى يحدثه المنبه الخارجى وهو السماع. او هى بمثابة تحول التنبيه الى احساس نفسى. وكما سبق القول ان المنبه الخارجى او السماع لا يخلق احاسيس جديدة فى نفس السامع وانما هو فقط يثير الاحاسيس الكامنة (١) .

ننتهى من ذلك الى ان النفس تطرب لسماع الالحان لان الانسان كائن حى قابل للتهييج والتنبيه . ما دامت تتوفر فيه الشروط الفزيائية والنفسية والفسيولوجية اللازمة . فاذا توفرت فى السامع ووجد المنبه وهو السماع او الموسيقى والغناء والالحان الجميلة حدث الطرب والانفعال والوجد .

وهكذا نجد تحليل علماء النفس لظاهرة انفعال السامع بما يسمع وهى تصف ما يحدث للكائن الحى عند السماع او ما يحدث فى عملية السمع وليس تعليلا وتوضيحا لاسباب هذا الانفعال. ومن هنا يمكن القول ان الانسان وغيره من الكائنات الحية تنفعل بالسماع انفعالات مختلفة وبدرجات متفاوتة

---

(١) انظر د. يوسف مراد . مبادئ علم النفس العام ،ص ٦٧ ،

وتطرب به ولا خلاف على ذلك وانما معرفة علة هذا الطرب فهي سر من اسرار الله وقد ذكرنا محاولات الصوفية والحكماء والعلماء لتعليل ذلك .

اما اختلاف درجات السامعين وتفاوت انفعالاتهم بالسماع فذلك ما سنتبينه عند تناول درجات السامعين ومقاماتهم .

(٥) **مقامات السامعين فى الفهم والوجد :**

عرفنا ان الصوفية يصطنعون السماع للوصول الى حالة من الاستعداد النفسى يشعر الانسان لحظتها ان قلبه معلق بالله وان روحه تميل الى الاتصال به تعالى وانه بكل كيانه وجميع جوارحه ينجذب بحب وشوق الى الحضرة الالهية فيقشعر بدنه ويهتزلغلبة الشوق عليه وقد تصدر عنه صيحة او تفيض عينيه بالدموع ويغمر قلبه الوجد وتهيم روحه فى عالم الملكوت فيفنى عما حوله ويفنى عن نفسه ويبقى بالله .

فالسماع وسيلة لاستحضار الوجد والبقاء فى حالة نفسية خاصة تهيمن على السامع بحسب حاله الخاص ودرجته ومقامه .

اذن حقيقة السماع هى تنبيه القلب على حقيقة المسموع وفى ذلك يقول الغزالى ما نصه : " فان القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجوهر ، وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار فى الحديد والحجر واختفيت كما اخفى الماء تحت التراب والمدر ، ولا سبيل الى استثارت خفاياها الا بقوادح السماع ولا منفذ للقلوب الا من دهاليز الاسماع فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها ،وتظهر محاسنها او مساويها ،فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يرشح الاناء الا بما فيه ... فالسماع للقلب محك صادق

ومعيار ناطق فلا تصل نفس السالك اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه "(١).

ولما كان السماع يظهر خفايا القلوب واسرارها ـ كما اتضح لنا ـ وكانت تلك الخفايا تختلف من قلب الى اخر اختلفت درجات السماع تبعا لذلك وتباينت مقامات السامعين وللمستمع عامة اربعة احوال هي :

(١) مستمع يستلذ بالنغمات والاصوات بمجرد الطبع دون فهم المسموع ، وهذا مباح وان كان يعد من اخس مراتب السماع لان تلك الدرجة من السماع يشاركه فيه الحيوانات التى تطرب لسماع الاصوات العذبة والنغمات الموزونة دون ان تفهم ما يقال وهذا السماع من اللهو المباح لا ضرر فيه.

(٢) مستمع يستلذ ما يسمع ويفهم معانى الكلمات غير انه ينزله على ما تقتضيه شهواته واحواله وهذا النوع من السماع اقل درجة من سابقه لان صاحبه يسقط ما يسمع على ما حرم عليه مما يثير شهواته وهذا هو سماع الشبان او الشابات الذين ينزلون ما يسمعون على من لا يحل لهم فيثيروا بذلك ما يكمن فى نفوسهم من الشهوة وهو محرم لانه قد يؤدى الى الوقوع فى المعصية .

(٣) مستمع يستلذ النغمة ويفهم العبارات وينزل ما يفهم على احواله فى معاملاته مع الله تعالى فمثلا اذا سمع شيئا من العتاب او القبول او الهجر او الوصل او القرب او البعد او غيرها فانه ينزله على احواله مع الله وهذا ما يسميه الصوفية " سماع بالحال " ويسمى صاحبه سامع بحاله.

(٤) مستمع بربه وهو يسمع فى حال الغناء من الله وهو اعلى درجات السماع والوجد وصاحبه لا ينزل ما يسمع على

أحوال نفسه وانما يكون غافلا عن نفسه واحوالها وغافلا عما يقالويباقيابالله يأخذ عنه ما يفيضه على قلبه من المعرفة الذوقية .

وقد جعل الغزالى اول درجات السماع فهم المسموع وتنزله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح وسنتبين ذلك بشئ من التفصيل .

(١) الفهم :

ويقصد به فهم معانى المسموع وادراك المستمع له والفهم له الاهمية الاولى فى اثمار السماع وهو يختلف باختلاف احوال السامعين النفسية ودرجة قربهم من الله ويرى امامنا ان للسامع احوال اربعة تؤثر على مدى ادراكه العقلى لما يسمع وهى :

- ان يكون السماع بمجرد الطبع .
- ان يفهم معانى المسموع وينزله على صورة انسان.
- واما ان تنزل السامع ما يسمعه على احوال نفسه فى معاملته لله .
- سماع من جاوز الاحوال والمقامات وفنى عن نفسه وبقى بالله .

وسنتحدث عن كل حال من هذه الاحوال كما تبيناها عند الغزالى .

(١) سماع بمجرد الطبع بحيث ان السامع لا يكون له حظ فى السماع الا ان يطرب للالحان ويتلذذ بالانغام ويستمتع بالاصوات الحسنة . وهذا السماع وان كان مباح لا حرمة فيه الا انه اقل درجات السماع لان المستمع فى هذه المرتبة يتساوى مع الحيوانات التى تطرب لسماع النغمات وتستلذها

دون ان تتأثر بمعانيها وتدرك مراميها ويقول الغزالى فى ذلك: " سماع بمجرد الطبع اى لا حظ له فى السماع الاستلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو أخس رتب السماع اذ الابل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعى هذا الذوق الا الحياة فلكل حيوان نوع تلذذ بالاصوات الطيبة"(١).

ومثال هذا النوع من المستمعين . كمن يسمع الغنيات بلغات اجنبية لا يعرفها ويطرب لسماعها .

(٢) واما ان يكون السامع فاهما لمعانى المسموع ولكنه ينزل ما يسمع على صورة انسان اى يتخيل اثناء سماعه وتفهمه لمعانى المسموع صورة انسان وينزل ما يفهم من معانى عليه سواء كان هذا الانسان معروفا له او غير معروف.

وهذا السماع يكون للشباب الواقع تحت تأثير الشهوات وهم ينزلون ما يسمعون على حسب شهواتهم واغراضهم ويرى امامنا ان هذه الحالة اخس من ان يتكلم فيها الا ببيان خستها والنهى عنها(٢).

(٣) واما ان ينزل السامع ما يسمعه على احوال نفسه فى معاملته لله تعالى وتقلب احواله فى التمكن مرة وفى التعذر مرة اخرى فيكون هذا سماع المريدين المبتدئين فان للمريد مقصودا هو معرفة الله تعالى والتقرب اليه .ولتحقيق هذه الغاية السامية يسلك طريق المجاهدات والرياضات العملية والروحية .

---

(١) احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ويتحقق بمقامات الصوفية واحوالهم . فاذا سمع الغناء الذى يتحدث عن الشوق ، او الوحشة ، او الانس او الوفاء ، او القرب او البعد ، او قرب الوصال ، او غير ذلك مما تصفه الاشعار من الاحوال التى تجد لها صدا قويا فى نفسه وتبعث فيه الشوق والوجد وتكون كالقدح الذى يشعل نيران قلبه وتجعله يشعر باحوال مخالفة لاحواله العادية وهذا المقام من السماع يسمى " السماع بالحال " .

ويذهب الغزالى الى ان المريد فى سماعه للقصائد اى كانت عباراتها ينزل الالفاظ على احواله بصرف النظر عن مراد الشاعر من هذه الالفاظ فهو يفهم معانى هذه الاقوال حسب احواله الخاصة التى تكون مخالفة لما لها من مفاهيم ظاهرة فاذا سمع ابيات فيها ذكر الخد والفم والصدغ فانه لا يدرك منها معانيها الظاهرة بل يفهم منها معانى خاصة تتفق واحواله التى يستشعرها فى لحظة السماع ويضرب الغزالى امثله على ذلك بقوله : " حكى ان بعضهم سمع قائلا يقول :

قال الرسول غدا نزو ... ر فقلت تعقل ما يقول

فاستفذه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة فلما افاق سئل عن سبب وجده مم كان ؟ فقال : تذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان اهل الجنة يزورون ربهم فى كل جمعة مرة "(١).

---

(١) انظر الاحياء ج ٢ ،ص ٢٨٥ ـ وانظر حديث ان اهل الجنة يزورون ربهم كل جمعه ،رواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابى هريرة وقال عبد الحميدبن حبيب بن ابى العشرين انه مختلف فيه ، انظر المرجع السابق نفس الصفحة .

ويروى امامنا ايضا ما حكى عن ابن الدارج انه قال " كنت مارا انا وابن الفوطى على دجله بين البصره والايلة فاذ بقصر حسن له منظره وعليه رجل بين يديه جارية تغنى وتقول :

كل يوم تتلون　　　غير هذا بك أحسن

فاذا شاب حسن تحت المنظره وبيده ركوه وعليه مرفعة يستمع وطلب من الجارية ان تعيد عليه هذا البيت فاعادته فقال الشاب : هذا والله تلونى ، مع الحق فى حالى. فشهق شهقة ومات"(١).

ويعول الغزالى على اهمية معرفة صفات الله معرفة تامة لمن ينزل سماعه على الله تعالى حتى لا يخطر بباله ما يستحيل على الله ويكون ذلك سببا لكفره ويقول امامنا فى ذلك " ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه ينبغى ان يكون قد احكم قانون العلم فى معرفة الله ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السماع فى حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به "(٢)، ومن هنا كان سماع المريد المبتدىء فى نظر شيخنا خطر وخطأ لعدم المامه التام بصفات الله ومعرفة هذه الصفات حق المعرفة الا اذا انزل ما يسمع على حاله دون ان يتعلق ذلك بوصف الله سبحانه وتعالى ويقول شيخنا لتوضيح ذلك " والخطأ فيه (اى فى سماع المبتدىء) هذا البيت بعينه(٣) فلو سمعه فى نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلون الى الله تعالى فيكفر وهذا قد يقع عن جهل . فالحق سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون"(٤).

---

(١) الاحياء ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٣) البيت هو ـ كل يوم تتلون　　　غير هذا بك أحسن

(٤) [illegible]

وحقيقة الخطر الذى قد يحدث للمبتدىء من انزاله ما يسمع على الله تعالى مع جهله بصفاته عز وجل هو مخالفته التأدب مع الله بسره . ولذلك قيل لا يقوى عليه الا العلماء الراسخون فى العلم ، بل ان الغزالى يذهب الى ان خطر هذا النوع من السماع قد يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة لان هذا الاخير يؤدى الى المعصية اما سماع المريد المبتدىء عن جهل وانزاله ما يسمع على صفات الله دون معرفة ذوقيه بها فذلك يؤدى الى الكفر وهو اخطرواعظم من المعصية ويقول الغزالى " ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع رأسا برأس ففى هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فان غاية ذلك معصية . وغاية الخطأ هنا كفر"(١).

ولابن الجوزى البغدادى رأى خاص فى القول بانكار السماع على المريد المبتدىء حيث يقول " وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدىء السماع لعلمهم بما يثير من قلبه ... قال الجنيد اذا رأيت المريد يسمع فاعلم ان فيه بقايا من اللعب ... وقال ابوالحسن النورى اذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل الى الرفاهيه فلا ترج خيره ،هذا قول مشايخ القوم وانما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين : احدهما : سوء ظن العوام بقدمائهم لانهم يظنون ان الكل كانوا هكذا . والثانى:انهم جرأوا العوام على اللعب . فليس للعامى حجة فى لعبه الا انه يقول فلان يفعل كذا"(٢) فهو يستشهد باقوال كبار الصوفية الاوائل على ان الصوفى الصادق الحال لا يحفل بالسماع ولا يطلبه .

---

(١) الاحياء ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٢) تلبيس ابليس ،ص ٢٤٧ .

وما قاله الغزالى عن السماع بالحال يشبه ما قاله أبو نصر السراج الطوسى وما نصه " ان الذى يسمع بحاله يتأمل اذا سمع ، حتى يرد عليه معنى من ذكر عتاب او خطاب ،او ذكر وصل ، او هجر ،او قرب ،او بعد ،او تأسف على فائت ، او تعطش الى ما هو آت ،او ذكر طبع ،أو بأس او بسط ،او استئناس ،او خوف الافتراق ،او وفاء بعهد، او تصديق بوعد او نقض للعهد ،او ذكر قلق ،او اشتياق او فرح الاتصال ،او ترح الانفصال ،او التحسر على ما لم ينل ، او القنوط على الذى آمل ،او ذكر صفاء المحبة او التمكن فى المودة ، او ذكر اعتراض الصبوة بعد تمكنه من الخطوة ،او ذكر محافظة الرقيب عند ملاحظة الحبيب او تباريح الشجون وفنون الفتون ، فاذا طرق سمعه من ذلك حال مما يوافق حاله فيكون كالقدح يقدح فى سره على قدر قوة ارادته فيعجز عن الضبط "(١).

(٤) اما الدرجة الرابعة فهى أعلى المقامات وهى السماع بالحق ومن الحق ، لا يلتفت صاحبها الى الاحوال السابقة • وعندما يسمع يغنى عن بشريته وعن حظوظ نفسه واحوالها فهو لا يلتفت اليها وان كانت احوال شريفة الا انها ممزوجة بحظوظ البشرية فالسماع بالحق يكون سماع اصحابه بالله ولله ومن الله والى الله• فهم قد تجاوزوا احوال النفس • وعبروا الى الحقائق وفنوا فى الافعال والاقوال ووصلوا الى محض الاخلاص وصفاء التوحيد فخمدت بشريتهم وفنيت حظوظهم ،وبقيت حقوقهم ، فشهدوا موارد الحق بلا علة ولاحظ للبشرية ، واطلعتهم تلك الموارد على اسرار حكمته وأرتهم اثار قدرته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء(٢).

---

(١) ابو نصر السراج الطوسى ، اللمع ، ص ٢٧٨ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٨ •

يقول الغزالى عن هذا المقام " سماع من جاوز الاحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص فى بحر عين الشهود الذى يضاهى حالة حال النسوة اللاتى قطعن ايديهن فى مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط احساسهن[(١)].

وفى هذه الحالة يكون السامع قد فنى عما حوله وفنى عن نفسه وبقى بالله الواحد لا يشهد الا هو .

ومن وصل الى هذا الحال فان قلبه اذا فنى عما حوله التفت الى نفسه واذا فني عن نفسه وشاهد الحق التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد وهنا يكون قد غفل عن الشهود لانه فى حال استغراقه فى الشهود يجب الا يلتفت الى شهوده ولا الى رؤيته ولا الى عينه التى بها رؤيته ولا الى قلبه الذى به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والمتلذذ لا خبر له من التذاذه وانما خيره من المستلذ به فقط كما يقول امامنا" [(٢)].

ويستشهد الغزالى بما حدث للصوفى ابى الحسن النورى عندما سمع فى مجلس السماع هذا البيت :

مازلت أنزل من ودادك منزلا
تتحير الالباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع فى حقل قصب قد قطع وبقيت فى الارض جذوره مثل السيوف فصار يعدو فيها

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ويردد البيت الى الغداة والدم يسيل من رجليه حتى تورمت قدماه وساقاه وعاش بعدها ايام ومات(١).

ويرى الغزالى ان هذه درجة الصدقين فى الفهم والوجد وهى عنده اعلى الدرجات لان السماع ينزل فيها على الاحوال الشريفة والدرجات الكاملة فيفنى صاحبها بالكلية عن نفسه ويغنى عن احواله فلا يكون له التفاتا اليهافيسمع بالله ولله وفى الله ومن الله . ويقول الشيخ فى ذلك " وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبقى فيه منه شئ اصلا بل جمدت بالكلية بشريته وفنى التفاته الى صفات البشرية رأساء وليست أعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست اعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبةخفية وراءها سر الروح الذى هو من امر الله "(٢).

وهذه الاثار القلبية والمشاعر الداخلية الناجمة عن السماع يعرفها اصحابها الذين عاشوها وتذوقوها ويجهلها من لم يخوض التجربة فلا يعرف حلاوة العسل الا من ذاق ولذلك يقول الغزالى " عرفها من عرفها وجهلها من جهلها(٣).

ويصور السهروردى البغدادى درجات السامعين وتفاوت هذه الدرجات قائلا " وقد مثل بعض الحكماء تفاوت الناس

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

فى الاستماع وقال : ان الباذر خرج ببذره فملأ منه كفه فوقع منه شئ على ظهر الطريق فلم يلبث ان انحط عليه الطير فاختطفه ، ووقع منه شئ على الصفوان وهو الحجر الاملس عليه تراب يسير وندى قليل فنبت حتى اذا وصلت عروقه الى الصفا لم تجد مساغا تنفذ فيه فيبس ، ووقع منه شئ فى ارض طيبة فيها شوك نابت فنبت فلما ارتفع خنقه الشوك فافسده واختلط به ، ووقع منه شئ فى ارض طيبة ليست على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فنبت ونما وصلح" (١) .

ويرى السهروردى ان مثال الباذر مثال الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ما وقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد ان يسمعه فما يلبث الشيطان ان يخطفه من قلبه فينساه ، ومثل الذى وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تمضى الكلمة الى قلبه ليس قبه عزم فينسخ من قلبه ومثل الذى وقع فى ارض طيبة فيها شوك مثل الرجل يسمع الكلام وهو ينوى ان يعمل به فاذا اعترضت له الشهوات قيدته عن النهوض بالعمل فيترك ما نوى عمله لغلبة الشهوة ، ومثل الذى وقع فى ارض طيبة مثل المستمع الذى ينوى عمل ما يفهمه ويعمل به ويجانب هواه . وهذا الذى جانب الهوى هو الصوفى" (٢) .

ومن الصوفية الذين تحدثوا عن مقامات السامعين محى الدين بن عربى الذى ذهب الى ان للسماع حالات ثلاث هى :

---

(١) عوارف المعارف على هامش احياء علوم الدين للغزالى ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

(٢) المرجع السابق ،نفس الصفحة .

الحال الأول :

ان الانسان " السامع " اذا كان صاحب صدق فانه اذا ورد عليه شيئا والقى اليه فاشتعل الروح ومعه تتحد الجوارح وينحرف الطبع ويتغير المزاج فان الجسم اشتغل منه حافظ بما يلقى اليه . فاذا انصرف عنه النور الملكى سرى عنه . وقد عرق جبينه واحمر وجهه وقام كأنه نشط من عقاله وهى المحادثة ولاولياء الله فى هذا شرب شهى ويقول : " متى اشتد الحال على الانسان وغاب وجود الحس فان حصل له فى تلك الغيبة علم يعقله هناك . ويعقله اذا رجع الى حسه (اى علم بعقله فى حال الغيبة والفناء وفى حال الصحو والبقاء) ويعبر عنه على قدر ما اعطاه تعالى من العبارة فذلك هو الحال الالهى ويمتلىء القلب عند الافاقة سرورا وربما عرقه ابرده فذلك حال صحيح"(١).

وهذا يعنى ان السامع الصادق الحال اذا تواجد حتى فنى عن نفسه ووردت عليه الواردات والمعارف الالهية وعقلها فى حال الغيبة والفناء وظل عاقلا لها فى حال الصحو والبقاء واستطاع ان يعبر عن تلك المعارف على قدر ما اعطاه الله من العبارة فان حاله يكون حال صحيح وهو يشعر عند صحوته وافاقته بسعادة لا متناهية فقد كان سماعه من الله فهو سامع بربه .

---

(١) محى الدين بن عربى : شمس الطريقة فى بيان الشريعة والحقيقة ـ مخطوط بالمكتبة الازهرية يحمل رقم (١٢٧٢ خاص ٤٣٠١٠ عام) آداب شرعية ل ٢٤ و .

والحال الثانى :

اذا غاب السامع وفنى عن نفسه ثم عادالى البقاء بعد الفناء دون ان ينعم بمعرفة ذوقيه من لدن الله فذلك حال من حمى قلبه بالذكر واسقط ما سمعه علىاحواله الشريفه حتى تواجد وفنى عن نفسه ولكنه لم يجنى ثمرة الاتصال وهو حال صحيح ومقام شريف وهو اقل مرتبة من المقام السابق يقول عنه ابن عربى ما نصه :" وان غيب ثم رد ولم يجد شئ الا انه اخذ عنه لقبضه . قبض عليه لم يتم له فائدة . ولكن غاب عن حسه فهذا حال من المزاج لما حمى القلب بالذكر او بالتخيل صعد منه البخار من التجويف الكبير الى الدماغ فحجب العقل ومنع الروح الحيوانى ورمى بصاحبه كالمصروع . فهذا حال صحيح ولكن من المزاج. ليس فيه فائدة. ولهذا اذا سألته . يقول : رأيت كانى كسيت برنسا آسود وسحابة مرت على عينى فعميت وهو ذلك البخار الذى ذكرناه "(١).

آما الحال الثالث :

فهو حال المدعى للطريق الذى يجلس فى مجلس السماع وهو ينكره يسخر منه الشيطان فيوسوس له ويتصور ان ما يلقيه اليه علوم ومعارف وهى سموم ووساوس فلا يعول على ما يقول فى تلك الحالة حتى ولو صادف الصحة فيما يقول لانه جاهل بالطريق ولا يمكنه التفرقة بين الحق والباطل ويقول فى شأن صاحب هذا الحال : " الكذاب الذى يعقل أهل

---

(١) محيى الدين بن عربى : شمس الطريقة فى بيان الشريعة والحقيقة . مخطوط بالمكتبية الازهرية تحت رقم (١٢٧٢ خاص- ٤٣٠١٠ عام) آداب شرعية ل ٢٤ ظ .

مجلسه فى السماع وفى حال خلوته ينكره فهذا صاحب وسوسه وحديث نفس وقد سخر به الشيطان • فكلما يلقى اليه يتخيل انها علوم وهى سموم فلا يعول على كل ما يخاطب به فى هذه الحالة ولو صادف الصحة فيها • فعلم ان هذه المسألة اصل عظيم عند السادة الصوفية نفعنا الله بهم فلا يعول على ما يخاطب به هذا الجاهل بطريق الحق فانه لا يحسن يفرق بين الحق والباطل "(١).

وصاحب هذا الحال الذى هو ادنى الاحوال والدرجات لانه خضع لوساوس الشيطان يقول عنه انه على احدا وجهين :

اما ان يغيبه الشيطان عن نفسه ويكون كالمصروع ولكن لا يلقى اليه شئ لانه لا يقوى على الاخذ عنه •

واما ان بغيبة ويلقى اليه ويكون فى باطنه حراره واستعداد للمخاطبة فيوسوس له ولو علم هذا الجاهل ان مخاطبة الحق لا تدرك احساسا وليست بالوهم ولا بالتخيل ولا بالاستعداد ولا بالانتظار ولا بخاطر بالباطل ولا ببقاء الحس لرجع جهله •

وينصح ابن عربى السامع فى هذا الحال بالرجوع الى شيخه يرشده ويوجهه كما ينصحه الا يقبل من الالقاء ان اراد الصحيح الا ما حصل له فى حال الفناء الكلى عن نفسه وحسه من غير تمثل ولا حس سوى مجرد الفهم بما يكون منه وان سر

---

(١) محيى الدين بن عربى : شمس الطريقة فى بيان الشريعة والحقيقة ، مخطوط بالمكتبة الازهرية تحت رقم (١٢٧٢ خاص - ٤٣٠١٠ عام) آداب شرعية ل ٢٤ ظ

(٢) المرجع السابق ، نفس اللوحة •

المشاهدة للبهت ، وسر الكشف للعلم وسر البقاء للادب وسر الفناء للتوحيد ، وسر القبض للافتقار ، وسر البسط للسؤال "(١).

وقال ابونصر السراج الطوسى : أهل السماع على ثلاث طبقات :

- قوم يرجعون فى سماعهم الى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون وهؤلاء فى اعلى الدرجات وهم اصحاب السماع الربانى .

- وقوم يرجعون فيما يسمعون الى مخاطبات احوالهم ومقامهم واوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون لله من ذلك وهذا هو السماع بالحال .

- وقوم هم الفقراء المجردون الذين قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والجمع والمنع فهم يسمعون لطيبة قلوبهم فهم اقرب الناس الى السلامة واسلمهم من الفتنة لطيب قلوبهم . وهؤلاء هم السامعون المؤمنون الذى يثير فيهم سماع الالحان والانشاد الدينى هيبة وخشوع ويرقق قلوبهم غير انهم لا ينزلون ما يسمعون على احوالهم مع الله وانما يزيدهم السماع قربا من الله وعشقا وشوقا واصحاب هذا المقام اقرب الناس الى السلامة وابعدهم عن الفتنة وان كانت درجاتهم اقل من السابقين وهو ما يسميه الصوفية سماع بالعقل . ثم يقول " كل قلب

---

(١) محيى الدين بن عربى : شمس الطريقة فى بيان الشريعة والحقيقة . مخطوط بالمكتبة الازهرية تحت رقم (١٢٧٢ خاص - ٤٣٠١٠ عام) آداب شرعية ل ٢٤ ظ .

ملوث بحث الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف"[(١)] وهؤلاء هم اللاهون وتلوثتقلوبهم بحب الدنيا فسماعهم سماع طبع وتكلف.

وقال الشيخ ابوبكر الكنانى " سماع العوام متابعة الطبع " اى ان العوام يسمعون الغناء بما يوافق طبعهم وهواهم وحبهم للهو والمتعة والاستلذاذ . اما سماع المريدين فقال عنه " سماع المريدين رغبة ورهبة وسماع الاولياء رؤية الالاء والنعماء وسماع العارفين على المشاهدة وسماع اهل الحقيقة على الكشف والعيان " ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام[(٢)].

وذهب الامام السيد احمد الرفاعى الى ان القوم سمعوا وطابوا ولكنهم سمعوا احسن القول فاتبعوه وسمعوا غير الحسن فاجتنبوه وانهم تحلقوا وفتحوا مجالس الذكر وتواجدوا وطابت نفوسهم وصعدت ارواحهم . لاحت عليهم بوارق الاخلاص حالة ذكرهم وسماعهم ترى احدهم كالغائب على حال الحاضر. كالحاضر على حال الغائب يهتزون اهتزاز. الاغصان التى تحركت بالوارد لا بنفسها . ويقولون لا اله الا الله " ولا تشتغل قلوبهم بسواه ، يقولون " الله " ولا يعبدون الا اياه. يقولون " هو " وبه لا بغيره يتباهون[(٣)]

ويقول فى درجات السامعين الذاكر سمع الحادى يذكر اللقاء فطاب بطلب لقاء ربه . من احب لقاء الله

---

(١) انظر السهروردى. عوارف المعارف على هامش الاحياء للغزالى ج ٢ ، ص ٢٥٢.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) انظر الطوسى : اللمع ، ص ٢٧٩ .

احب الله لقاءه . سمع الحادى يذكر الفراق فتأهب للموت وتفرغ من حب الدنيا . حب الدنيا رأس كل خطية . سمع الحادى يذكر الصالحين فتقرب بحب احباب الله الى الله[١] وهذا هو السماع بالحال الذى يسقط فيه السامع ما يسمع على احوال نفسه وفق ما يكمن فى قلبه وقد انشد فى ذلك قوله[٢] :

غنى بهم حادى الاحبة فى الدجى
فأطار منهم أنفسا وقلوبا
فاراد مقطوع الجناح بثينه
وهم آرادوا الواحدالمطلوبا

اما عن السامعين بربهم فيقول عنهم" طاروابأجنحة الارواح فسارت بهم ودنت فتدلت .. خلصوا فتخلصوا من قيد الرقية ووصلوا الى مقام الحرية ما ملكتهم الاغيار كلا بل هم الاحرار[٣] . وهذا يعنى ان هؤلاء هاموا فى حب الله وفنوا فيه فكان سماعهم منه بعد ان تخلصت ارواحهم من قيود الاحوال والاقوال فصعدت ارواحهم الى مقام الحرية ولم يعد يؤثر فيهم قول القوال وانما هم فى هذا المقام تحرروا عن انفسهم وفنوا عما حولهم وبقوا بالله يأخذون عنه ويسمعون منه .. وهذه اعلى درجات السماع فهؤلاء هم العارفون بالله تعالى فى الازل المتحابون فيه الذاكرون له المهيمون به عن غيره فسمعوا بلا رسم ولا صفه .

---

(١) ابو البركات ،روض الاسماع فى احكام الذكر والسماع ،ص ٧١.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

أماالذين يدعون السماع والوجد فيقول فيهم احمد الرفاعى : " السماع الذى يرقص فيه الراقص بغير قلب ونجاسة النفس لطخته كيف يحسب برقصه ونقصه من الذاكرين ... لله ملائكة جرد مرد تحت العرش يرقصون ويذكرونه تعالى وتعتزون لذكره . هذه ارواح رقصت بالله ولله وانت يا مسكين ترقص بنفسك لنفسك اولئك الذاكرون وانت المغبون المفتون . سمى القوم الهز بالذكر رقصا اذا كان وارد الهز من الروح فنسبوا الرقص للروح لا للجسم والا فأين الراقصون واين الذاكرون طلب هؤلاء حق وطلب هؤلاء ضلال ... شتان بين مشرق ومغرب الراقصون كذابون ،والذاكرون مذكرون وبين الملعون والمحبوب بون عظم"(١).

فكل سامع يسمع بما يوافق طبعه وحاله ويفهم من السماع ما تنتهى اليه همته وعلى قدر العزم تأتى العزائم

كما قسم عبدالوهاب الشعرانى الصوفى المصرى (٨٩٨ هـ - ١٤٩٠ م / ٩٧٣ هـ - ١٥٦٥ م) درجات السماع الى ثلاث درجات سامع بنفسه وسامع بعقله وسامع بربه .

والسامع بنفسه يتأثر بالنغمات الطيبة والاصوات الحسنة وعندما يسمعها يتحرك لقلبه الحال حتى يصل الى الفناء وصاحب النفس لا يأتى بعد الحركة والفناء بعلم فسماع النفس ليس فيه علم .

وسامع بعقله لا تصدر عنه حركة اثناء السماع وتكون علامته البهت وخمود البشرية .

---

(١) السيدمحمد ابوالهدى المكنى بابى البركات . روض الاسماع فى احكام الذكر والسماع ، ص ٧٢ .

وسامع بربه فى اعلى الدرجات لا تصدر منه حركة ويستلقى على الارض ويفنى فى الله ويفيض عليه ربه العلم والمعرفة الوهبية (١).

وقد سبق الشعرانى الى هذا التقسيم لمقامات السماع ابن القيم الجوزيه حيث قال : " وأصحاب السماع منهم من يسمع بطبعه ونفسه وهواه ، فهذا حظه من مسموعه ما وافق طبعه ومنهم من يسمع بحاله وايمانه ومعرفته وعقله فهذا يفتح له من المسموع بحسب استعداده وقوته ومادته ،ومنهم من يسمع بالله لا يسمع بغيره كما فى الحديث الالهى الصحيح (فبى يسمع وبى يبصر) وهذا اعلى سماع" (٢).

وذلك المقام الاخير من السماع وهو السماع الالهى لا تصدر من صاحبه حركة اثناء السماع بل يأخذ السماع طريقه الى قلبه فيسعده ويشوقه الى ربه ويسمو بروحه الى حقيقة الحقائق فيثير فى سامعه مشاعر واحساسيس ترفع همته وتقوى عزيمته فيتجه بكليته الى الله تعالى ولا يرى ولا يسمع غير الله شيئا اخر فيكون السماع له بمثابة الدليل والداعى فما يلبث ان يلبى الدعوة ويسترشد بالدليل فيهديه الى حضرة الحق وتشرق عليه انواره تعالى وتفيض عليه الفيوضات الالهية فما يلبث السالك ان يستلقى على ظهره ويفنى عما حوله ويفنى عن نفسه ويبقى بالله .

---

(١) عبدالوهاب الشعرانى ، كشف القناع عن وجه السماع مخطوطة بمكتبة الازهر رقم ٩١٧ خاص - ٣٣٤٤٤ عام ، تصوف - حليم ل ٢١٤ ظ .

(٢) ابن القيم الجوزيه ، مدارج السالكين ،طبعة اولى، ج ١ ،ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

ويقول الشعرانى عن صاحب هذا المقام ما نصه :"واذا جاء الوارد الالهى واشتغل الروح الانسانى عن تدبيره بما يتلقاه من الوارد الالهى من العلوم الالهية ، ثم يبقى الجسم لا يجد من يحفظ عليه القيام والقعود فيرجع الى اصله وهو لصوقه بالارض ، المعبر عنه بالاضطجاع ،فاذا فرغ روحه من ذلك التلقى رجع الى جسده فاقامه من ضجعته"[(١)].

وقال ابوعثمان الحيرى : السماع ثلاثة اوجه :

فوجه منها للمريدين المبتدئين يستدعون بذلك الاحوال الشريفة ويخشى عليهم فى ذلك الفتنة والمرآءاة.

والثانى : للصادقين يطلبون الزيادة فى احوالهم ويستمعون من ذلك ما يوافق اوقاتهم .

والثالث لاهل الاستقامة من العارفين فهؤلاء لا يختارون على الله تعالى ما يرد على قلوبهم من الحركات والسكون[(٢)].

وكان ابوعلى الدقاق الصوفى يقول الناس فى السماع ثلاثة : متسمع ، ومستمع ، وسامع فالمتسمع يسمع بوقت، والمستمع يسمع بحال ، والسامع يسمع بحق .

---

(١) عبدالوهاب الشعرانى ، كشف القناع عن وجه السماع ل ٢١٣ و .

(٢) الرسالة القشيرية ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٢) حقيقة الوجـــــد :

الوجد من آثار السماع كما ذكرنا فما حقيقة الوجـــد كما يراها الصوفية ؟. قال ذو النون المصرى : (السمـــاع وارد حق جاء يزعج القلب الى الحق فمن اصغى إليه بحـــق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق)[١] فالوجد فى هـــذا التعريف يعنى انزعاج القلب الى الحق وهذا الانزعاج مـــا هو الا شعور يجده الصوفى فى نفسه من أثر السماع لمن كـان صادق الحـــال .

وقال ابوالحسين الدارج عن الوجد: " الوجد عبـــارة عما يوجد عند السماع" وعبر عما يشعر به من وجد عنـــد السماع من خلال تجربته الخاصة قائلا : " جال بى السماع فى ميادين البهاء فأوجدنى فى وجود الحق عند العطاء فسقانـى بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء واخرجنى الـــــى رياض التنزه والفضـــاء"[٢].

وقال عمر بن عثمان الملكى : " لا يقع على كيفيـــة الوجد عبارة (اى لا يمكن للالفاظ والعبارات التعبير عـــن حقيقته) لانه سر الله عند عباده الموقنين المؤمنين "[٣] وقيل ايضا ان الوجد هو مكاشفات الحق[٤].

وقال عنه ابوسعيدبن الاعرابى : " الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة الســر

(١) الغزالى ، احياء علوم الدين ، جـ ٢ ،ص ٢٨٩ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وايناس المفقود وهو فناؤك من حيث أنت "[1] وقال ايضا : " الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع فى قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب[2].

ويذهب ابوسعيد الى ان الذى يحجب عن الوجد رؤية آثارالنفس والتعلق بالعلائق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها ، فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق الصفا ونجعت الموعظة فيه ، وحل من المناجات محل قريب وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعيه وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هوالوجد لانه قد وجد ما كان معدوما عنده[3].

وقد عرف ابوسعيد الوجد ايضا بقوله : " الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف تعلق او توبيخ على زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الى فائدة او شوق الى غائب او اسف على فائت او ندم على ماضى او استجلاب الى حال او داع الى واجب او مناجاة بسر، وهو مقابلة الظاهر بالظاهر ، والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج مالك بما عليك مما سبق للسعى فيه ، فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدوم وذكر بلا ذكر اذا كان هو المبتدئ بالنعم والمتولى . واليه يرجع الامر كله "[4].

---

(١) احياء علوم الدين ، الغزالى ، ج ٢ ،ص ٢٨٩ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

اما عن تعريف الغزالى للوجد فهو كما يقول "الوجد عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع فى نفسه" (١).

ومما سبق يتضح لنا ان الوجد الذى يستشعره الصوفى هو حالة نفسية تعترى السامع اثناء السماع فيشعر خلالها بمشاعر قوية تهز كيانه او تزعجه قد تكون ندما على ذنب او شوقا الى لقاء او انس باقتراب او خوف تعلق او بسط مفرح والوجد فى النهاية امر ذوقى بحت يشعر به الصوفى ولا يشاركه فيه احد ويصعب التعبير عنه بالالفاظ(٢).

واذا كانت هذه بعض اقوال الصوفية فى الوجد فان الغزالى يعرض لنا ايضا بعض اقوال الحكماء فى الوجد . فيقول : " عبر بعض الحكماء عن الوجدبان فى القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة المنطق على اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان . فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر"(٣).

كما عرف بعض الحكماء الوجد بقولهم : " نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأى واستجلاب العازب من

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٢) انظر ابو البركات ، روض الاستماع فى احكام الذكر والسماع ، وانظر ايضا د. ابو الوفا الغنيمى التفتازانى فى حديثه عن احوال الصوفية فى كتابه مدخل الى التصوف الاسلامى وكتابه ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه فى حديثه عن حال الصوفى اثناء الذكر ، ص ١٩٣ وما بعدها .

(٣) الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

الافكار وحدة الكمال من الافهام والاراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ، ويمرح فى كل رأى وفيه فيصيب ولا يخطئ ويأتى ولا يبطئ" (١).

ومن تعريفات الوجد ايضا القول بان الفكر يطرق العلم الى المعلوم والسماع يطرق القلب الى العالم الروحانى (٢).

كما عرف الوجدان Feeling بانه مجموعة الظواهر الوجدانية من لذة والم وانفعال وعرف الوجدانى بانه ما له صلة بالوجدان كاللذة والالم ويقابل الفكر والنزوعى من احوال النفس (٣).

ويعلل الحكماء حركة الاطراف نتيجة للوجد عندالسماع بأن هذه الحركة تكون على وزن الالحان والايقاعات وهى عشق عقلى . والعاشق العقلى لا يناجى معشوقه بالمنطق الجسمى وانما يناجيه بالتبسم والحركة اللطيفة والاشارة الخفيفة . وهىوان كانت حركات بدنية الا انها تعبر عن معان روحية . اما العاشق البهيمى فانه يستعمل المنطق الجرمى يعبر به عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف (٤).

---

(١) الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) انظر المعجم الفلسفى . مجمع اللغة العربية . القاهرة ، تصدير الدكتور / ابراهيم مدكور ، ص ٢١٠، ٢١١.

(٤) الغزالى ، احياء علوم الدين ،ج ٢ ،ص ٢٨٩.

وهذا يعنى ان سبب الحركات الجسمية التى يأتى بها العاشق لله الذى تتحكم فيه نفسه الناطقة او العقل ولا تتحكم فيه الشهوة ونفسه الحيوانية يكون سبب حركته عند السماع ليس تعبيرا عن مدى حبه وعشقه لله بحركة جسمية وانما هى كما يقول الغزالى حركات واشارات لطيفة ظاهرة تعبر عن معانى روحية باطنة او كما يقول ابن سينا حتى توافق الابدان الارواح وانها لغلبة الشوق وانها سبب لحضور القلب وجمعيته بين يدى الله واعراضه عن الدنيا وهى خير محض لانها اثر لدخول نور الله فى القلب(١).

والوجد عند الغزالى لا يخلو من امرين :

(١) فهو اما ان يرجع الى مكاشفات ومشاهدات هى من قبيل العلوم والتنبيهات .

(٢) واما ان يرجع الى تغيرات واحوال ليست من العلوم هى كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والنوم والبسط والقبض وكلها احوال يهيجها السماع ويقويها فان ضعف السماع بحيث لم يؤثر فى تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته او ينطق او ينظر على خلاف عادته ، او يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته ايضا فاذن ذلك لا يسمى وجدا . اما اذا ظهر على المستمع علامات ظاهرية واشارات معبرة عما بداخله سمى ذلك وجدا .

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .وانظر ايضا ابن سينا رسالة فى الصلاة ، ص ٨ .

والوجد اما ان يكون ضعيفا او يكون قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده .

ويذهب الغزالى الى ان الواجد (وهو من يكون فى حالة وجد) اذا كان قويا وقادرا على ضبط نفسه والتحكم فى انفعالاته ، يكون وجده قويا من الباطن وانفعالاته الداخلية شديدة غير انه يستطيع ان يضبط جوارحه فلا يحدث حركة تعبيرا عن وجده ، فلا يتغير ظاهره لقوة تحكمه فى ضبط جوارحه (١).

وقد لايحدث السامع حركة اثناء السماع غير ان هذا لا يكون نتيجة لقوة ضبطه انفعالاته وتحكمه فيها وانما يكون لضعف الوارد وقصوره فلا يثمر عنده السماع .

والى مثل هذه الحالة اشار الصوفى ابو سعيد بن الاعرابى حيث قال فى الوجد " انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب . ولا يبعد ان يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل لاسباب منها التنبيه ،والسماع منبه ومنها تغيير الاحوال ومشاهدتها وادراكها. فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء القلب . والسماع يؤثر فى تصفية القلب ، والصفاء بسبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كانت تقصر عنه من قبل قوته "(٢).

فالوجد هو انبعاث نشاط القلب بقوة السماع لاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت .

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ويذهب الغزالى الى ان القلب ا... ربما يمثل له الحق فى صورة مشاهدة . ... لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان فى اليقظة وبالرويا اذا كان فى المنام . وذلك جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة . ويقول الغزالى ان علم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة ولا ادل على ذلك مما روى عن ابن مسروق البغدادى انه قال : " خرجت ليلة فى ايام جهالتى وانا نشوان وكنت اغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مررت به
الا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفى جهنم ماء ما تجرعه
خلق فأبقى له فى الجوف امعاء

فكان ذلك سبب توبتى واشتغالى بالعلم والعبادة" (١) .

فقد تأثر بما سمع تأثرا عظيما كان سببا فى تركه الخمر والمجون والتوبة عن الذنوب والرجوع الى الله .

ويذهب الغزالى الى ان القلب اذا صفى وخلى من حب الشهوات والاهواء وتطهرت السريرة وعمرت بحب الله واستنارت بنوره تعالى لا يقف الامر عند سماع الهاتف فقط بل قد يصل صاحبه الى ان يشاهد بالبصر صورة الخضر عليه السلام . ويقول الغزالى " انه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة ، وفى مثل هذا الحال تتمثل الملائكة للانبياء عليهم السلام" (٢) .

---

(١) الغزالى : احياء علوم الدين ،ج ٢ ،ص ٢٩٠ .

وفى مثل هذه الاحوال من صفاء القلوب تحدث ايضا المكاشفة فيطلع صاحب ذلك القلب الظاهر على ضمائر القلوب ويقول الغزالى " ويعبر عن ذلك الاطلاع " بالتفرس " ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله "(١).

ويروى الغزالى ان رجل من المجوس كان يدور على المسلمين ويسأل عن معنى قول الرسول : " اتقوا فراسة المؤمن " فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى الى بعض المشايخ من الصوفية فسأله فقال له :" معناه ان تقطع الزنار الذى على وسطك تحت ثوبك " فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال الان عرفت انك مؤمن وان ايمانكحق.

والثمار التى تترتب على الوجد ويجنيها اصحاب القلوب الصافية من السماع هى تلك المكاشفات والاحوال .

ويذهب الغزالى الى ان المكاشفات والاحوال تنقسم كل منهما الى قسمين :

مكاشفات واحوال يمكن التعبير عنها بالعبارات والالفاظ . واخرى تعجز العبارات عن التعبيرعنها ولا يمكن لصاحبها مع شدة فصاحته ان يصيغها فى جمل والفاظ لدقة هذه الاحوال وهو يقول فى ذلك " واعلم ان كل واحد منهما (اى المكاشفات والاحوال) ينقسم الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا تمكن العبارة عنه اصلا ولعلك تستبعد حالة او علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن

---

(١) الاحياء ، جـ ٢ ، ص ٢٩١ .

التعبير عن حقيقته . فلا تستبعد ذلك فانك تجد فى احوالك الغريبة لذلك شواهد" (١).

ويؤكد الغزالى المعنى السابق بقوله : " اما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسألتان متشابهتان فى الصورة ويدرك الفقيه بدقة ان بينهما فرقا فى الحكم واذا كلف بذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يشك ان لوقوعه فى قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور فى لسانه بل لدقة المعنى فى نفسه ان تناله العبارة " (٢).

ويذهب الغزالى الى ان حقيقة هذا القول لا يفطن اليها الا اصحاب الاذواق والمكاشفات .

والانسان قد يشعر فى نفسه فرحا او قبضا او بسطا او غيرها من الاحوال ولا يعلم لهذه المشاعر من سبب . وقد يؤثر فى نفسه مؤثرا خارجيا يثير فيه احد هذه الانفعالات كالاقوال الموزونة والالحان او قد يكون المؤثر داخليا كتفكره فى شئ يثير فرحه او حزنه ، ويزول المؤثر ويبقى الانفعال وقد يجهل المؤثر الذى بعث فيه هذا الشعور ولكن يظل الاثر فى نفسه لفترة فالاحوال مواهب من الله تعالى ترد على السالك دون تعمد منه وهى زائلة ، وهناك من الاحوال ما يمكن التعبير عنها بالالفاظ واخرى لا يجد

---

(١) الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

صاحبها عبارات تصفها فيعجز عن التعبير عنها ويقـــول الغزالى فى ذلك " اما الحال فكم من انسان يدرك فـــى قلبه فى الوقت الذى يصبح فيه قبضا او بسطا ولا يعلــم سببه وقد يتفكر الانسان فى شىءفيترك فى نفسه اثـــرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر فى نفسه وهو يشعر به ، وقد تكون الحالة التى يحس بها سرورا ثبت فى نفسه بتفكره فى سبب موجب للسرور او حزنا فينسى المتفكر فيه ويحـس بالاثر عقيبه . وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعبـر عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقـة مفصحـة " (١) .

وقد انتقد ابن الجوزى البغدادى كلام الصوفية فـى الوجد بقوله " هذه الطائفة (اى الصوفية) اذا سمعـت الغناء تواجدت وضعفت وصاحت ومزقت الثياب وقد لبس عليهم ابليس فى ذلك وبالغ وقد احتجوا ... بما اخبر بـــه ابونصر السراج الطوسى انه لما نزلت " وان جهنملموعدهم اجمعين" (٢) صاح سليمان الفارسى ووقع على رأسه ثم خـرج هاربا ثلاثة ايام" (٣)وذكر ابن الجوزى قصصا كثيرة رواها الصوفية واستدلوا منها على ان السماع يبعث على الوجـد وذهب الى ان ما ذكروه عن سليمان الفارسى محال وكـذب وليس له اسناد والاية نزلت بمكة وسليمان بالمدينة ولـم ينقل عن احد من الصحابة مثل هذا اصلا" (٤) .

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٩١ .

(٢) سورة الحجر، آية ٤٣ .

(٣) تلبيس ابليس ، ص ٢٥٠ .

(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ويستشهد ابن الجوزى على انكار السماع والوجد الناتج عنه بان سفيان الثورى انكر ان يكون الربيع بن خثيم قد صعق عند سماع القرآن ويقول : " فهذا سفيان الثورى ينكر ان يكون الربيع ابن خيثم[1] جرى له هذا (اى صعق من السماع) لان الرجل كان على السمت الاول وما كان فى الصحابه من يجرى له مثل هذا ولا التابعين ثم نقول على تقدير الصحة ان الانسان قد يخشى عليه من الخوف فيسكنه الخوف ويسكته فيبقى كالميت وعلامة الصادق انه لو كان على حائط لوقع لانه غائب . فأما من يدعى الوجد ويتحفظ من ان تزل قدمه ثم يتعدى الى تخريق الثياب وفعل المنكرات فى الشرع فانا نعلم قطعا ان الشيطان يلعب به[2] .

ويروى ان حصين بن عبدالرحمن قال لاسماء بنت ابى بكر كيف كان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وآله عند قراءة القرآن قالت : كانوا كما ذكرهم الله او كما وصفهم عزوجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم" فقلت ان معنا رجالا اذا قرئ على احدهم القرآن غشى عليه فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وقلوب الصحابة كانت اصفى قلوب وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع ولم يصرفوا او يضربوا صدورهم كالجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان .

---

(١) ارجع الى كتاب ابن الجوزى ،تلبيس ابليس للوقوف على مزيد من التفاصيل فى نقد مسالك الصوفية فى الوجد من ص ٢٥١ : ص ٢٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

ويقول ابن الجوزى البغدادى فان قال قائل:" انما يفرض الكلام فى الصادقين لا فى اهل الرياء فما تقول فيمن ادركه الوجد ولم يقدر على دفعه فالجواب ان اول الوجد انزعاج فى الباطن فان كف الانسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه ... فان اهمل الانسان نفسه ولم يبال بظهور وجده او احب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه "(١).

ويقول ايضا " فان قال قائل ان الكلام فيمن اجتهد فى دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الامر فمن اين يدخل الشيطان ؟ والجواب انا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع الا ان علاقة الصادق انه لا يقدر على ان يدفع ولايدرى ما يجرى عليه فهو من جنس قوله عزوجل "وخر موسى صعقا"(٢)

وقال ابن الجوزى ايضا " فهل فى حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه ؟ قيل : نعم من جهتين: احدهما انه لو قوى العلم امسك . والثانى انه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفى هذا نقصا"(٣).

وقد انكر ابن الجوزى على الصوفية التصفيق والرقص عند السماع بقوله " تعالوا نتقاضى الى العقول اى معنى فى الرقص الا اللعب الذى يليق بالاطفال . وما الذى فيه من تحريك القلب الى الاخرة . هذه والله مكبرة باردة وقد حدثنى بعض المشايخ عن الغزالى انه قال الرقص حماقة

---

(١) تلبيس ابليس ، ص ٢٥٦ .

(٢) سورة الاعراف آية ، ١٤٣ .

(٣) تلبيس ابليس ، ص ٢٥٧ .

بين الكتفين لا تزول الا بالتعب قال ابو الوفا ابن عقيل قد نص القرآن على النهى عن الرقص فقال عز وجل " لا تمشى فى الارض مرحا" (١)، وذم المختال فقال " انه لا يحب كل مختال فخور " (٢).

ويستشهد ابن الجوزى بمعاصريه من مشايخ الصوفية بانه لم يرى احد منهم يرقص(٣)، او يصفق او يصعق عند

---

(١) سورة الاسراءاية ، ٣٧ .

(٢) تلبيس ابليس ، ص ٢٥٩ . سورة لقمان ، آية ١٨ .

(٣) يقول ابن الجوزى البغدادى اذا اشتدطربهم (اى الصوفية)فى حال رقصهم جذب بعض الجلوس ليقوم معه .ولايجوزعلى مذهبهم للمجذوب ان يقعدفاذا اقام قام الباقون تبعاله فاذا كشف احدهم رأسه كشف الباقون رؤسهم موافقة له ولايخفى على احد ان كشف الرأس مستقبح وفيه اسقاط المروءة وترك الادب وانما يقع فى المناسك تعبد الله وذلا له . فاذا تمكن منهم الطرب رموا اثبابهم على المغنى فمنهم من يرمى بهاصحاحا ومنهم من يخرقهاثم يرمى بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء فى غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الالواح فكسرها ولم يدرى ماصنع : والجواب ان نقول من يصحح عن موسى بانه رماها رمى كسر والذى ذكر فى القرآن القاها فحسب فمن اين لنا انها كسرت ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا كان فى غيبة حتى لو كان بين يديه حنئذ بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره ويحذرون من بئر ان كانت عندهم . ثم كيف يقاس احوال الانبياء على احوال هؤلاء السفهاء... ثم لو قدرنا ان القوم يصيحون عن غيبة فان تعرضهم لما يغطى على العقول من سماع ما يطرب منهى عنه كالتعرض

====

السماع كالشيخ ابى القاسم بن زيدان ، وعبدالملك بن بشران وابى طاهر بن العلاف والجنيد والدينورى[(١)].

واذا عدنا الى حديث الغزالى عن الوجد فاننا نجده قد قسمه الى قسمين :

وجد يمكن اظهاره ، ووجد لا يمكن اظهاره كما قسم ايضا الى : وجد هاجم ووجد متكلف وهو ما يسمى بالتواجد وهذا التواجد المتكلف منه ما هو مزموم وهوالذى يقصد به الرياء واظهارالاحوال الشريفة مع عدم صدق الحال ومنه ما هو محمود، وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة ومحاولة اكتسابها واستثارتها والحضور فيها ويقول الغزالى " ولذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم امر من لم يحضره البكاء فى قرأة القرآن ان يتباكى ويتحازن"[(١)] فاذا حاول الانسان ان يستجلب الوجدويستدعى الشعور بما يسمع وتعمد الانفعال به فقدينتهى به الى ان ينتشر الوجد دون تكلف فيكون وجدا هاجما ويقول

==== لكل ما غالبه الاذى ، وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق شيابهم فقال خطأ وحرام وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال وعن شق الجيوب فقال له قائل : انهم لايعقلون ما يفعلون ، قال: ان حضروا هذه الامكنة مع علمهم ان الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم اثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد، ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لانهم مخاطبون قبل الحضور يتجنب هذه المواضع ، ارجع الى تلبيس ابليس ، ص ٢٦٠ ، ص ٢٦١ .

(١) احياء علوم الدين ، ص ٢٩٢ .

الغزالى فى ذلك " فان هذه الاحوال قد تتكلف فى مبادئها ثم تتحقق فى اواخرها وكيف يكون التكلف سببا فى ان يصير التكلف فى الاخرة طبعا وكل من يتعلم القرآن اولا يحفظه تكلفا ويقرؤه تكلفا مع تمام التأمل واحضار الذهن يصير ذلك دينا للسان مطردا حتى يجرى به لسانه فى الصلاة وغيرها"(١).

فالسامع يتكلف الوجد فى اول امره ثم ما يلبث ان يصير التكلف طبعا فيتواجد دون تكلف ويصبح لديه عادة ان يتواجد على السماع .

ولذلك ينصح الغزالى بعدم اليأس من وقوع الاحوال الشريفة لمن يفتقدها بل عليه ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره وبالجلوس مع من يتمتعون بها ومشاهدة احوالهم فى اثناء السماع كما عليه ان يستعين بالدعاء والتضرع الى الله تعالى فى ان يجعله من اصحاب هذه الاحوال وان ييسر له اسبابها(٢).

لقد عرضنا رأى الغزالى فى الوجد ورأى من ينكر السماع وينكر الوجد وليس امامنا الا ان نقول ان هذه الاحوال لا تكون الا لاصحاب القلوب الصافية وان التجربة الصوفية من اولها الى اخرها يصعب على غير الصوفى الحكم عليها لانه لم يعيشها ولم يعانى من الاذواق والمواجيد التى يعانى منها الصوفية ولذلك فان الكثير مما عبر عنه الصوفية من اذواقهم ومواجيدهم وما اعربوا عنه من احوالهم يبدوا غريبا وغير مستساغ من غير الصوفية من

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ .

(٢) ارجع الى المرجع السابق ، ص ٢٩٣ومابعدها .

عامة الناس واذا كان ما يحدث للصوفية من وجد ومايترتب عليه من صياح او حركات لم يحدث للصحابة مع صفاءقلوبهم عند سماعهم القرآن فقد يرجع ذلك الى ان الصحابة كانوا يتحكمون فى مشاعرهم ولا يظهرونها بل ان كبار الصوفية المتحققين يفعلون ذلك والغزالى نفسه يحبذ ضبط النفس مع طلبه استدعاء الوجد والتباكى عند سماع القرآن .

واذا كان بعض الصوفية يعبرون عن وجدهم فى شئ من المبالغة او التكلف فهذا يجب تجنبه ويجب الالتزام بآداب السماع التى كثيرا ما حدثنا عنها الصوفية انفسهم والتى حدثنا الغزالى عنها .

والغزالى وغيره من الصوفية ينهون عن ادعاء التصوف والالتزام باداب الشرع فى كل كبيرة وصغيرة وينفى الغزالى ان يكون الشيطان حليفا لاصحاب القلوب الصافية العامرة بحب الله ويقول : " انما تحوم الشياطين على القلوب اذا كانت مشحونه بالصفات المذمومة فانها مرعى الشيطان وجنده ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حوله واليه الاشارة بقوله تعالى " الا عبادك منهم المخلصين"(١) ، وبقوله تعالى : " ان عبادى ليس لك عليهم سلطان "(٢).

ويشير الدكتور ابوالوفا الغنيمى التفتازانى الى الدراسات التى قام بها علماء النفس حول حالات التصوف هل هى سوية ؟ ومن هؤلاء ذكر على سبيل المثال لا الحصر

---

(١) سورة الحجر، اية ٤٠ .

(٢) سورة الحجر، اية ٤٢ .

عالم النفس الامريكى وليم جمس (.James- W)[١] وليوبا (.Leuba James.H)[٢] وباستيد Bastide Roger[٣] واندر هايل Underhill Everlyn[٤].

ويرى الدكتور التفتازانى ان كثيرين من علماء النفس الذين درسوا الظواهر النفسية للتصوف دراسة علمية لم ينصفوا الصوفية وارجع ذلك الى بعض الاخطاء المنهجية فى الدراسة فهم كانوا يحصرون انفسهم فىدائرة التجربة الحسية وحدها ولم يدققوا فى فهم مصطلحات الصوفية التى عبروا بها عن احوال وجدانية ذاتية خاصة لا تتصف بصفة العمومية ـ ويرى استاذنا الدكتور ابوالوفا الغنيمى التفتازانى ان الباحث لكي يحكم على هذا النوع من الحالات الصوفية حكما علميا فلابد له من ان يقوم بتجربته او يكون لديه استعداد معين لتذوقه . اما ان يصطنع علماء

---

(١) انظر كتابه : The Varietles of religiuos experience, New York, 1932.

(٢) انظركتابه Psychologie du mysticisme religieux, traduction francaise, par Lncien Herr, 1925.

(٣) انظركتابه : Les problemes de la vie mystique, Paris, 1931.

(٤) انظر كتابه :

Mysticism: A study in the nature and development of man's spiritual consciousness, 1946.

النفس فى بعض الاحيان منهج المماثلة فى دراسة حالات التصوف فهذا هو الخطأ بعينه لتعذر مماثلتهم للصوفى فى حالاته الوجدانية الخاصة مماثلة حقيقية وهم ليسوا بصوفية هذا الى جانب ان هؤلاء لا يدرسون صوفية موجودين فعلا وانما يكتفون بتحليل ما خلفه الصوفية القدامى من اثار ادبية • وهذا يعنى ان دراساتهم ليست دراسات تجريبية بمعنى الكلمة (١).

واستاذنا يرى ايضا اننا اذا جعلنا من الصوفى شخصا مريضا لجعلنا كذلك من الشاعر والكاتب والفنان والموسيقى جميعا مرضى لا لشئ الا لانهم يعانون مشاعر خاصة لا يعانيها غيرهم من افراد الناس العاديين (٢).

ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن الاداب التى يجب على السامعين الالتزام بها فى مجالس السماع • بعد ان وقفنا على درجات السامعين ومقاماتهم فى فهم ما يسمعون واختلاف انفعالاتهم الوجدانية واستجاباتهم وبعدان عرفنا ان الكمل من القوم هم الذين يتحكمون فى وجدهم •

---

(١) ارجع الى كتاب د• ابوالوفا الغنيمى التفتازانى مدخل الى التصوف الاسلامى ، الطبعة الثانية ، ص ١٢ ، ١٣ •

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤ •

(٤) آداب السمـــــاع

وضع الصوفية آداب للسماع وأوجبوا الالتزام بهـــا في مجالسهم وما من صوفي تناول موضوع السماع الا ودعـــى الى الاهتمام بمراعاة تلك الاداب واحترامها وقد وضع لهـــا الصوفية قواعد واصول منها ما يتخلق به السامع ومنها مـــا يخص المسمع ومنها ما يشترط ان يتوفر في المجلس من حيـــث الزمان والمكان ومنها آداب خاصة بما يقال من آشعاروالحان

وقد آجمل الغزالي آداب السماع في خمسة آداب هـــي:

الادب الاول : مراعاة الزمان والمكان والاخوان :

فشيخنا يرى ان من آداب السماع ان يكون في الوقـــت المناسب لذلك فلا يصح ان يكون السماع في وقت حضور الطعـــام او في وقت الصلاة او في اى وقت يشغل الناس فيه اى شاغـــل يصرفهم عن الانتباه والانصات لما يقال وذلك حتى يفرغ لـــه القلب فلا ينصرف الا اليه وبذلك يثمر السماع .

ويقول الغزالي : (قال الجنيد " السماع يحتاج الـــى ثلاثة اشياء والا فلا تسمع الزمان ، والمكان ، والاخـــوان " ومعناه ان الاشتغال به في وقت حضور الطعام او خصـــــام او صلاة او صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائـــــدة فيـــــه "(١).

فيجب مراعاة فراغ القلب في رآى شيخنا اما السهروري فانه يرى ان من آداب السماع الا يكون للسامعين وقت محـــدد

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٩٨ .

للسماع فهو يقول ما نصه : " ومن آدابهم (اى الصوفية) الا يتكلفوا فيه (اى فى السماع) ولا يكون لهم وقت معلوم لذلك" (١).

اما المكان فيرى الغزالى انه يجب ان يكون مناسبا للسماع فينبغى الا يكون فى الاماكن العامة كالطرقات والشوارع وانما يكون فى مكان لائق غير مطروق وليس به ما يشغل السامع عن السماع وان يكون نظيفا وطاهرا ويقول الغزالى ما نصه " اما المكان فيجب الا يكون شارعا مطروقا او موضعا كريه الصورة او فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك" (٢).

وهذا يتفق مع ما ذهب اليه ابن عربى من ان السماع يجب ان تجرى جلسته فى زاوية لا يدخلها الا الصوفية الذين يعتقدوا فى السماع فلا يدخلها من ليس له شيخ ولا العامة ولا الصوفى الذى لا يعتقد فى السماع ، ويقول " تجرى جلسة السماع فى زاوية ولا يدخل فيها من ليس له شيخ" (٣) ويقول ايضا: " فمن آدابهم فى السماع ان لا يكون بينهم من ليس من طريقهم ولا من هو فى طريقهم اذا كان لا يقول بالسماع فانه يقبضهم بتغيره فلابد ان يكون السامعون مجتمعون على قلب واحد" (٤).

---

(١) السهروردى : آداب المريدين ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ص ١٠٤ .

(٢) الغزالى : الاحياء ، ج ٢ ،ص ٢٩٨ .

(٣) ابن عربى : المواقع ، ص ١٦٥ .

(٤) محيى الدين ابن عربى ،رسالة آداب الشيخ والمريد ل ١٩ ظ مخطوطة بمكتبة الازهرالشريف تحت رقم (١٠٧٠ خاص – ٣٣٥٨٠ عمومى) مجاميع حليم .

وهذا النص الاخير لابن عربى الى جانب انه يحدد المكان فهو ايضا يتناول الاخوان الذين يجتمعون للسماع وحديثه عمن يحضرون مجلس السماع يشبه ما قاله الغزالى فى هذا الصدد الذى يرى ان الاخوان الذين يجتمعون للسماع يجب ان يكونوا صحبة طيبة ليس بينهم متكبر من اهل الدنيا او منكر او متكلف او مدع للوجد ممن يأتى من الحركات المصطنعة ما يشغل الجالسين برقصه وتمزيق ثيابه ففى رأيه ان ترك السماع عند وجود هؤلاء اولى ويقول ما نصه : " انه اذا حضر غير الجنس (اى غير الصوفية من العامة) من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلا فى المجلس واشتغل القلب به ، وكذلك اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراقبة والى مراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف يرأى بالوجد والرقص وتمزيق الشباب فكل ذلك شوشات . فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففى هذه الشروط نظر للمستمع "(١).

وهذا القول يتفق ايضا مع ما ذكره السهروردى من آداب الصوفية فى مجالس السماع(٢).

ولاشك ان مجلس السماع اذا تم فى المكان والزمان المناسبين ولم يكن من بين الحضور من ليس من اهل السماع لساعد ذلك على جمع النفس وخلق جوا ملائما لاثارة الوجد واثمار السماع فتلك المؤثرات الخارجية لها دور كبير فى نفوس السامعين ولذا يجب مراعاتها .

---

(١) الغزالى : احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٩٨ .

(٢) انظر السهروردى ، اداب المريدين ، ص ١٠٤، ص ١٠٥.

الادب الثانى :

ومن آداب السماع التى يرى صوفينا ضرورة الالتزام بها فى مجالس السماع الا يكون من بين الحاضرين من يمكن ان يضره السماع او يسبب له اذى فيجب على الشيخ ان يشغله عن المجلس بان يطلب منه عمل شىء او تأدية خدمة حتى يصرفه عن المجلس ولا ينشغل بالسماع ويقول الغزالى مانصه " ومن يستضر بالسماع احد ثلاثة هم :

(١) ان يكون قد انكسر شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل ، فاذا انفتح له باب السماع انزل المسموع فى حق الله تعالى وما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر - التى هى كفر - اعظم من نفع السماع[(١)].

وقد قال سهل بن عبدالله التسترى فى ذلك " كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنه باطل "[(٢)] فلا يصح السماع لمثل هذا الشخص ويجب ابعاده من مجلس السماع حتى لا يقع فى المحظور .

(٢) كما لا يصلح السماع ايضا لمن لا يزال فى قلبه حب الثناء ويقول الغزالى : " ولا يصلح السماع لمن قلبه ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء"[(٣)].

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٩٩ .

(٢) المرجع السابق ،نفس الصفحة

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ولذلك قال الصوفية : السماع لقوم كالغذاء،ولقوم كالداء ،ولقوم كالدواء ،ولقوم مروحة"(١) وقال الشيخ ابوعبدالرحمن السلمى الصوفى النيسابورى (٣٢٥ هـ - ٤١٢هـ) " الوجد قد يكون زيادة لقوم ،ونقصا لقوم وهو كالسلاح يصلح للجهاد فى سبيل الله ولقتل اولياء الله ، وكذلك الشمس تصلح شيئا وتفسد شيئا آخر .

ويقول السهروردى البغدادى عندما سئل عن التكلف فى السماع فقال : هو على ضربين تكلف من المستمع لطلب الجاه او منفعة دنياوية وذلك تلبيس وخيانة . وتكلف منه (اى السامع) لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بمنزله التواجد وهو منزلة التباكى من البكاء"(٢) ففى رأى السهروردى ان التكلف فى السماع على ضربين اما تكلف لطلب الجاه والمنفعة الدنياوية واما تكلف لاصطناع الوجد ومحاولة التواجد كالتباكى او اصطناع البكاء الذى قد يؤدى الى البكاء الفعلى والاول مذموم والثانى محمود .

ويقول عبدالوهاب الشعرانى : " الخلل فى حال السامع لكونه كاذبا فى حاله بان يتحرك صاحب النفس بالشعور والاحساس فيكون مسخرة للشيطان وملعبه للوساوس مردودا عندالله وعندالناس"(٣).

---

(١) السهروردى : آداب المريدين ، تحقيق فهيم شلتوت ص ١٠٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٣) كشف القناع عن وجه السماع ،مخطوطة بالمكتبة الازهرية رقم (٩١٧ خاص- ٣٣٤٤٤ عام) تصوف حليم ك ٢١٤ .

كما ان محيى الدين بن عربى دعى الى منع الذين يعجزون عن تلقى تجربة الاحوال الصوفية العالية (١).

(٣) ايضا لا يصلح السماع لمن يسمع لاجل التلذذ فسماعه هذا يشغله عن العبادة ولا يؤدى به الى الوجد فالسماع كما يقول شيخنا مزلة يجب حفظ الضعفاء عنه (٢) فمجلس السماع لا يعقد للهو وهذا القول للغزالى يتفق مع ما قاله السهروردى من انه لا يجوز ان يحضر مجلس السماع من يتبسم او يتلهى فهم لا يسمعون للتطايب والتلهى (٣).

ولا ريب ان من جوز السماع من الصوفية يجمعون على ترك اللهو فى السماع فمن يطلب اللهو والتلذذ بالانغام فليطلبه بعيدا عن مجالس السماع لانها لم تخصص للترفيه والاستجمام وانما لاثارة الوجد وجمعية الباطن وترقيق القلب واستجلاب الاحوال الشريفة .

الادب الثالث :

ان يكون السامع منتبها كل الانتباه الى ما يسمع من القوال صاغيا فى هدوء وسكينة حاضر القلب لا يشغله شاغل من داخل نفسه كأن يتفكر فى موضوع يشغله عن السماع او شواغل خارجية كالنظر الى وجوه الحاضرين او مراقبة حركاتهم وما يظهر عليهم من احوال الوجد فيغفل عن نفسه ويغفل عما حوله ويركز كل اهتمامه فى السماع ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته فى سره

---

(١) انظر، ابن عربى ، رسالة فى اداب الشيخ والمريد ، مخطوطة بالازهر الشريف يحمل رقم (١٠٧٠ خاص - ٣٣٥٨٠ عام) مجاميع تصوف ل ١٩ ظ .

(٢) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

متحفظا من حركة تشوش على اصحابه بل عليه ان يكون ساكن الظاهر هادئ لا يأتى بحركات كثيرة لاسيما التنحنح والتثاؤب . ويجلس مطرقا رأسه متفكرا مستغرقا لقلبه متماسكا من التصفيق والرقص وسائر الحركات ، وخاصة الحركات المتكلفة المصطنعة التى تدل على المراءاة اكثر من ان تكون تعبيرا عن الوجد . ويجدر به الا يتكلم فان غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فى هذه الحالة معذور غير ملوم ، لانه يكون غير متحكم فى نفسه واذا عاد مرة ثانية الى وعيه وتحكم فى نفسه فعليه ان يلزم الصمت والسكينة ، صادقا دون رياء(١) .

ويذهب الغزالى الى ان السامع اذا التزم الصمت والسكون فان ذلك لا يدل على عدم وجده فلا ينبغى على السامع ان يخشى ان يقال عنه انه قاس القلب عديم الصفاء وانما يجب عليه مراعاة حاله وصدق مشاعره وعدم التكلف ومراقبة سره دون مرعاة لكلام الغير ، ويخلص قلبه لله .

ويقول الغزالى " فان قلت الافضل هو الذى لا يحركه السماع ولا يؤثر فى ظاهره او الذى يظهرعليه ،فاعلم ان عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد فى الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح ، فهو كمال . وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا فى الاحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال "(٢).

---

(١) الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وبذلك يكون اهم آداب السماع ان يكون السامع صادق مع نفسه وصادق مع الله وان يكون بعيدا عن الرياء والتكلف فاذا صدرت عنه حركة او لم تصدر فان ذلك يكون تبعا لحالة فقد يكون لضعف وجده او لقوته غير انه فى كل الاحيان يجب ان يكون صادقا ومتزنا .

وقد سئل بعض مشايخ الصوفية عن شرب القلوب من السماع وشرب الارواح منه وشرب النفوس فقال : شرب القلوب الحكم ، وشرب الارواح النغم ،وشرب النفوس ذكر ما يوافق طبعها من الحظوظ(١) .

ويقول السهروردى " ليس من الاداب استدعاء الحال والتكلف للقيام الا عن غلبة حال ترد فتزعج او يكون على سبيل مساعدة لصادق ... وترك ذلك اولى"(٢) .

ويذهب الغزالى الى ان صاحب الحال فى اغلب الاحوال لا يدوم وجده وانما يكون حالة نفسية مؤقتة . ولا يدوم الوجد الا للانسان المراقب لربه المرابط للحق الملازم لعين الشهود(٣) ويقول ما نصه : " ولا يبعد ان تكون الاشارة

---

(١) السهروردى : آداب المريدين تحقيق ابى النجيب محمد شلتوت ،ص ١٠٨ .

(٢) المرجع السابق ،نفس الصفحة .

(٣) الوجد شعور مؤقت يشعر به الصوفى وقلما دام مع صاحبه شأنه شأن الاحوال الصوفية الاخرى كالقبض والبسط والانس والخوف والرجاء وغيرها من الاحوال والحال عند الصوفية هو معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم من طرب او حزن او شوق او انزعاج او هيبة فالاحوال مواهب والمقامات

====

بقول الصديق رضى الله عنه "كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد فى كل الاحوال فنحن فى سماع معانى القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديد فى حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به فاذا قوة الوجد تحرك قوة العقل والتماسك بضبط الظاهر(١)

فالسامع الذى يكثر من الحركات الانفعالية غير المضبوطة عند السماع كأن يضرب بنفسه على الارض او يصفق او يكثر من الصياح لا يكون اشد وجدا من السامع الذى يجلس فى سكون فهذا الاخير قديكون اعظم وجدا الا انه اكثر تحكما فى نفسه واكثر ضبطا لانفعاله ولذلك يقول الغزالى " فلا تظن ان الذى يضرب بنفسه على الارض أتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب"(٢).

وقد حكى عن "الجنيد" انه كان يتحرك فى السماع فى بداية سيره فى طريق التصوف ثم صار لا يتحرك بعد ذلك فقيل له ما سبب ذلك فقال : " وترى الجبال تحسبها

=== مكاسب . والمقامات تأتى من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود . وصاحب المقام ممكن فى مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله ، انظر الرسالة القشيرية ص ٥٤ ، وقيل الحال هو معنى يرد على القلب من غير تعمد منه وشرطه النزول وتعقبه المثل فمن اعقبه المثل قال بدوامه ومن لم يعقبه المثل قال بعدم دوامه وقيل ايضا الحال تغير الاوصاف على العبد (التعريفات للجرجانى ، ص ٣٣٤) وانظر ايضا : السهروردى: آداب المريدين ، ص ١٠٥ .

(١) الغزالى : الاحياء ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء(١) وهذا يعنى ان قلبه هائم وجائل فى الملكوت بينماجوارحه متأدبه وساكنة فى الظاهر.

وكبار الصوفية يعتبرون ان شدة الانفعال وكثرة الحركة اثناء السماع لضعف الحال وان اصحاب الهمم القوية والعزائم الراسخة لا يضطربون من السماع ولكنهم يسيطرون على مشاعرهم ويتحكمون فى انفعالاتهم فيشعرون بالوجد الا انهم لا يأتون بحركة لقوتهم .

ومن ذلك ما قاله الصوفى ابوالحسن محمدبن احمد وكان بالبصرة " صحبت سهل بن عبدالله التسترى ستين سنه فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر او القرآن فلما كان فى اخر عمره قرأ رجل بين يديه " فاليوم لا يؤخذ منكم فدية "(٢). فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سألته عن ذلك فقال نعم ياحبيبى قد ضعفنا"(٣) ويحكى ايضا عن سهل انه سمع قول الله تعالى " الملك يومئذ الحق للرحمن"(٤) فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له فان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال : ان لا يرد عليه وارد الا وهو يلتقيه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان كانت قوية "(٥).

---

(١) الغزالى ، الاحياء ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ . سورة النمل، آية ٨٨ .

(٢) سورة الحديد ، اية ١٥

(٣) تعريفه ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) سورة الفرقان ، اية ٢٦ .

(٥) الاحياء ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

وقال الجنيد " لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد"(١).

ويرى الغزالي ان سبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال بملازمة الشهود فكلما كان شهود السامع قويا ووجده صادقا كلما خمدت بشرتيه وزاد سكونه .

ويذهب امامنا الى ان من الصوفية من ترك السماع فى كبره وكان لا يحضره الا نادرا لمساعدة اخ من الاخوان وادخالا للسرور على قلبه وربما حضر مجلس السماع ليعرف القوم كمال قوته فيقتدون به ويعلمون ان الكمال ليس بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر ولا يلجأون الى التكلف فى اظهار الوجد وبعضهم نقل عنه ترك السماع لانه لم يكن له خط روحانى فى السماع ولا كان من اهل اللهو فتركه حتى لا يكون مشغولا بما لا يعنيه(٢).

الادب الرابع :

ومن آداب السماع ايضا عند شيخنا الا يقوم السامع من مجلسه ولا يرفع صوته بالبكاء طالما أنه قادر على ضبط نفسه وهذا لا يعنى ان البكاء او الحركة التى تشبه الرقص غير مباح فى السماع فهو مباح بشرط الا يقصد به المراءاة . كما يجوز التباكى استجلابا للحزن .

واما تمزيق الثياب فهو غير مباح فلا يجب على السامع تمزيق ثيابه من شدة وجده وانفعاله بل عليه ان

---

(١) الاحياء ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة

يضبط نفسه ويتحكم فى انفعالاته اما اذا حدث ذلك دون ارادة منه فلا بأس فخروج السامع عن وعيه امر غير مستبعد فقد يحدث له وجد شديد جارف يفقده وعيه وفى هذه الحالة قد يمزق ثيابه او يأتى من الاعمال مالا ارادة له فيه ولا اختيار ويقول الغزالى ما نصه : " اما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار"(١).

ولذلك يذهب الشيخ الرئيس الى ان المستمع يجب ان يكون صادق الحال خال الفكر والقلب عما سوى الله وقد ماتت نفسه عن الشهوة والهوى وتخلص من كثافة المادة التى تحجبها من الله او كما يقول الشيخ الرئيس ان تكون نفسه سليمه على الفطرة لم تغلظها مباشرة الامور الارضية الفانية اذا سمعت ذكرا روحانيا بغشاها وجد مبرح مع لذة مفرحة(٢)

ولا ريب ان صدق الحال مطلب عام للصوفية جميعا ليس فى السماع والذكر فحسب بل فى سلوك الطريق الصوفى فالصوفية جميعا يهاجمون المدعين للطريق لما يأتونه من التصرفات التى تسىء الى التصوف خاصة والاسلام عامة ولان الصوفى يجب ان يكون متحققا بمقام الصدق فيكون صادق مع نفسه وصادق مع الله ومع الناس فى كل اقواله وافعاله ويتضح هذا من قول محيى الدين بن عربى اذ يقول :" فمن شروطهم عدم المراءاة وحفظ اداب الشريعة دقيقها وجليلها اذا علمها وله ان يسأل اذا لم يعلم عن كل حالة يكون عليها، ما حكمها فى الشرع ،فان الرجل اذا خان فى آداب الشريعة سهل عليه ان يخون فى الاسرار الالهية والله تعالى لا يهب اسراره الا الامناء"(٣).

---

(١) الغزالى : احياء علوم الدين ،ج ٢ ، ص ٣٠١ .

(٢) ابن سينا : الاشارات والتنبهات ، ج ٤ ،ص ٨٢٥ .

(٣) ابن عربى: رسالة آداب الشيخ والمريد وانظر ابو اسماعيل

ويقول الامام القشيرى " ان الحركة تأخذ من كل متحرك وتنقص من حاله مريدا كان او شيخا الا ان تكون باشارة من الوقت او غلبة تأخذه عن التميز فان كان مريدا أشار عليه الشيخ بالحركة فتحرك على اشارته (اى لاجلها) فلا بأس اذا كان الشيخ ممن له حكم على امثاله .(١)

واما اذا اشار عليه الفقراء بالمساعدة فى الحركة فيساعدهم فى القيام وفى اداء ما لا يجد منه بدا مما يراعى عن الاستيحاش لقلوبهم . ثم ان صدقه فى حاله يمنع قلوب الفقراء من سؤالهم عند المساعدة معهم"(٢) .

الادب الخامس :

ومن اداب الصحبة فى مجلس السماع موافقة القوم فيما يقومون به من اعمال فاذا قام واحد منهم فى وجد صادق من غير رياء وقامت معه الجماعة فيجب ان يقوم جميع الحاضرين فان ذلك من حسن الصحبة وادابها .

وكذلك اذا جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته فعلى كل سامع فى الجماعة ان يخلع عمامته . كذلك اذا سقط ثوبه او خلعه فعليهم ان يفعلوا مثل ما فعل .

ويقول الغزالى ما نصه " موافقة القوم فى القيام اذا قام واحد منهم فى وجد صادق من غير رياء وتكلف او قام باختيار من غير اظهار وجد وقامت له الجماعة فلابد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة ، وكذلك اذا جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب او اذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق

(١) القشيرى ، الرسالة ، ص ١٥٧ .

فالموافقة فى هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة . ولكل قوم رسم ، ولابد من مخالفة الناس باخلاقهم ... لاسيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطبيب القلب"(١).

وللصوفية تقليد خاص فى السماع فاذا سقط ثوب او ما يسميه الصوفية الخرق(٢) من السامع الذى قام يتواجد،فان لهم سلوكا خاصا فى التعامل معها يقول الامام القشيرى فى ذلك " واما طرح الخرقة فحق المريد ان لا يرجع فى شىء خرج منه البته" اى من حق المريد ان يستعيد ما سقط منه ، الا أن يشير عليه شيخ بالرجوع فيه فيأخذه ... ثم يخرج عنه بعده من غير ان يستوحش قلب ذلك الشيخ"(٣) بمعنى اذا سقط من السامع ثوبا له ان يسترده بعد السماع الا اذا اشار عليه الشيخ بتركه وله ان يدفع ما يقابله من المال ويأخذه

واذا وقع ذلك بين قوم من عادتهم طرح الخرقة ،وعلم انهم يرجعون فيها فان لم يكن فيهم شيخ تجب حشمته وحرمته وكان طريق هذا المريد ان لا يعود فى الخرقة (اىالا يأخذها بعد وقوعها) فالاحسن له ان يساعدهم فى الطرح. ثم يؤثر به القوال اذا رجعواهمفيها (اى فى خرقتهم) ولو لم يطرح فانه يجوز اذا علم من عادة القوم انهم يعودون فيما طرحوا فان القبيح انما هو سنتهم فى العود الى الخرق لافى مخالفته لهم ،على ان الاولى الطرح على الموافقة ثم ترك الرجوع فيه(٤). اى يمكن للقوال ان يأخذ الخرقة اذا وافق

---

(١) الغزالى : احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٣٠١.

(٢) الخرق : جمع خرقة لنوع مخصوص من الثياب يستعمله اهل الطريق .

(٣) الرسالة القشيرية ، ج ٢ ،ص ٧٤٧ .

(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

أهل مجلس السماع والاولى عدم الرجوع الى اخذ الخرقة بعد طرحها .

اما السهروردى (٤٠٩ هـ - ٥٦٣ هـ) فيفصل القول في حكم الخرقة التى تقع من السامع فى مجلس السماع فيقول: " وأما حكم الخرق التى تقع فى السماع فما كان منها على طريق مساعدة فهى للجماعة. وما كان منها لقول قوال وانشاد منشد فان لم يكن هناك جماعة فانها للقوال خاصة.وان كان هناك جماعة فقد اختلفت اقاويل المشايخ فيها ،فذهب بعضهم الى انها للقوال لانه لم وجد (اى السامع) الفائدة فى سره من جهته (اى القوال) خلع عليه بدلا عما اتحفه به، وذهب بعضهم الى انها للجماعة والقوال فيها كاحدهم لان بركة حضور الجماعة لا تقتصر على قول القوال ... ومنهم من قال : ان كان القوال من جملة القوم فهو كأحدهم وليس له استبداد بشئ منها . وان كان اجنبيا فما كان منها لها قيمة فيؤثر هو بها ،وما كان من خريقات الفقراء فهم اولى بها ومنهم من قال ان كان القوال اجيرا فليس له منها شئ وان كان متبرعا فله ما يصلح له منها ،واذا قلنا انها لهم فحكمها انهم لا يشتغلون بها ما داموا فى السماع فاذا انقضى وقته جمعوها فى الوسط ، ثم ان كان هناك محب لهم فحكمه ان يفديها بما يوجب وقته (اى يدفع بدلا منها ما يستطيع دفعه) من غير معارضة فيها ولا مناداة عليها فان ذلك استخفاف بحقها وحقهم. ثم ان كان هناك شيخ له حكم فالحكم فيها اليه من تخريق (اى تمزيقها الى خرق صغير)او تبديل ورد على اصحابها"[1] اى اذا حكم الشيخ

---

(١) ابى النجيب السهروردى ، آداب المريدين ، ص ١١٢.

بان ترد الخرق لاصحابها فترده.

وقال اهل الشام : الفقير اولى بخرقته وانكر الجمهور منهم ذلك ومنهم من قال ما وقع منها (اى الخرق) على سبيل المساعدة (اى ليس عن وجد حقيقي بل لمساعدة صاحب الوجد) او مشوبا بالتكلف فالرد اولى " اى ترد خرقه المتكلف والذى لم يشعر بالوجد .(١)

واكثر المشايخ يكرهون طرح الخرقة على سبيل المساعدة لما فيه من التكلف المباين للحقيقة وان لم يكن هناك شيخ له حكم يمضون فيه حكم الوقت ولا يأخرون فى ذلك .

ويكرهون (اى الصوفية) تخريق المرقعات الا ان يكون تبركا . وما كان منها من خرق الفقراء ، فما كان يصلح منها للرقاع فتخريقه اولى ويصيب الكل نصيبا ولا يبقى البعض محروما ويفرق على الحاضرين دون الغيب (غير الحاضرين) لان الغنيمة لمن شهد الواقعة واذا حضر معهم غيرهم فالمحبون منهم يعطون من الخرق"(٢).

اما ابن عربى فهو يفضل الا يحضر مجلس السماع الا الصوفية وان يكون القوال من بينهم الا اذا افتقدت الجماعة من هو حسن الصوت ويعقدون مجلس السماع فى زاوية ثم يجلسون برئاسة شيخ الطريقة وهم يرتدون ملابسهم المعتادة ثم يقف

---

(١) ابى النجيب السهروردى ، آداب المريدين، ص ١١٢ ، يقول ابن الجوزى رأيت شيخا من الصوفية يقول خرقت خرقا فى بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنفا فباعه بخمسة دنانير ، انظر تلبيس ابليس ، ص ٢٦٣ .

(٢) السهروردى ، آداب المريدين ، ص ١١٢ .

القوال لينشد واذا لم يكن من الجماعة فيجب منحه ما يقوى عزمه من العطاء ويشجعه على التحمس للانشاد حتى لا تفتر همم السامعين ويقول ابن عربى ما نصه " ويمكن ان يكون القوال منهم، وممن له نية حسنة فيهم، فهو حسن وان كان القوال من العامة ، فمن شرطهم ان يجزلوا له العطاء ويرغدوا له فى العيش ويباسطوه حتى يمسكوا من قلبه محبة الجماعة والطائفة ، فان النفوس مجبوله على حب من احسن اليها "(١).

فاذا سرت الاحوال فى نفوس السامعين تواجدوا عند السماع لاستدعاء الاحوال والواردات الالهية بعد قطع العلائق والحجب التى تقطعهم عن سبيل الله فالتواجد باختيار السامع وارادته "(٢).

وهو يحدثه زيادة فى الوجد واظهارا لما يوجد فى باطنه وتعبيرا عما يكنه داخله من شرور ، حتى اذا غلب عليه هذا الشوق ربما صاح وبكى باستغاثات يناجى بها الله تعالى . فهذا الطريق الشريف مقاما يخرج فيه المريد على ان يسمع من الحق ،ولا يرى ان احدا فى الوجود يخاطبه غير الله تعالى فهو متمثل لكل ما يؤمر به . فهذا المقام هو للنفس موت عن ارادتها ،وهو الوجد الروحى(٣).

---

(١) ابن عربى : رسالة فى آداب الشيخ والمريد ل ١٩ ظ مخطوط بالازهر تحمل رقم (١٠٧٠ خاص - ٣٣٥٨٠ عام) مجاميع حليم .و انظر ايضا الاستاذة سهام عبدالمجيد ،المعرفة عند ابن عربى من ص ٢٣٣ الى ص ٢٣٦ .

(٢) ابن عربى: رسالة فى آداب الشيخ والمريد ل ١٩ ظ .

(٣) انظر المرجع السابق، و انظر المواقع لابن عربى ايضا ،ص١٦٤، ١٦٥

ويرى ابن عربى فى الوجد البدنى وهو ثمرة الجذب أنه يولد فى الشخص حركات مضطربة وتسقط عنه ثيابه فينقطع القوال عن الانشاد ويأخذ الثوب الذى سقط من المجذوب ويتنازع الحاضرون فى الاستيلاء عليه تباركا به كأثر ثمين وهبه الله لهذا المجذوب من النعم والالطاف .

وابن عربى ينكر ذلك التصرف حيث ان له نظرة فلسفية خاصة فهو يرى فى التصفيق الايقاعى والرقص وتمزيق الثياب فى حالة الوجد يرى فيها جميعا مظاهر للبعد عن الله وليست من علامات الاتحاد به، وانما مردها الى اغراء الشيطان ووساوسه "(١) ،ومعروف ان ابن عربى من الصوفية القائلين بوحدة الوجود وكون الصوفى فى حال الفناء يفنى عن نفسه ويفنى عما حوله ولا يشهد الا الله فان هذا جائز شرعا اما قوله ان الله والعالم واحد او انه هو والله واحد فهذا شطح خارج عن ظاهر الشرع غير جائز لان لا حلول ولا اتحاد فى الاسلام واذا كان الصوفى فى حال الفناء يبقى بربه ويتصل به فانه اتصال روحى محض يستشعره الصوفى اما الاتحاد بالله فان الصوفية الملتزمين بالكتاب والسنة كالغزالى وغيره يرفضونه تماما . غير ان ابن عربى يرى ان المتحد بالله فى حال الفناء لا يأتى حركة ولا يصفق ولا يمزق ثيابه واذا فعل ذلك فيكون من الشيطان وليس من الله لان الله لا يهب اسراره الا للامناء من عباده (٢)

وقد نقد ابن الجوزى البغدادى المتوفى ٥٩٧ هـ وغيره مسالك الصوفية فى الوجد وقالوا ان التواجد الذى يحدثه المتواجدون من قوة صياحهم وتخبطهم فظاهر انه متعمل

---

(١) ابن عربى ، رسالة النجاة ، ل ٢ ، ج

(٢) الفنا ءعند اصحاب "وحدة الوجود "حال يتحقق فيها الصوفى من اتحاد موجود بالفعل كان قد حجبه عنه اشتغاله بانيته وهو

(اى مصطنع) والشيطان معين عليه وانه نقص حتى وان كان صاحبه صادق الحال وذلك من جهتين :

احداهما : ان المتواجد لو كان قوى العلم لامسك (اى تماسك وامتنع عن التواجد بالحركات والصياح) .

والثانى : انه قد خالف به طريق الصحابه والتابعين ويكفى هذا نقصا(١) ، كما انتقد ابن الجوزى محمدبن طاهر وغيره فى قوله ان الخرقه اذا طرحت صارت ملكا لمن طرحت بسببه . واحتجاجه بحديث جرير الذى قال فيه " جاء قوم مجتابى النمار فحض رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة فجاء رجل من الانصار بصرة فتتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام "(٢) قال والدليل على ان الجماعة اذا قدموا عند تفريق الخرقة (اى توزيع اجزاءها الممزقة على الحاضرين) اسهم لهم حديث ابى موسى " قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغنيمه وسلب فأسهم لنا "(٣).

ويعترض ابن الجوزى على استدلال الصوفية وخاصة محمد ابن طاهر بما حدث من الرسول من انه (ص) طلب صدقة لقوم فقراء فتتابع المسلمون المتصدقون بوضع صدقاتهم حتى صارا كومين من الملابس والطعام بان الصوفية حينما يرمون الملابس او يطرحونها اثناء السماع ويتقاسمها اهل السماع ويستأثر القوال بالجديد السليم منها او يدفع صاحبه ثمنه الى القوال . واحتجاجهم ايضا بتوزيع الرسول الغنائم على المسلمين .

---

(١) انظر ابن الجوزى البغدادى : تلبيس ابليس ، من ص ٢٤١ : ٢٦٣

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

يرى ابن الجوزى البغدادى فى احتجاج الصوفية بامثال هذه الاحاديث على ما يقومون به من رمى الخرق فى مجالس السماع وتقطيعها وتوزيعها على الحاضرين والقوال او المنشد فيه تلاعب بالشرع فقال ما نصه " لقد تلاعب هذا الرجل (ويعنى محمدبن طاهر) بالشريعة واستخرج بسوء فهمه ما يظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية. فانا ما عرفنا هذا فى اوائلهم. وبيان فساد استخراجه ان هذا الذى خرق الثوب ورمى به ان كان حاضرا (اى واعيا لما يفعل) فما جاز له تخريقه وان كان غائبا (اى فى حالة فناء) فليس له تصرف جائز شرعا ، لا هبة ولا تمليكا.وكذلك يزعمون بان ثوبه كان كالشئ يقع من الانسان ولا يدرى به فلا يجوز لاحد ان يتملكه. وان كان رماه فى حال حضوره لا على احد فلا وجه لتملكه ،ولو رماه على المغنى لم يتملكه لان التملك لا يكون الا بعقد شرعى . والرمى ليس بعقد ثم نقدر انه ملك للمغنى . فما وجه تصرف الباقين فيه . ثم اذا تصرفوا فيه خرقوه خرقا وذلك لا يجوز لوجهين : احدهما انه تصرف فيما لا يملكونه : والثانى انه اضاعة للمال" (١).

وشبه ابن الجوزى احكام الصوفية فى الملابس او "الخرق " التى تسقط من المتواجدين اثناء السماع بالاحكام التى وضعت فى الجاهلية مثل احكام البحيرة والسائبة وغيرها من الاحكام وان هذا مذهب خارج عن اجماع المسلمين (٢).

---

(١) انظر : ابن الجوزى ، تلبيس ابليس ، ص ٢٦٢.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة . (البحيره هى الناقة التى تشق اذنها والسائبة هى التى لا ينتفع بها وكان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر شقوا اذنها وتركوها سائبه

وقد قال ابن طاهر " أجمع مشايخنا على ان الخرقة المخرقة وما انبعث من الخرق الصحاح الموافقة لها ان ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشايخ[١] ، والحق ان هذا قول اغلب الصوفية الذين يبيحون السماع واحتجوا بقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه " الغنيمة لمن شهد الواقعة "[٢] وخالفهم الشيخ ابو اسماعيل الانصارى وغيره فجعل الخرقة على ضربين ما كان سليما دفع الى القوال وما كان مجروحا قسم على الجميع ، واحتج بحديث سلمه بن الاكوع " من قتل الرجل له سلبه اجمع "[٣] فالقتل (ويعنى هنا الوجد والفناء) انما وجد من جهة القوال (اى بسبب ما انشد القوال) فالسلب له .

وقال ابن الجوزى تعليقا على ذلك ما نصه " انظروا اخوانى عصمنا الله واياكم من تلبيس ابليس الى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة واجماع مشايخهم الذى لا يساوى اجماعهم " بعرة " فان مشايخ الفقهاء اجمعوا على ان الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقا او سليما ولا يجوز لغيره التصرف فيه ثم ان سلب القتيل كل ما عليه (اى كل ما عليه من ملابس) فما بالهم جعلوه ما رمى به . ثم ينبغى ان يكون الامر على عكس ما قاله الانصارى لان المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبغى ان يكون المجروح للمغنى دون الصحيح وكل قولهم هذا محال وهذيان "[٤] .

ويرى ابن طاهر ان الذى يطرح الخرقة (اى تقع منه فى السماع او يرمى بها اثناء تواجده) لا يجوز ان يشتريها

---

(١) انظر ، ابن الجوزى ، تلبيس ابليس ، ص ٢٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

من الجمع واستدل على ذلك بحديث عمربن الخطاب رضى الله عنه (لا تعودن فى صدقتك) (١).

اما ابن الجوزى فينتقد ابن طاهر فى احتجاجه بحديث عمر رضى الله عنه بقوله " أنظروا الى بعد هذا الرجل عن فهم معانى الاحاديث فان الخرقة المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج الى ان يشتريها" (٢).

وقد اطال ابن الجوزى فى نقد مسالك الصوفية فى تقطيعهم الثياب خرقا، وقد حاول الغزالى الرد على من يعترض على مسالك الصوفية فى مجالس السماع وعلى ما تعارفوا عليه من تقليد خاصة (بالخرق) واعتبار ذلك بدعة فى الدين فقال ما نصه " وقول القائل بان ذلك بدعه لم يكن فى الصحابه ،فليس كل ما يحكم بباباحته منقولا عن الصحابة رضى الله عنهم. وانما المحذور ارتكاب بدعة تراغم المأثور (اى تخالفه) ولم ينقل النهى عن شئ من هذا ... ولكن اذا لم يثبت فيه نهى عام فلا نرى به بأسا كما فى البلاد التى جرت العادة فيها باكرام الداخل بالقيام . فالمقصود منه الاحترام وتطييب القلب وكذلك سائر انواع المساعدات اذا قصد بها تطيب القلب(٣) ولم يكن من عادة العرب القيام عند دخول الداخل .

وبالنسبة للرقص فى السماع والاعتراض عليه فيرى الغزالى ان الرقص وان كان مقرونا باللهو وتنفر منه الطباع . وقد سيطر على الاوهام انه مخالف للدين وينكره

---

(١) ابن الجوزى ، تلبيس ابليس ، ص ٢٦٣ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

أهل الجد من ذوى الدين فان رجال الدين مهما بلغ بهم الجد لن يكونوا جادين اكثر من رسول الله (ص) وقد رأى رقص الحبشة فى المسجد ولم ينكر رقصهم لانه كان فى يوم عيد واذا كان الرقص من اللهو واللعب فاللهو واللعب مباح ويقول امامنا ما نصه " من الادب ان لا يقوم للرقص مع القوم ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم اذ الرقص من غير اظهار التواجد مباح. والتواجد هو الذى يلوح للجميع منه اثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع. فقلوب الحاضرين اذا كانوا من ارباب القلوب محك للصدق والتكلف وقد سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الحاضرين له اذا كانوا اشكالا غير اضداد فان قلت : ما بال الطباع تنفر من الرقص ويسبق الى الاوهام انه باطل ولهو مخالف للدين فلا يراه ذو جد فى الدين الا وينكره فاعلم ان الجد لا يزيد على جد رسول الله (ص) وقد رأى الحبشة يزفنون فى المسجد وما انكره لما كان فى وقت لائق به وهو العيد من شخص لائق به وهم الحبشة ومن اشبههم وهو مكروه لذوى المناصب لانه لا يليق بهم، وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذى المناصب فلا يجوز ان يوصف بالتحريم "(١).

ويضرب امامنا على ذلك مثلا يقول فيه : " فمن سأل فقيرا شيئا، فأعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة. ولو سأل ملكا فاعطاه رغيفا او رغيفين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا فى تواريخ الاخبار من جملة مساويه ويعيره به اعقابه واشياعه. ومع هذا فلا يجوز ان يقال ما فعله حرام. لانه من حيث انه اعطى خبزا للفقير حسن ومن حيث انه بالاضافة الى منصبه كالمنع بالاضافة الى الفقير

(١) الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

مستقبح. فكذلك الرقص وما يجرى مجراه من المباحات. ومباحات العوام سيئات الابرار وحسنات الابرار سيئات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات الى المناصب واما اذا نظر اليه في نفسه وجب الحكم انه هو فى نفسه لاتحريم فيه والله اعلم[١].

نلاحظ ان ما سبق من الاداب يخص السامعين وسنتناول فيما يلى الاداب الخاصة بالمنشد او القوال والقصائد التى ينشدها واحب ان اضيف الى الاداب السابقة ما ذكره السهرورغى فى آداب المريدين من ضرورة ان يتعلم المريد آداب السماع على يد شيخ يقصده ليؤدبه فيه وانه يكره للشبان القيام فى حضرة المشايخ واظهار الحال. وانه لا رخصة للاحداث فى القيام والتحرك.وان اكثر المشايخ يكرهون حضورهم مجلس السماع ،واذا كان الوقت[٢] جدا فلا يجوز للمتكلف المداخلة والمزاحمة عن طريق الموافقة والمساعدة ايضا.وان الانصات من آداب الحضرة[٣].

اما بالنسبة للقوال او المسمع فان محيى الدين بن عربى يقول انه حر فيما ينشد فلا يجب ان يقترح عليه السامعون شيئا بعينه اما اذا ظهر لهم منه فى اثناء المجلس سأمه او كسل اى ليس فى اختياره الحمية المطلوبة اسكتوه وارجوا سره واشتغلوا بنفوسهم . فان كان فى الجماعة من ينوب عنه ، والا اخذوا فى الذكر بصوت واحد

---

(١) الغزالى ،احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٣٠٢ .

(٢) الوقت: عبارة عن حالك فى زمان الحال لا تعلق له بالماضى ولا بالمستقبل .

(٣) السهروردى : آداب المريدين ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

وطريقة واحدةوعلى نفس الايقاع ، وهى أحسن عندهم وعند المحققين من قول القوال(١).

ويشترط الصوفية فى المنشد او المغنى ان يكون رجلا ولا يحل السماع من امرأة لانه لا يحل النظر اليها ولا سماع جمال صوتها فى قراءة القرآن او ترتيله او انشادالموشحات والاغانى وان يكون حسن الصوت بليغ العبارة وان ينشد بنشاط وخشوع دون اظهار ملل ولا سأمة ويفضل ان ينشد الاغانى الدينية ويكره سماع الغزل والاوصاف وان يبدأ المجلس بالقرآن ويختم به (٢) ويفضل ان يكون من الصوفية.

بعد ان تفهمنا السماع ، ووقفنا على معناه وعرفنا أثره فىالنفوس ، ودوره فى اثارة الوجد وكوامن النفس واتخاذ الصوفية له كوسيلة عملية لترقيق القلب وعرفنا كيف يعقد الصوفية مجالس السماع وانهم يتفاوتون فىالتأثر به مما ادى الى اختلاف مقامات السامعين ،وبعد ان عرفنا الاداب التى يلتزم بها الصوفية فى مجالس السماع حتى يثمر ويحقق الهدف منه. وتبينا ان الصوفية الكمل لا تؤثر فيهم النغمات والالحان وانهم يفضلون سماع القرآنالكريموبعد ان وقفنا على تعليل الغزالى لطرب السامع المبتدىء بالالحان والقصائد. مبينا اسباب تأثره بها.

---

(١) محيى الدين بن عربى : رسالة فى اداب الشيخ المريد ل ١٩ و مخطوط بالازهر رقم ١٠٧٠خاص - ٣٣٥٨٠ عام ،مجاميع حليم.

(٢) انظر المرجع السابق ، وانظر ايضا اداب المريدين للسهروردى ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ والاشارات والتنبيهات لابن سينا ،ج ٤ ،ص ٨٢٥ ورسالة كلمات الصوفية ايضا / ل ٢١٧.

علينا ان نتبين معا حكم الشرع فى الغناء ومجالس السماع الصوفى وهذا ما سنتعرض له فى الفصول التالية ونتبين رأى الذين مالوا الى تحريم السماع وادلتهم ورأى من اباحوه وادلتهم وموقف الغزالى من السماع ومن المنكرين له . وسنبدأ قبل ذلك فى تناول سماع القرآن الكريم ورأى الصوفية فيه . وهو سماع الكمل من القوم .

الفصل الثاني

سماع القرآن الكريم

(١) تأثر اصحاب القلوب الصافية بسماع القرآن

(٢) لماذا يكون تأثر السامعين اقوى بسماع القصائد ؟

الفصل الثاني

سماع القرآن الكريم

لاشك ان سماع القرآن الكريم له مكانة خاصة ومنزلة رفيعة وقد أمرنا الحق سبحانه بسماع القرآن والانصات له في قوله تعالى : " واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون"(١) ، وقوله تعالى : " فاقرءوا ما تيسر من القرآن"(٢) وذلك لان من يستمع الى تلاوة القرآن في تدبر وخشوع يؤثر في قلبه ويهديه الى سواء السبيل وهو رحمة وبركة وهو كما قال الحق سبحانه وتعالى " ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم وبشر المؤمنين"(٣).

وقد وصف الله من يستمعون القرآن ولا يتدبرون آياته وما تحمله من المعانى الجليلة التى يخشع لها القلب وتطمئن النفس وتقر العين ويزداد الايمان بأنهم اصحاب قلوب مغلقة ، عليها اقفالها وذلك فى قوله تعالى:" افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"(٤)لان للقرآن وقع عظيم فى النفوس ويزيد المؤمنين ايمانا على ايمانهم وقد

---

(١) سورة الاعراف ، آية ٢٠٤ .

(٢) سورة المزمل ، اية ٢٠ .

(٣) سورة الاسراء ، آية ٩ .

(٤) سورة محمد ، آية ٢٤ .

قال عنه الحق تبارك وتعالى : " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله "(١).

وقد اعتبره الصوفية سماع الكمل من القوم الذين يسمعون القول فيتبعون احسنه . فهو سماع ربانى .

وبعد أن حدثنا الغزالى فيما سبق عن سماع الكلام الموزون من قصائد الشعراء على اختلاف موضوعاتها والاناشيد الدينية التى يتغنى بها على نغمات الالات الموسيقية المباحة سيوضح موقف من مالوا الى تحريم السماع ومن قالوا بحله وليفصح عن رأيه الخاص مبينا مواطن التحريم ومواطن الاباحة فى السماع بعد ان نعرف رأيه فى سماع القرآن الكريم .

(١) تأثر أصحاب القلوب الصافية بسماع القرآن الكريم :

يرى شيخنا ان الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق ارادة السامع وقوة شوقه الى لقاء ربه وان السامعين من ذوى النفوس الطاهرة والقلوب الصافية والاحوال الصادقة يتأثرون بسماع القرآن فيحدث لهم وجد عند سماعهم كلام الله ويدل على ذلك قوله تعالى " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله "(٢)، وقوله تعالى " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم "(٣)، وقوله تعالى : " لو

---

(١) سورة الحشر ، آية ٢١ .

(٢) سورة الزمر ، آية ٢٣ .

(٣) سورة الانفال ، آية ٢ .

أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله "(١).

هذه الايات الكريمة تدل فى رأى شيخنا دلالة واضحة على مدى تأثير كلام الله تعالى على عباده الخاشعين المتقين الذين تقشعر أبدانهم اجلالا وخشية من الله لما يسمعونه من عظيم كلماته تعالى التى تهز اعماقهم وتشرح صدورهم وتأثر فى ابدانهم فينفعلون بها ظاهرا وباطنا فهى تؤثر فى القلوب والارواح كما تؤثر فى ذات الوقت فى الجلود والابدان فالصوفية بلاشك يتأثرون بسماع القرآن الكريم .

وهذا النوع من السماع يقول عنه ابن القيم" هو سماع الايات لا سماع الابيات ، وسماع القرآن لا سماع الشيطان وسماع كلام رب الارض والسماء لا سماع قصائد الشعراء،وسماع المراشد لا سماع القصائد ، وسماع الانبياء والمرسلين لاسماع المغنيين والمطربين"(٢).

ويقول فيه السهروردى " ان الحظوظ العاجلة والاقسام الدنياوية التى هى مناط الهوى ومثار الردى بمثابة الحطب الذى تزدادالنارية له تأججا ويزداد القلب به تحرجا فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها (اى الصوفية) فلما انقطعت من نار النفس احطابها فترت نيرانها وقل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهيأوا مواردها بصفاء الفهم فلما شهدوا سمعوا قال تعالى : " ان فى ذلك

---

(١) سورة الحشر ، آية ٢١ .

(٢) ابن القيم الجوزية ،مدارج السالكين،طبعة اولى،جا ،ص٢٧٤.

لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد"(١).

وقال سهل بن عبدالله التستري " القلب رقيق تؤثر فيه الخطرات المذمومة ،وأثر القليل عليه كثير . قال تعالى : " ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين"(٢)، فالقلب عمال لا يفتر والنفس يقظانه لا ترقد فان كان العبد مستمعا الى الله تعالى والا فهو مستمع الى الشيطان والنفس"(٣) وهو يعنى بذلك ان سماع القرآن الكريم يكون له فى قلوب المحبين لله تأثيرا محمودا واما استماع الاشعار فانه قد يؤدى الى الخواطر شيطانية مذمومة ، والغزالى بعد ان يثبت اهمية سماع القرآن عند الصوفية وتواجدهم لسماعه يرد على من يتعجب ، ان الصوفية ينفعلون بسماع الغناء وهو كلام الشعراء ويحدث لهم به وجد ولا ينفعلون بسماع القرآن الكريم وهو كلام الله ولو كانوا صادقين لكان كلام الله اولى باثارة وجدهم من الغناء. فدل ذلك على ان احوالهم باطلة وانها من غرور الشيطان .

ومن ذلك ما قاله ابن الجوزى البغدادى حيث يقول: " وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وما ذاك الا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع ، وهم

---

(١) عوارف المعارف بهامش احياء علوم الدين للغزالى سورة ق ، آية ٣٧ .

(٢) سورة الزخرف ، آية ٣٦ .

(٣) عوارف المعارف للسهروردى بهامش احياء علوم الدين للغزالى ، جـ ١ ، ص ٢٣٦ .

يظنون غير هذا "(١).

ويرد الغزالى على ذلك بقوله بان الذى يهيج شوقه بسماع القرآن فهو حب الخلق وعشق المخلوق فيلزم من محب الله المشتاق الى مطالعة جماله وجلاله صاحب الوجد الحق أن يحرك سماع القرآن شوقه ، بل على حد تعبير الغزالى يهيج هذا الشوق ويشعل ناره .

وفى رأى شيخنا ان الوجد والخشوع عند سماع القرآن هو وجد من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل المكاشفات

---

(١) انظر تلبيس ابليس ،ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ . (١) يقول ابن الجوزى البغدادى ان ابانصر السراج الطوس حكى عن ابى الحسن الدارج انه قصد يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخل الرى سأل عن منزله وكان كل من يسأله عليه يقول له ماذا تفعل بذلك الزنديق حتى ضيقوا صدره وعزم على الانصراف وبات ليلتها فى المسجد وفى الصباح اهتدى الى مسجده ووجده جالس فى المحراب وبين يديه مصحف يقراء فيه فسلم عليه وطلب منه الشيخ ان يقول شيئا فقال : رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى،فاطبق المصحف وبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمه الله من كثرة البكاء ـ ثم قال : يا بنى تلوم اهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا اقرأ القرآن لم تقطر من عينى قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت ، المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

غير أنه قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ويستشهد على صحة رأيه هذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم " زينوا القرآن باصواتكم "(١) اى ان قارئ القرآن يجب ان يكون حسن الصوت حتى لا ينفر السامعين. وقوله صلى الله عليه وسلم عن ابى موسى الاشعرى " لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود عليه السلام "(٢).

ولاشك ان حسن الصوت وخشوعه عند قرآة القرآن تبعث على الانصات فاذا انصت المستمع وكان قوى الايمان بعثه ذلك على التفكر والوجد لما يكون لمعانى الايات الكريمة من اثر فى نفسه فاصحاب القلوب الطاهرة والنفوس الصافية يظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن الكريم ولا ادل على ذلك كما يرى شيخنا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم " شيبتنى هود واخواتها "(٣)، وهذا الحديث يدل على ان القرآن الكريم يبعث على الوجد ويؤدى الى الخوف من الله والحزن على التقصير فى حقه والخوف والحزن يؤديان الى الشيب .

ويورد الغزالى ادلة على ان الرسول عليه افضل الصلاة والسلام قد حدث له وجد من سماع القرآن الكريم.ومن ذلك ما رواه ابن مسعود رضى الله عنه من انه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى الى قوله تعالى " فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد

---

(١) الدارمى صلاة ١٧١ فضائل القرآن ٣٤ .

(٢) سبق تخرجه .

(٣) رواه الترمذى من حديث ابى حنيفة وله وللحكم من حديث ابن عباس . قال الترمذى حسن ، وقال الحكم صحيح على شرط البخارى .

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا "(١) قال حسبك وكانت عيناه تزرفان الدموع .

وقد روى ايضا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قرأ هذه الاية او قرئ عنده قول الله تعالى :" ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما "(٢) ،فبكى(٣) .

وروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى " ان تعذبهم فانهم عبادك "(٤) ، فبكى . ويقول الامام الغزالى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مر بآية من آيات الرحمة دعا ربه واستبشر"(٥) وفى رأى الغزالى ان الاستبشار وجد وان الرسول كان يحدث له حال من البسط والبهجة والاستبشار عندما يسمع ايات القرآن التى ذكرت فيها رحمة الله وعفوه تعالى .

والغزالى يرى ان الحق سبحانه يمتدح اهل الوجد ويثنى عليهم فى قوله تعالى : " واذا سمعوا ما انزل الى

---

(١) سورة النساء ، آية ٤١ .

(٢) سورة المزمل ، آية ١٢ .

(٣) حديث انه قرئ عند الرسول " ان لدينا انكالا "... ذكره ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب من طريقه من حديث ابى حرب ابن ابى الاسود مرسلا. انظر الغزالى ، الاحياء ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٤) سورة المائدة ، آية ١١٨ .

(٥) انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق"(١)

وينتهي الغزالي من تلك الامثلة وغيرها الى ان الرسول عليه السلام كان يحدث له وجد عند سماع القرآن الكريم وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم باحسان كانوا ايضا فيما يرى الغزالي يتواجدون عند سماع القرآن الكريم فيقول " ومنهم من صعق عند سماع القرآن ومنهم من بكى ومنهم من غشي اليه ومنهم من مات في غشيته . وروى ان زرارة بن اوفى وكان من التابعين كان يؤم الناس بالرقة فقرأ : " فاذا نقر في الناقور(٢) فصعق ومات في محرابه رحمه الله "(٣).

ويروى الغزالي ان عمربن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلا يقرأ قول الحق تبارك وتعالى :" ان عذاب ربك لواقع "(٤) وخر مغشيا عليه فحمل فلم يزل مريضا في بيته شهرا "(٥).

ويذهب امامنا الى ان الامام الشافعي رحمه الله سمع قارئا يقرأ " هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون "(٦) فغشي عليه من شدة الوجد .

---

(١) سورة المائدة ، آية ٨٣ .

(٢) سورة المدثر ، آية ٨ .

(٣) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٤) سورة الطور ، آية ٧ .

(٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٦) سورة المرسلات ، آية ٣٥ .

والحق أن الامام الغزالى يسوق الكثير من هذه الامثلة التى يستدل منها على ان الصحابة والتابعين كان يحدث لهم وجد من سماع القرآن الكريم (١).

ويوضح امامنا اثر سماع القرآن الكريم على الصوفية وما يحدثه سماع كلام الله فيهم من وجد فيروى ان الشبلى كان فى مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف امام فقرأ الامام قول الحق تبارك وتعالى " ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك"(٢) فزعق "الشبلى" زعقة ظن الناس انه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتعدت فرائصه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب ويردد ذلك مرارا"(٣).

كما روى الجنيد انه دخل على سرى السقطى فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه فقال لى هذا رجل قد سمع اية من القرآن فغشى عليه فقلت أقرءوا عليه تلك الاية بعينها حتى يفيق فأفاق . فقال من اين قلت هذا فقلت رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق ما ابصر بمخلوق . فاستحسن ذلك واشار الى قول الشاعر :

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها(٤)

---

(١) انظر احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ومابعدها .
(٢) سورة الاسراء ، آية ٨٦ .
(٣) الغزالى ، الاحياء ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .
(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ويفيض الغزالى فى ذكر ما روى عن تواجد كبار الصوفية عند سماع القرآن الكريم(١) ، فاصحاب القلوب المطمئنة الصافية لا يخلون عن وجد عند سماع القرآن.

ويذهب الامام الغزالى الى ان من يسمع القرآن ولا يؤثر فيه فمثله كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون "(٢) قال تعالى" ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد"(٣).

وقال الشابلى موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفه عين(٤).

وقد ذهب الى مثل هذا القول الصوفى يحيى بن معاذ الرازى حيث قال :" القلب قلبان . قلب قد احتشى باشغال الدنيا حتى اذا حضر امر من امور الاخرة لا يدرى صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى باحوال الاخرة حتى اذا حضر امر من امور الدنيا لا يدرى صاحبه ماذا يصنع لذهاب قلبه فى الاخرة"(٥).

وقال السهروردى : " اصحاب التمكين يجمع لهم بين المشاهدة والفهم ، فموضوع الفهم محل المحادثة والمكالمة

---

(١) لمعرفة المزيدمن تلك الروايات انظر احياء علوم الدين ج ٢ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥.

(٢) سورة البقرة ، آية ١٧١.

(٣) سورة ق ، آية ٣٧ .

(٤) السهروردى ،عوارف المعارف على هامش احياء علوم الدين للغزالى ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

(٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وهو سمع القلب ، وموضوع المشاهدة بصر القلب ، وللسمع حكمة وفائدة ، وللبصر حكمة وفائدة ، فمن هو فى سكر الحال يغيب سمعه فى بصره ، ومن هو فى حال الصحو والتمكين لا يغيب سمعه فى بصره ، لتملكه ناصية الحال. ويفهم بالوعاء الوجودى المستعد لفهم المقال لان الفهم مورد الالهام ،والسماع والالهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ انشاء ثانيا للمتمكن فى مقام الصحو وهو غير الوجود الذى يتلاشى عند لمعان نور المشاهدة لمن جاز على ممر الفناء الى مقر البقاء(١).

وقد ذكر القرطبى ان سماع رسول الله (ص) واصحابه انما كان القرآن فاياه يتدارسون وفيه يتفاوضون ومعانيه يتفهمون ويستعذبونه فى صلاتهم ، ويأنسون به فى خلواتهم ويتمثلون به فى مجاولاتهم ، ويلجؤن اليه فى جميع حالاتهم فاذا سمعوه انصتوا كما امروا واذا قروءه تدبروا واعتبروا فأحلوا جلاله ، وحرموا حرامه واقتبسوا احكامه يتخلقون باخلاقه ويعملون على وفاقه علما منهم بانه طريق النجاة ونيل الدرجات وتلاوته افضل العبادات ، واجل القربات فانه حبل الله المتين ، والصراط المستقيم ، الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء . من قال به صدق ،ومن عمل به اجر ،ومن حكم به عدل ، ومن دعى اليه دعا الى صراط المستقيم .(٢)

ومن ذلك يتضح ان القرآن هو خير كلام يسمع لانه كلام الله ووجد الصوفية فى سماعه باعثا على الوجدوالتأمل والتفكر فى الله .

---

(١) السهروردى : عوارف المعارف على هامش الاحياء ،ج١ ،ص٢٣٨

(٢) انظر. محمد ابو الهدى العبادى المكنى بابى البركات ،روض الاسماع فى احكام الذكر والسماع ، ص ٦٣ .

نخلص من ذلك الى ان الغزالي وغيره من الصوفية يذهب الى ان سماع القرآن الكريم يبعث على الوجد، وينتقد ابن الجوزى البغدادى هذا القول وينكر على من يسمع القرآن ويصعق او يزعق ويروى العديد من الاقوال التى اسندها الى اصحابها والتى يذهبون فيها الى انكار الوجد عن طريق سماع القرآن الكريم ومن اقواله فى ذلك " اعلم وفقك الله ان قلوب الصحابة كانت اصفى القلوب وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع فجرى من بعض غرائبهم نحو ما انكرناه فبالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانكار عليه "(١).

عن أنس قال : وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فاذا رجل قد صعق فقال النبى صلى الله عليه وسلم من ذا الملبس علينا ديننا اذا كان صادقا فقد شهر نفسه وان كان كاذبا فمحقه الله "(٢).

ونقل عن مالك ابن أنس ايضا انه ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة (اى قراءة القرآن) فقال أنس : لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنينا حين اخذتهم الموعظة وما سقط منه أحد "(٣).

ويقول ابن الجوزى البغدادى : " وهذا حديث العرياض بن ساريه : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب . قال ابوبكر

---

(١) ابن الجوزى البغدادى ،تلبيس ابليس ، ص ٢٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الاجرى ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان "(١).

وروى عن أنس ايضا ان قتادة قال له :" ان اناسا اذا قرئ عليهم القرآن يصعقون فقال . ذاك فعل الخوارج(٢).

ويكثر ابن الجوزى البغدادى من ذكر مثل هذه الروايات التى ينكر فيها اصحابها على من يتواجد عند سماع القرآن بان يزعق او يصعق او يغشى عليه او يحدث اى شئ من هذا القبيل ويقول ان الرسول والصحابة على صفاء قلوبهم كانوا لا يذيدون فى وجدهم عند سماع القرآن على البكاء وان تقشعر جلودهم(٣).

والغزالى يعتبر سماع القرآن الكريم هو سماع الكمل من اهل التصوف اما المريد المبتدئ فان الغناء يكون اشد تهييجا لوجده واثارة لقلبه وهذا ما سنتبينه من عرض وجهة نظره فى تعليل ذلك .

(٢) لماذا يكون تأثر السامعين أقوى بسماع القصائد ؟

يوضح لنا الغزالى الاسباب التى من اجلها يعتبر الغناء اشد تهييجا للوجد من القرآن الكريم فيقول " فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم

---

(١) انظر : تلبيس ابليس ، ص ٢٥٣ .

(٢) انظر باب التغنى بالقرآن . الدرامى صلاة ،ص ١٧١ ، وفضائل القرآن ، ص ٣٤ .

(٣) تلبيس ابليس ، ص ٢٥٠ الى ٢٦٠ .

(اى الصوفية) يجتمعون على سماع الغناء من القواليـن دون القارئين ؟ فكان ينبغى ان يكون اجتماعهم وتواجدهم فى حلق القرآن لا خلق المغنيين . وكان ينبغى ان يطلب عند كل اجتماع فى كل دعوة قارىء لا قوال . فان كلام الله تعالى افضل من الغناء لا محالة . فاعلم ان الغناء اشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه "(١).

ويبدأ الغزالى فى سرد هذه الاوجه كما يلى :

الوجه الاولى :

يذهب الى ان آيات القرآن الكريم متنوعة ومتعددة الاغراض وليست جميعها تتناسب مع حال السامع بحيث تثير وجده فمن الايات ما يتحدث عن الموازين والمواريث او الطلاق او الحدود وهذه الايات الكريمة مع عظمتها وجلال قدرها اذا قرأت فى حضرة السامعين على اختلاف احوالهم فانها لا تتناسب معهم فمنهم التائب النادم ومنهم المشتاق العاشق ومنهم الحزين . فلا يحرك ما فى القلب الا ما يناسبه . واقوال القوال عادة تكون مناسبة لتلك الاحوال وبذلك يكون لها تأثيرا قويا على قلوب السامعين. واليك قول الغزالى فى ذلك : " ليست جميع ايات القرآن تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن او شوق او ندم فمن اين يناسب حاله قوله تعالى :" يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثتين "(٢) وقوله تعالى : " والذين يرمون المحصنات(٣).

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .
(٢) سورة النساء ، آية ١١ .
(٣) سورة النور ، آية ٤ .

وكذلك جميع الايات التى فيها بيان احكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها . وانما المحرك لما فى القلب ما يناسبه والابيات انما يفعها الشعراء اعرابا بها عن احوال القلوب فلا يحتاج فى فهم الحال منها الى تكلف "(١).

وهذا لا يعنى عند امامنا ان الايات القرآنية السالفة الذكر لا تثير وجد السامع على الاطلاق فهى قد تثير وجد من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبقى فيه متسعا لغيرها على ان يكون لديه يقظة وذكاء ثاقب يتفطن به للمعانى البعيدة من الالفاظ الواردة فى الايات . فيحدث له الوجد عند سماعها مثل قوله تعالى : " يوصيكم الله فى اولادكم(٢) فقد تذكره هذه الاية الكريمة بحالة الموت عند الوصية وان كل انسان لابد ان يخلف ماله وولده وهما محبوباه فى الدنيا فيترك احد المحبوبين للثانى ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع . او يسمع هذه الاية عينها فتثير وجده عندما يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بان تولى تقسيم مواريثهم بنفسه سبحانه وتعالى نظرا لهم فى حياتهم وموتهم، فيقول : اذا نظر لاولادنا بعد موتنا ، فلاشك بانه ينظر لنا ، فيهيج منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا . او يخطر له من قوله تعالى : " للذكر مثل حظ الانثيين"(٣). تفضيل الذكر على الانثى وان الفضل فى الاخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله(٤).

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٢) سورة النور ، آية ٤ .

(٣) سورة النساء ، آية ١١ .

(٤) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

وامثال هذه الايات قد تحرك الوجد غير ان من يتحرك وجده يمثل هذه الايات لابد فى رأى امامنا ان يتوافر فيه وصفان احدهما : حالة مستغرقة قاهرة . والاخر : تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتنبيه بالامور الغريبة على المعانى البعيدة .

ويرى الغزالى ان هذه الامور عزيزة ولاجل ذلك يفزع السامع الى الغناء الذى هو الفاظا مناسبة للاحوال فتثير الوجد(١) .

وقد قال الجنيد فى سماع القرآن وسماع الالحان ما يشبه ذلك فقد ذهب الجنيد الى ان الاشعار من صنع الانسان وضعها حسب احواله المتعددة ولذلك فان للنفس فيها حظ اما القرآن فهو حق نزل من عند حق ، لا يليق بصفات الخلق ولذلك فهو لا يطرب فى الدنيا واذا سمعوه فى الاخرة من قائله اطربهم ولذلك لا يطرب له الا العلماء المقربون(٢) .

وهذا يتفق مع رأى الصوفية وهو ان خاصة القوم هم الذين يتأثرون بالقرآن لا بسماع الالحان ومن ذلك ما قاله ابن القيم الجوزيه من ان سماع القرآن هو سماع الانبياء والمرسلين لا سماع المغنيين والمطربين(٣) .

---

(١) انظر احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٩٥ .

(٢) محمد بن ابى الهدى المكنى بابى البركات ، روض الاسماع فى احكام الذكر والسماع ، ص ٦٤ .

(٣) ابن القيم ، مدارج السالكين ، طبعة اولى ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

ويؤيد الغزالى ما ذهب اليه بما حدث لابى الحسن النورى عندما كان فى مجلس مع جماعة فجرت بينهم مناقشة حول مسألة فى العلم وابوالحسن كان ساكنا ثم رفع رأسه وأنشد :

رب ورقاء هتوف فى الضحى
ذات شجو صدحت فى فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا
وبكت حزنا فهاجت حزنى
فبكائى ربما أرقها
وبكاها ربما أرقنى
ولقد أشكو فما أفهمها
ولقد تشكو فما تفهمنى
غير أنى بالجوى اعرفها
وهى ايضا بالجوى تعرفنى

فعندما سمع القوم هذه الابيات قاموا وتواجدوا عليها واثارت وجدانهم بينما لم يحدث لهم ذلك من العلم الذى خاضوا فيه وان كان العلم جدا وحقا[1].

الوجه الثانى :

وفيه يدلى الغزالى بسبب اخر يجعل السماع عن طريق القصائد والاغانى اشد استثارة للوجد من سماع القرآن الكريم وذلك ان القرآن محفوظ للكثيرين من الناس ويسمعونه دائما ، ويتكرر سماعه فالفته الاسماع والقلوب وهذه الالفة جعلته اقل تأثيرا فى استثارة الوجد. فالانسان عندما يسمع شيئا جديدا يثير وجده وينفعل به غير ان هذا الشئ اذا تكرر سماعه مرات ومرات الفته الاسماع والقلوب

(١) الغزالى ، الاحياء ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

وصار تأثيره اضعف فى كل مرة والقرآن هو هو دائما لا يتجدد سورة وآياته وانما يظل كما هو دون تغييراو تبديل آياته محفوظة مألوفة للاسماع لكثرة ترددها اما القصائد التى ينشدها القوالون يمكن ان تحمل فى كل مرة كلمات جديدة تعبر عن نفس المعنى وفى كل مرة يكون لها أثر متجدد فى القلوب فتتواجد لسماعها • ويقول الغزالى فى ذلك ما نصه " ان القرآن محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب وكل ما سمع اولا ، عظم اثره فى القلوب وفى الكرة الثانية ، يضعف اثره وفى الثالثة ، يكاد يسقط اثره • ولو كلف صاحب الوجد الغالب ان يحضر وجده على بيت واحد على الدوام فى مرات متقاربة فى الزمان فى يوم او اسبوع لم يمكنه ولو ابدل بيت اخر لتجدد له اثر فى قلبه وان كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا فى كل وقت ودعوة ، فان القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر"(١).

واشار الغزالى الى قول الصديق رضى الله عنه عندما رأى الاعراب يقدمون فيستمعون القرآن ويبكون فقال " كنا كما كنتم ولكنقست قلوبنا " ويقول الغزالى " ولا تظن ان قلب الصديق رضى الله عنه كان اقسى من قلوب الاجلاف من العرب او كان اخلى من حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار على قلبه اقتضى المرون عليه وقله التأثر به لما حصل له من الانس بكثرة استماعه اذ يحال فى العادات ان يسمع السامع اية لم يسمعها من قبل فيبكى ثم يداوم على البكاء عليها عشرين سنة ثم يرددها ويبكى"(٢).

---

(١) الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٩٦ •

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة •

ولاشك ان كل غريب جديد وكل جديد له لذة وله موقع من النفس وتأثير فى القلب ويرى الغزالى ان تلك هى الحكمة التى من اجلها منع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس من كثرة الطواف بالكعبة وقال : قد خشيت ان يتهاون الناس بهذا البيت اى يأنسوا به (١).

ولا أدل على ذلك من ان من يقدم حاجا ويرى البيت الحرام يبكى لرؤيته ويحدث ذلك فى قلبه خشية وفى نفسه تأثيرا عظيما وربما غشى عليه لفرط تأثره ، غير انه اذا اقام بمكة وألف رؤية البيت لا يحدث له نفس الانفعال الذى حدث عند رؤيته لاول مرة (٢).

وهذا كما يرى امامنا شأن المغنى الذى يستطيع ان يتغنى بابيات غريبة على الاسماع فى كلمرة يقول فيها . ولكن مقرىء القرآن لا يقدر ان يأتى بايات قرآنية غريبة فى كل وقت (٣).

الوجه الثالث :

كما يذهب الغزالى الى ان الشعر كلام موزون وله موسيقى خاصة اذا تغنى به المغنى بالحان جميلة وصوت طيب كان لذلك تأثيره العظيم فى النفس فيؤدى الى وجد السامع ويكون تأثيره قويا .

---

(١) الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

والقرآن يقرأ بصوت طيب ولكنه غير موزون لان الوزن يوجد فى الشعر دون الايات . وبذلك تكون درجة تأثر السامع بالابيات الموزونة وشدة طربه بها.ويقول امامنا فى ذلك ما نصه " ان لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا فى النفس فليس الصوت والوزن الطيب كالصوت الطيب الذى ليس بموزون وانما يوجد الوزن فى الشعر دون الايات ، ولو حزف المغنى البيت الذى ينشده او لحن فيه او مال على حد تلك الطريقة فى اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة ، واذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش ، فالوزن اذن مؤثر فلذلك طاب الشعر(١)

الوجه الرابع :

ان الغناء يستخدم فيه الحان مختلفة او طرق متعددة للاداء والتى يكون منها مد المقصور ، وقصر الممدود والوقف والقطع الوصل وغيرها من النغمات وطريقة الاداء التى يستوجبها اللحن ، حتى يكون مؤثرا فى النفوس . اما القرآن الكريم فلا يجوز لقارئه ان يفعل ذلك ، فهو ملتزم باحكام التلاوة والترتيل ، وعلى ذلك يفتقد السامع احد المؤثرات التى تثير وجده وهو الالحان والنغمات العذبة . ويقول الغزالى ما نصه : "ان الشعر الموزون يختلف تأثيره فى النفس بالالحان التى تسمى الطرق والدستانات ، وانما اختلاف تلك بمد المقصور،وقصر الممدود ،والوقوف فى اثناء الكلمات والقطع والوصل فى بعضها ، وهذا التصرف جائز فى الشعر ولا يجوز فى القر آن الا التلاوة كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل والقطع

---

(١) الغزالى . احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام او مكروه . واذا رتل القرآن كما انزل سقط عنه الاثر الذى سببه وزن الالحان[(١)].

الوجه الخامس :

ان الاغانى الملحنة الموزونة تغنى على نغمات الالات الموسيقية التى تساعد بدورها فى جعلها مؤثرة مما يساعد على استثارة الوجد الذى لا يستثار الا بدافع قوى فالكلام الموزون مع اللحن والصوت الحسن ومصاحبة الالات الموسيقية له فانها مجتمعة يكون لها قوة تأثير والقرآن الكريم لا يمكن ان يصاحب بمثل هذه القرائن لان كلام الله اجل واعظم من ان يمزج بهذا اللهو . فلا يجوز ان يختلط الحق المحض بما هو لهو عند العامة . فينبغى ان يكون للقرآن وقاره وجلاله . ولذلك فان الصوفية يستخدمون فى مجالس السماع الانشاد الدينى مصحوبا بالالات الموسيقية كالدف وغيرها .

اما القرآن فله حرمة فلا يجوز ان يقرآ الا من انسان طاهر فى مجلس ساكن يسوده الخشوع والهدوء ولا يفى بحق حرمة القرآن الا المراقبون لاحوالهم ، ولذلك يستحسن الغناء فى مجالس السماع لانه لا يستحق كل هذه المراقبة والمراعاة ولانه يثير اصحاب الوجد الضعيف .

ويدعم الغزالى قوله بما وقع من الرسول (ص) عندما دخل بيت " الربيع بنت معوذ" وكان عندها جوار يغنين فسمع احداهن تقول " وفينا نبى يعلم ما فى غد " على وجه الغناء فقال صلى الله عليه وسلم" دعى هذا وقولى ما كنت تقولين " وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها

---

(١) الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

الى الغناء الذى هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو . فاذا يتعذر بسببه تقوية الاسباب التى بها يصير السماع محركا للقلب فى الاحترام والعدول الى الغناء عن القرآن . كما وجب على تلك الجارية العدول من شهادة النبوة الى الغناء"(١).

الوجه السادس :

ان المغنى او المنشد قد ينشد بيتا لا يوافق حال السامع فلا يتقبله ويكره ان يسمعه وينهاه عنه ويطلب منه ان يقول غيره ، فان كان حال تطلب ما يناسبها من الاقوال ولو قرئ القرآن فى مجالس السماع وقرأ المقرئ آية او آيات كريمة لا توافق حال السامع فلا يجوز ان يكره سماعها ويطلب من المقرئ ان يقرأ غيرها مما يوافق حاله ولتجنب الوقوع فى مثل هذا استحسن السماع عن طريق الغناء حيث ان كلام الشاعر يجوز تنزيله على غير مراده اما كلام الله فيجب توقيره وصيانته ولا يجوز الا على ما اراد الله وليس ما اراد الانسان . ويقول الغزالى ما نصه :" لا يؤمن ان لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهه كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ ، وحتم واجب اذ لا يجد الخلاص عنه الا بتنزله على غير مراده ، ففيه خطر الكراهه ، او خطر التأويل والخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله تعالى وصيانته عن ذلك . وهذا ما ينقدح لى فى علل انصراف الشيوخ الى سماع الغناء عن سماع القرآن(٢).

---

(١) الغزالى ، الاحياء ، ج ٢ ،ص ٢٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الوجه السابع :

وهذه الحجة قد ذكرها ابونصر السراج الطوسى واستند اليها الغزالى واضافها الى حججه السابقة وهى ان القرآن الكريم كلام الله وصفه من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقه ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لدهشت وتصدعت اما الالحان الطيبة فهى مناسبة للطباع الانسانية موافقة لحظوظ البشرية فاذا اجتمعت الالحان الجميلة بالاصوات العذبة بالشعر وما يحمله من الاشارات واللطائف انسجم بعضها مع البعض الاخر وكانت اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق للمخلوق . فكون الانسان يتنعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة والالحان فعليه ان يستخدمها فى سماعه لا صطناع الوجد . ويقول امامنا ما نصه : " وهنا وجه سابع ذكره ابونصر السراج الطوسى.... فقال القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة . ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق . والشعر نسبته نسبة الحظوظ. فاذا علقت الالحان والاصوات بما فى الابيات من الاشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا وكان اقرب الى الحظوظ . واخف على القلوب لمشاكله المخلوق للمخلوق"(١) .

والشعر والغناء يتفق مع طباع السامعين ويؤثر فى قلوبهم لانه مخلوق مثلهم فهو يناسبهم . واما القرآن

---

(١) الغزالى ، الاحياء ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .

فنظمه خارج من اساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل فى قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعهم وهذا الرأى قد ذهب اليه ايضا الجنيد وقد سبق ذكره .

وتعليقا على تلك الحجج التى اوردها الغزالى فى علة سماع الصوفية وتواجدهم على القصائد والالحان اكثر من تواجدهم لسماع القرآن اقول ان للصوفية فى السماع مقامات قد سبق الحديث عنها فمنهم من يسمع بحاله وهذا يسقط ما يسمع على احوال نفسه المتعددة من خوف او آنس او رجاء او شوق .. الى اخر ما ذكرنا من تلك الاحوال والسامع فى هذا المقام يتأثر بسماع الالحان والقصائد فهى تصلح له وتناسب مقامه ودرجته وهو فى تلك الدرجة قد يجد فيها ضالته المنشودة فيستجيب لها ويتأثر بها ايما تأثير فهى ترقق قلبه وتبعث فيه الخشوع والخوف من الله وتزهده فى الدنيا وتذكره بالاخرة وتقوى عزيمته ولا بأس فى ذلك فما يساعد على تحقيق الخير فهو خير .

وهناك السماع الربانى وهو سماع الكمل من القوم والذى قلنا ان اصحابه لا تؤثر فيهم النغمات وانما سماعهم من الله وفى الله والله فهؤلاء فى مقام اعلى ودرجة تعدت احوال النفس وحظوظها فهم يفضلون سماع القرآن على سماع الالحان التى هى غالبا سماع السالك فى بداية الطريق اما الكمل من القوم فلا يحتاجون اليها فى اثارة وجدهم فهم يتدبرون القرآن الذى يهدى للتى هى اقوم . ولذلك قال الجنيد : " كل مريد رأيته يميل الى السماع (ويعنى سماع الغناء) فاعلم ان فيه باقية من البطالة "(١).

---

(١) السهروردى ، آداب المريدين ، ص ١٠٧ .

او كما يقول الصوفية السماع لقوم كالغذاء ولقوم كالدواء ولقوم كالداء ولقوم كالمروحة .(١)

هذا ولاشك ان الصوفية على اختلاف مقاماتهم سواء من كان منهم فى بداية الطريق او من بلغ منهم المقامات العالية والدرجات الرفيعة فى القرب من الله يحبون سماع القرآن ويقرءون ما تيسر منه وينصتون اليه لانه يهدى للتى هى اقوم ويتدبرونه لان قلوبهم عامرة بحب الله وحب كلماته الصادقة ويعرفون له قدره ؛وانما يستخدون السماع بالغناء ترويحا لقلوبهم وارواحهم من كثرة الجد واجلالا وتعظيما للقرآن من ان يفهمه اصحاب الاحوال على غيرمعناه .

---

(١) السهروردى : آداب المريدين ، ص ١١٠ .

الفصل الثالث

رأى من حرموا السماع والتهم

الفصل الثالث

رأى من حرموا السماع وأدلتهم

اختلفت الاراء حول السماع ، هل هو حلال ام حرام ؟ ذهب فريق من العلماء الى ان سماع الغناء والالحان حلال لا حرمه فيه واستندوا فى ذلك على ادلة نقلية من الكتاب والسنه وأخرى عقلية . وذهب فريق آخر الى عدم تجويز السماع وانكروه واعتبروه مدخلا للشيطان يدخل منه الى نفس الانسان المؤمن فيصرفه عن جاد الامور الى اللهو ويبعده عن الله ويقربه الى الشهوات والنزوات .

وسنعرض لرأى اولائك وهؤلاء . ثم نقف معا على رأى الغزالى ، وسنبدأ أولا برأى من حرموا السماع ونقف على ما استندوا اليه من الادلة والحجج .

ولاشك ان هناك عوامل دعت المنكرين للسماع الى اتخاذ هذا الموقف ومن ذلك أنهم يرون ان الغناء فى ظاهره أقرب الى المجون واللهو منه الى الجد والوقار وان السامعين للغناء كثيرا ما يتمايلون ويتراقصون ويصفقون وهذا فى رأيهم ما لا يتفق مع هيبة الدين وجلال العبادات والاذكار ، وان مجالس السماع لم تكن تنعقد فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فاعتبروه لذلك غير جائز ، فوصفوا السماع بأنه من مكايد الشيطان ومصائده التى كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين وهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن وهو رقيه اللوط والزنا وبه

منال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى واتخذ لاجله القرآن مهجورا[(١)].

كما يعيبون على الصوفية ما يصدرعنهم من انفعالات او حركات بدنية اثناء السماع وفى ذلك يقول ابن القيم الجوزية : " فلو رأيتهم عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الاصوات وهدأت منهم الحركات وعكفت قلوبهم بكليتها عليه وانصبت انصبابه واحدة اليه فيتمايلون له ولا كتمايل النشوان ، وتكسروا فى حركاتهم ورقصوا ، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان ؟ ويحق لهم ذلك وقد خالط خماره النفوس ففعل فيها أعظم ما يفعله حميا الكؤوس . فلغير الله ،بل للشيطان قلوب هناك تمزق واثواب تشق واموال فى غير طاعة الله تنفق"[(٢)].

وقال ابن الجوزى البغدادى[(٣)]: " اعلم ان سماع الغناء يجمع بين شيئين . احدهما انه يلهى القلب عن التفكر فى عظمة الله سبحانه وتعالى ، والقيام بخدمته والثانى : انه يميل الى اللذات العاجلة التى تدعو الى

---

(١) ابن القيم الجوزية : حكم الاسلام فى الغناء .تحقيق ابو حذيفة ابراهيم بن محمد ،ص ٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) هو الحافظ جمال الدين ابى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وهو مفكر موسوعى له مصنفات عديدة فى مختلف فروع العلم المعروفة فى عصره وهو من اعلام الاسلام المشهورين .

استفاشها من جميع الشهوات الحسية .... يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة ان الغناء لذة الروح والزنا اكبر لذات النفس ولهذا جاء فى الحديث الغناء رقيه الزنا"(١).

والغزالى يرد على تلك الاعتراضات وغيرها وهذا ما سيأتى تفصيله بعد .

والحق أن امامنا وغيره من الصوفية السابقين عليه واللاحقين له ممن أباحوا السماع كما تبين لنا فيما سبق ينكرون اللهو فى السماع ويحرمونه ويضعون آداب وقواعد للسلوك يشترطون ان يلتزم بها المسمع والسامع على السواء . تلك القواعد اذا روعيت فى السماع جانبته اللهو والعبث وجعلته اقرب الى الجد والخشوع والوقار .

ويرى السهروردى البغدادى ان هؤلاء العابثين المدعين قد أساءوا الى السماع وتسببوا فى انكساره والهجوم عليه لما يصطنعونه من الحركات غير الملتزمة والادعاء غير الصادق للوجد وغلبه الحال ويقول ما نصه " وذلك اذا سمع ايقاعا موزونا يؤدى ما سمعه الى طبع موزون فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون والايقاع الموزون وينسبل حجاب نفسه المنبسط بانبساط الطبع على وجه القلب ويستفزه النشاط المنبعث من الطبع فيقوم ويرقص موزونا ممزوجا يتصنع ،وهو محرم عند أهل الحق

---

(١) تلبيس ابليس ، الطبعة الثانية : ادارة الطباعة المبرية ١١٦٨هـ ،ص ٢٢ اخرج الحديث ابوداودفى سننه ٢٧٩ /٧ واخرجه العراقى على الاحياء ٢/٢٨٣ - والسيوطى الجامع الصغير ٢/٧٣ ،والقرطبى ١٤/٥٢ .

ويحسب ذلك طيبه لله تعالى . ولعمرى هو طيبه للقلب ولكن قلب ملون بلون النفس ، ميال الى الهوى موافق للردى لا يهتدى الى حسن النية فى الحركات ،ولا يعرف شروط صحة الارادات ولمثل هذا الرقص قبل الرقص نقص لانه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة .ويقول ايضا " فكم من حركات موجبة للمقت ، وكم من نهضات تذهب رونق الوقت ، فيكون انكار المنكر على المريد الطالب يمنعه عن مثل هذه الحركات ويحذر مثل هذه المجالس وهذا انكار صحيح "(١) .

وقد ذكر الغزالى جملة من علماء المسلمين الذين آنكروا السماع ومالوا الى تحريمه فقال ما نصه :" انالقاضى ابوالطيب الطبرى حكى عن الامام الشافعى ومالك وابى حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا يستدل بها على انهم رأوا تحريمه "(٢) .

واذا حاولنا تبين رأى الامام الشافعى فى السماع نجده فى كتابه " آداب القضاء" يذكر ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته "(٣) .

وقد حكى عن الشافعى آنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويرى ان الضرب به من وضع الزنادقة ليشغلوا

---

(١) السهروردى : عوارف المعارف ، على هامش احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٢) الغزالى : احياء علوم الدين ،ج ٢ ،ص ٢٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

به الناس عن قرآة القرآن، وأن كبار اصحاب الشافعى[١] ينكرون السماع ولم يجوزوا الغناء ولا الضرب بالقضيب[٢].

وعلى الرغم من ان الشافعى لم يقطع بتحريم الغناء الا انه جعله مكروها فى العوام وفى ذلك يقول الامام القشيرى : " واما الشافعى رحمة الله فانه لا يحرمه ويجعله فى العوام مكروها ، حتى لو احترف الغناء او اتصف على الدوام بسماعه على وجه التلهى ، ترد به الشهادة ويجعله مما يسقط المروءة ولا يلحقه بالمحرمات[٣]

ويمكن ان نتبين من هذا النص ان الامام الشافعى يرى فى انشغال المرء بسماع الغناء وانصرافه الى ذلك بدلا من قراءة القرآن والتعبد لله ،كراهة . وان من يحترف الغناء، ومن اتصف على الدوام بسماعه طلبا للهو والمتعة ،ترد شهادته . غير انه لا يلحق الغناء بالمحرمات.

وقد قال اسماعيل بن عليه احد اصحاب الشافعى ما نصه :" كنت اتمشى مع الشافعى رحمه الله تعالى وقت الهجير فجزنا بموقع يقول فيه احد شيئا فقال:" مل بنا اليه ، ثم قال : أيطربك هذا، قلت : لا، فقال ما لك حس[٤].

---

(١) من اصحاب الشافعى الذين ينكرون السماع ابوالطيب الطبرى وله مصنف فى ذم الغناء- ومنهم ايضا القاضى ابوبكر محمدبن مظفرالشامى - انظر ابن الجوزى البغدادى:تلبيس ابليس ،ص ٢٣٠ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) القشيرى: الرسالة .تحقيق د.عبدالحليم محمود.ومحمد بن شريف ،جـ ٢ ،ص ٦٣٨ .

(٤) المرجع السابق ،نفس الصفحة .

ومن ذلك النص يمكن أن نستشف ان الشافعى كان يتذوق الالحان ويطرب لها، غير ان اصحابه واتباعه قد انكروا على من نسب اليه القول بحل السماع ومن هؤلاء القاضى ابوالطيب الطبرى والشيخ ابواسحق وابن الصباغ فقد قال ابواسحق فى كتابه "التنبيه" ولا تصح الاجارة او الجزاء على العمل على منفعة محرمة" وقال ايضا فى " المهذب " لا يجوز اخذ العوض عن المنافع المحرمة (١)، وهو يعتبر الغناء ومنفعته محرما .

وقد لخص ابن القيم الجوزية رأى ابواسحق وهو كما نعلم شافعى المذهب فى النقاط التالية :

(١) ان منفعة الغناء بمجردة منفعة محرمة .
(٢) ان الاستأجار عليه باطل .
(٣) ان أكل المال به أكل مال بالباطل بمنزلة أكل عوضا عن الميته والدم .
(٤) انه لا يجوز للرجل بذل ماله للمغنى ويحرم عليه ذلك، فانه بذل ماله فى مقابلة محرم وان بذله فى ذلك كبذله فى مقابلة الدم والميته .
(٥) ان الزمر حرام .

وقد يبدو ان هناك خلاف بين اصحاب الشافعى فى موقفهم من السماع غير ان عمر بن الصلاح قال فى فتاويه موضحا هذا الامر :" ولم يثبت ان احد ممن يعتد بقوله فى الاجماع والاختلاف ، انه اباح هذا السماع، والخلاف المنقول

---

(١) انظر : ابن القيم الجوزيه : حكم الاسلام فى الغناء، تحقيق ابو حنيفه ابراهيم بن محمد ، ص ١٢ .

عن بعض أصحاب الشافعى انما نقل فى " الشبابة "(١) منفردة ، و" الدف "(٢) منفردا. فمن لم يحصل أولا بتأمل ربما اعتقد خلافا بين الشافعيين فى هذا السماع الجامع لهذه الملاهى وذلك وهم بين من الصائر اليه ، تنادى عليه أدلة الشرع والعقل . مع أن ليس كل خلاف يستروح اليه ويعتمد عليه ،ومن تتبع ما اختلف فيه العلماء، وأخذ بالرخص من أقاويلهم تزندق أو كاد "(٣) فهو يرى أن أصحاب الشافعى متفقين فى تحريم الغناء واذا كان بينهم خلاف فهوفقط على استعمال بعض الالات الموسيقية فى العزف كالدف والشبابة فبعضهم قال بحلها والبعض الاخر حرمها . كما ان ابن الصلاح يحذر من اتخاذ هذا الخلاف مبررا للقول بحل السماع لان ذلك فى رأيه يودى الى الزندقة .

وقد تواتر عن الشافعى أنه قال : " خلفت ببغداد شيئا أحدثه الزنادقة يسمونه " التغبير "(٤) يصدون به عن القرآن "(٥).

(١) آلة موسيقية وهى من جملة المزاميرواشدها طربا وتسمى " اليراغ" أيضا .

(٢) الدف آلة موسيقية متخذة من الجلد .

(٣) ابن القيم الجوزيه :حكم الاسلام فى الغناء ،تحقيق ابوحذيفه ابراهيم بن محمد، ص ١٢ .

(٤) التغبيرهوالضرب على القضيب على مخدة من الجلدحتى يطير الغبار منها ـ والمغبره قوم يغبرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقدسموا ما يطربون فيه من الشعر فى ذكر الله تعالى تغبيرا ـ كأنهم اذا شاهدوها بالالحان طربوا ورقصوا فسموا مغبره لهذا المعنى ـ وقال الحجاج سموا مغبرين لتزهيدهم الناس فى الدنيا وترغيبهم فى الاخرة ـ انظر ابن الجوزى البغدادى ،تلبيس ابليس ، ص ٢٣٠ .

(٥) ابن القيم ، حكم الاسلام فى الغناء ،تحقيق ابوحذيفة ، ص ١٣ .

ويعلق ابن القيم الجوزية على النص السابق للشافعي فيقول ما نصه " اذا كان هذا القول في " التغبير" وتعليله انه يصد عن القرآن وهو شعر يزهد في الدنيا يغني به مغن فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع (وهو بساط من الاديم او الجلد) او مخدة على توقيع غنائه فليت شعري فسماع التغبير عنده كتفلة في بحر ، وقد اشتمل على كل مفسدة وجمع كل محرم ، فلله بين دينه وبين كل متعلم مفتون وعابد جاهل" (*).

وبذلك أنتهى ابن القيم الجوزية الى ان الامام الشافعي قد حرم السماع واعتبره زندقة . وسنعرض بعد لرد الامام الغزالي على اقوال الامام الشافعي في السماع .

أما الامام مالك بن أنس فقد قال عنه الامام القشيري أنه اباح السماع ، في حين ان الامام الغزالي قال انه نهى عنه ويمكننا القول ان الامام مالك قد نهى عن السماع وان كان لم يحرمه .

وقول القشيري في ذلك : " فمن قال باباحته من السلف مالك بن أنس وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء واما الحداء فاجماع منهم على اجازته " (١).

ومن هذا النص للقشيري يمكن ان نستدل على ان مالك قد أباح الغناء وأما الحداء فهناك اجماع على اجازته .

(*) ابن القيم الجوزية : حكم الاسلام في الغناء. تحقيق ابوحذيفه ابراهيم بن محمد ، ص ١٤ .

(١) القشيري ، الرسالة القشيرية ، ج ٢ ، ص ٦٣٨ .

اما الغزالى ففى عرضه لرأى مالك فى الغناء قال ما نصه : " وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة "(١).

ويتضح لنا من هذا النص ان مالك قد نهى عن الغناء وانه يجوز لمن يشترى جارية ويجد انها تجيد الغناء يردها الى من اشتراها منه وان ذلك مذهب أهل المدينة (٢).

اما ابن القيم فقد ذكر ان مالك نهى عن الغناء وعن استماعه ونسب اليه القول السابق وهو من اشترى جارية ووجدها مغنية كان له ان يردها بالعيب ثم اضاف ان مالك سئل عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء، فقال : انما يفعله عندنا الفساق" (٣).

وقد سأل ابن القاسم الامام مالك عن الغناء فقال : " فماذا بعد الحق الا الضلال "(٤).

ويمكننا ان تخلص من ذلك كله الى ان الامام مالك قد نهى عن السماع وانه لا يفضله وان كان لم يقطع بتحريمه .

---

(١) الغزالى : احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٢) وقد شذ عن اهل المدينة فى عدم اباحة السماع الفقيه ابراهيم بن سعد وحده فقد حكى زكريا الساجى انه كان لا يرى فى الغناء بأس ، انظر ،تلبيس ابليس لابن الجوزى البغدادى ، ص ٢٢٩.

(٣) ابن القيم الجوزية : حكم الاسلام فى الغناء تحقيق ابوحذيفه ابراهيم بن محمد ، ص ٣٧ .

(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .وانظر ايضا .حكم الاسلام فى الغناء للشيخ ابى بكر جابر الجزائرى ،ص ٣٧ .

أما رأى الامام أبوحنيفةفى السماع فقد نقل الغزالى من القاضى أبوالطيب الطبرى ما نصه :" أما ابوحنيفة فكان يكره الغناء ويجعله من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة "(١)

وجلى من هذا النص أن الامام أبوحنيفة كان يكره السماع واعتبر من يسمع الغناء والالحان كمن يرتكب ذنبا فالسماع عنده من الذنوب .

ويذهب ابن القيم الجوزية الى أن مذهب فقهاء الكوفة يتفق على اعتبار السماع من الذنوب وكذلك أهل البصرة(٢) ويرى ان مذهب أبى حنيفة فى السماع من أشد المذاهب وقوله فيه أغلظ الاقوال وان اصحابه قد صرحوا بتحريم سماع الملاهى كلها كالمزمار والدف حتى الضرب بالقضيب ، وقالوا أنه معصية يوجب الفسق وترد به الشهادة . ويقول ابن القيم ما نصه : " وأبلغ من ذلك أنهم قالوا ان السماع فسق والتلذذ به كفر هذا لفظهم"(٣).

كما ذكر ابن القيم الجوزية رأى اصحاب ابوحنيفة وهو ان الانسان عليه أن يجتهد فى الا يسمع الغناء واذا مر به او كان فى جواره فيحاول الا يصل صوت الغناء اليه(٤).

---

(١) الغزالى : احياءعلوم الدين ،ج ٢ ،ص ٢٦٧.

(٢) ابن القيم :حكم الغناءفى الاسلام ،تحقيق ابوحذيقة ابراهيم ص ١١.

(٣) يذكر ابن الجوزى فى كتابه تلبيس ابليس ان فقهاءالبصرة اعتبروا السماع من الذنوب ، الا عبد الله بن حسن العنبرى الذى كان لا يرى به باسا .

(٤) ابن القيم الجوزيه :حكم الغناءفى الاسلام .تحقيق ابوحذيقة ابراهيم بن محمد ،ص ١١.

وقال ابويوسف وهو من اصحاب ابوحنيفة ما نصه : " أدخل عليهم (أى من يجلسون فى مجالس السماع) بغير آذنهم لان النهى عن المنكر فرض فلو لم يجز الدخول بغير اذن لامتنع الناس من اقامة الغرض"(١) فابو يوسف يجعل الغناء منكرا يجب النهى عنه فاذا رأى المسلم مجلسا للسماع دخل عليهم بدون اذنهم ليمنعهم من الاستماع كان ذلك جائزا على مذهب ابى حنيفة .

وبذلك يمكن القول ان الامام ابوحنيفة كان ينكر الغناء واعتبر السماع من الذنوب .

ولا يقل موقف الامام احمدبن حنبل تشددا عن مواقف أئمة الفقة الذين سبق توضيح موقفهم من السماع .فقد روى ابن داود ما نصه :" حدثنى أحمد بن حنبل أنه يكره السماع وكان أبى يكرهه "(٢).

وقد جاء فى " تلبيس ابليس " لابن الجوزى البغدادى أن احمد بن حنبل كان يكره السماع ولا يفضله كوسيلة لترقيق القلب واصطناع الوجد واعتبره بدعة ".(٣)

كما روى عبدالله بن احمدبن حنبل ما نصه :" سألت أبى عن الغناء . فقال : الغناء ينبت النفاق فى القلب

---

(١) ابن القيم الجوزية : حكم الغناء فى الاسلام ، تحقيق ابوحذيقة ابراهيم بن محمد ، ص ١١ .

(٢) الغزالى : احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٦٧ وانظر ايضا ابن الجوزى البغدادى ، تلبيس ابليس ،ص ٢٢٨.

(٣) انظر ،ص ٢٢٨ .

لا يعجبنى " ثم ذكر قول مالك " انما يفعله عندنا الفساق" [١] .

ويذهب ابن القيم الجوزية الى ان احمدبن حنبل قد نص على كسر الات اللهو كالطنبور [٢] ،وغيرها اذا رأها الانسان مكشوفه ويمكن كسرها اذا كانت مغطاه تحت ثياب وعلم بوجودها" [٣] .

كما نسب ابن القيم الجوزية الى الامام احمدبن حنبل أنه جعل منفعة الغناء محرمة وان ما يأتى من اموال مقابل الغناء ليس حلالا ويستشهد على ذلك بان أيتاما ورثوا جارية مغنية وأرادوا بيعها فقال " لا تباع الا على انها ساذجة (بمعنى) انها لا تعرف الغناء) فقالوا: اذا بيعت مغنية ساوت عشرين الفا او نحوها ، واذا بيعت ساذجة لا تساوى سوى الفين فقط . فقال : لا تباع الا على انها ساذجة" فلو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوت هذا المال على الايتام ومن ذلك يستدل على ان منفعة الغناء محرمة" [٤] .

وقد ذكر ابن الجوزى البغدادى أن الامام احمدبن حنبل قد كره القصائد والغناء بعد ما قيل له أنهم يتمايلون ويتماجنون عند سماعهم لها .

---

(١) ابن القيم الجوزية : حكم الاسلام فى الغناء ، تحقيق ابوحذيفة ابراهيم ، ص ١٤ .

(٢) " الطنبور" بضم اوله قال عنه الهيثمى فى كتابه " الزواجر" ، ج ٢ ،ص ١٨٧ ، انه غير العود ، والطنبور اسم جنس لكل الات الطرب الوترية .

(٣) ابن القيم الجوزية :حكم الاسلام فى الغناء ،تحقيق ابوحذيقة ابراهيم ، ص ١٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥ .

وقد روى عنه ما يدل على انه لا بأس بها وأنه قد سمع قولا فى بيت أبنه صالح فلم ينكره وعندما سأله أبنه قائلا : يا أبت الست كنت تنكر هذا فقال : انما قيل لى أنهم يستعملون المنكر فكرهته ، فأما هذا فانى لا أكرهه وكان ما سمعه قصائد فى الزهد(١).

وان صح هذا فانه يدل على ان الامام ابن حنبل لا ينكر الانشاد الدينى فى حد ذاته الذى يحث على الزهد ويذكر بأمور الاخرة ويرقق القلب وانما ينكر ما يحدثه المستمصون من تمايل وتماجن عند سماعهم .

وهكذا يتضح لنا مما سبق ان أئمة الفقه الاربعة الشافعى ومالك وابوحنيفة واحمدبن حنبل كرهوا السماع ولم يحبذوه ومالوا الى تحريمه وخاصة الغناء الماجن الذى يصرف السامع عن الدين وكرهوا ان يتخذ الانسان الغناء مهنة له .

هذا وقد هاجم السماع ايضا جملة من علماء المسلمين من بينهم الصوفى ابن القيم الجوزية الذى يصف السماع بأشد الالفاظ تجريحا محاولا اثبات تحريمه شرعا وأورد الكثير من الادلة الشرعية على تحريم الغناء .

وقد أطلق على سماع الغناء السماع الشيطانى المضاد للسماع الرحمانى ويقصد بالسماع الرحمانى سماع القرآن الكريم . ومن الاوصاف التى وصف بها السماع قوله هو اللهو واللغو الباطل ، والزور والمكاء، والتصديه ، ورقية الزنا ، وقرآن الشيطان ومنبت النفاق، والصوت الاحمق ، والصوت الفاجر

---

(١) انظر ، ابن الجوزى البغدادى: تلبيس ابليس ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

وصوت الشيطان ، ومزمور الشيطان ، والسمود(١) .

وقد أطال ابن القيم فى شرح تلك الاوصاف وبيان مقاصده منها محاولا ايجاد اصل لهذه الاوصاف فى القرآن الكريم والسنه النبوية الشريفة وسنحاول ان نتبين ذلك عنده بشىء من التفصيل :

(١) الاسم الاول : او الصفة الاولى وهى وصفه السماع بانه لهو ، وذكر انه يستند فى وصف السماع بتلك الصفة على قوله تعالى :" ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذانه وقرا فبشره بعذاب اليم"(٢) .

ويذكر ابن القيم ان "لهو الحديث" الذى ورد فى الاية قد فسره الرسول(٣) صلى الله عليه وسلم بانه الغناء وقد

---

(١) انظر: حكم الاسلام فى الغناء ، تحقيق ابو حذيفه ابراهيم بن محمد ، ص ١٥ ، ولمعرفة المزيد عن رأى ابن القيم الجوزية فى السماع ارجع الى كتابه "اغاثة اللهفان" ومصنفه "فى السماع" .

(٢) سورة لقمان ، آية ٦ ، ٧ .

(٣) من حديث أبى امامه والسياق للترمذى ان النبى (ص) قال "لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير فى تجارة فيهن وثمنهن حرام" وفى مثل هذا انزلت هذه الاية " من الناس من يشترى لهو الحديث" رواه احمد فى مسنده ٢٦٨،٢،٧،٥- ورواه عبد الله بن الزبير الحميدى فى مسنده ٢/ ٤٠٥ مختصرا- ورواه ابن ماجه ٢/ ٢٣٤ .

فسره بذلك ايضا الصحابة والتابعين(١)،كما فسر " لهو الحديث " ايضا بانه الحديث عن أخبار الاعاجم وملوكهم ، وملوك الروم ونحو ذلك مما كان النضر بن الحارث يحدث به أهل مكه فيشغلهم به عن القرآن .

وابن القيم لا يرى تعارضا بين التفسيرين ويقول ما نصه : " لهو الحديث هو الباطل والغناء"(٢)،ويرى الغناء أشد ضررا من الحديث عن الملوك واخبارهم وجاء فى تفسير هذه الاية ان النضر بن الحارث وهو قرشى كان يشترى المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته ويقول: أطعميه واسقيه وغنيه ،ويقول: هذا خير مما يدعو اليه محمد من الصلاة والصيام او تقاتل بين يديه(٣)،ولمن أحلوا السماع تعليقا على تلك الاية سيأتى فى موضعه .

(٢) والاسمان الثانى والثالث للسماع فيما يقول ابن القيم هما انه زور ولغو وهو يستند فى تسمية السماع بهذين الاسمين الى قوله تعالى :

---

(١) صح عن ابن عباس وابن مسعود - قال ابو الصهباء سألت ابن مسعود عن تلك الاية فقال ، والله الذى لا اله غيره ،هو "الغناء" ورددها ثلاث مرات - وكذلك صح عن ابن عمر بن الخطاب ،انظر ابن القيم ، حكم الاسلام فى الغناء ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) تفسير القرطبى ، ج ١٤ ، ص ٥٢ .

" والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما "(١) واللغو فى اللغة هو كل ما يلغى ويطرح والمعنى الذين لا يشهدون الزور أى الذين لا يحضرون الباطل واذامروا بكل ما يلغى ويطرح من قول أو عمل مروا كراما أى اكرموا انفسهم بان لا يقفوا عليه ويقول ابن القيم. ويدخل فى ذلك أعياد المشركين كما فسرها به السلف ، والغناء،وانواع الباطل كلها(٢).

وقال الزجاج ولا يجالسون أهل المعاصى ولا يماثلونهم عليها ومروا مر الكرام الذين لا يرضون باللغو لانهم يكرمون انفسهم عن الدخول فيه والاختلاط بأهله .

ويضيف ابن القيم أن الحق سبحانه وتعالى قد أثنى على من أعرض عن الغناء لقوله تعالى : " واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم "(٣).

ويشير ابن القيم الى قول الله تعالى : " لا يشهدون الزور" ولم يقل بالزور لان يشهدون بمعنى يحضرون فمدحهم

---

(١) سورة الفرقان ، آية ٧٢ ـ جاءفى المصحف المفسر ان اللغو ما لا اللغو به من الكلام يقال لغا يلغوا لغوا.

(٢) روى ان عبد الله بن مسعود مر بلهو فأعرض عنه ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان اصبح ابن مسعود لكريما " وان هنا تعنى " قد" والحديث ذكره ابن كثير فى تفسيره عن طريق ابن ابى حاتم وفيه " لقد اصبح ابن مسعود وامسى كريما ". انظر اغاثة اللهفان لابن القيم الجوزى، الفصل الخاص بحكم السماع فى الغناء .

(٣) سورة القصص ، اية ٥٥ .

على ترك حضور مجالس الزور ، والغناء من أعظم الزور في رأيه (١).

(٣) والصفة الرابعة التى وصف بها ابن القيم السماع هو انه المكاء (٢) والتصدية (٣) فهو يشبه من يتقرب الى الله عن طريق السماع بكفار قريش الذين كانوا يتقربون الى الله فى الجاهلية بالتصفير والتصفيق . وهم يطوفون حول الكعبة وقد قال تعالى عنهم : " وما كان صلاتهم عندالبيت الا مكاء وتصدية " (٤).

ويرى أن من يخلط الذكر والعبادة بالسماع كمن كانوا يعارضون النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف حول الكعبة ويخالطون عليه صلاته بالتصفير والتصفيق . ففى رأيه أن المصفقين والمصفرين فى يراغ او مزمار او نحوها اشبه بهؤلاء الكفار ، حتى ولو كان مجرد شبه ظاهر ، فهو يرى انهم يستحقون قسطا من الذم على ذلك ، حتى وان لم يتشبهوا بهم فى جميع مكائهم وتصديتهم . ويقول : " والله تعالى لم

---

(١) الزور يقال على الكلام الباطل وعلى العمل الباطل وعلى العين نفسها كما فى حديث معاويه لما أخذ قصة من شعر يوصل به فقال : " هذا الزور" فالزور القول والفعل والمحل. والزور ميل عن الحق الثابت الى الباطل الذى لا حقيقة له قولا وفعلا. انظر : ابن القيم الجوزية حكم الاسلام فى الغناء ، تحقيق ابوحذيفة ابراهيم بن محمد ، الطبعة الاولى ، ص ٢٩.

(٢) المكاء هو " الصفير " بالفم اوتشبيك الاصابع والنفخ فيها .

(٣) التصديه تعنى التصفيق. انظر ابن القيم :حكم الاسلام فى الغناء ، ص ٧.

(٤) سورة الانفال ، آية ٣٥ .

يشرع التصفيق للرجال وقت الحاجة اليه فى الصلاة اذ انابهم أمر، بل أمروا بالعدول عنه الى التسبيح لئلا يتشبهوا بالنساء، فكيف اذا فعلوه لا لحاجة، وقرنوا به ،انواع من المعاصى قولا وفعلا ؟ "(١).

وهكذا يحتج ابن القيم على عدم جواز الغناء والموسيقى فى مجالس السماع ويرى ان الحق تبارك وتعالى نهى الرجال عن التصفيق فى اثناء الصلاة اذا دعت الى ذلك حاجة كأن بخطئ الامام فى التلاوة او عدد الركعات او غيرها من الامور التى تتطلب تنبيه الامام ، وجعله بالتسبيح ، اى بقوله " سبحان الله " . واجازه فقط للمصليات من النساء حتى لا يرفعن اصواتهن فابيح لهن تنبيه الامام عن طريق التصفيق وفى رأى ابن القيم ان من يصفق من الرجال يتشبه بالنساء ولذلك شرع الله لهم التسبيح بدلا من التصفيق فكيف بهم اذا صفقوا بدون حاجة وقرنوا ذلك بالغناء والاقوال والافعال التى فى حكم المعاصى .

(٤) الصفة الخامسة : هى ان السماع هو " الباطل " وهو ضد الحق . والباطل يراد به المعدوم الذى لا وجود له ويراد به ايضا الموجود الذى مضرة وجوده اكثر من منفعته . ومثال الباطل من النوع الاول . القول " كل اله سوى الله باطل " . ومثال الباطل من النوع الثانى القول " بأن السحر باطل ، والكفر باطل "قال تعالى : " قد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا "(٢)

---

(١) ابن القيم الجوزيه / حكم الاسلام فى الغناء ،تحقيق ابوحذيفة ابراهيم بن محمد ، ص ٣٢ .

(٢) سورة الاسراء ، آية ٨١ .

ويضع ابن القيم الجوزيه الغناء ضمن قائمة الباطل من النوع الثانى فيذهب الى ان " الكفر والفسق والعصيان والسحر والغناء والملاهى كلها من النوع الثانى وهو الموجود الذى لا نفع فيه "(١) وبذلك فهو باطل من وجة نظره .

(٥) والصفة السادسة : التى وصف بها ابن القيم السماع هو أنه " رقية الزنا " فقد اعتبر الغناء انجع وسائل للوصول الى الزنا لان الغناء يرقق قلب النساء والرجال على السواء مما قد يوقعهم فى الزنا . وقد تحدث فى ذلك واطال"(٢) ويذهب الى ان الفضل(٣) بن عياض يشاركه هذا الرأى(٤) .

---

(١) ابن القيم الجوزى - حكم الاسلام فى الغناء ،ص ٣٢،وقد ذكر فى نفس المرجع ان ابن وهب قال اخبرنى سليمان بن بلال عن كثير بن زيد انه سمع عبد الله يقول للقاسم بن محمد : "كيف ترى فى الغناء؟"فقال له القاسم :"هو الباطل"فقال: قد عرفت انه الباطل.فكيف ترى فيه ؟فقال القاسم : "أرايت الباطل اين هو؟" قال: "فى النار"قال: هو كذلك" انظر كتاب الادب المفرد للامام البخارى ،ص ٤٣٢ باب الغناء.

(٢) لمعرفة المزيد عن رأى ابن القيم فى اطلاقه هذه الصفة على السماع انظر كتابه " اغاثة اللهفان" الفصل الخاص بحكم الغناء فى الاسلام .

(٣) الفضل بن عياض بن مشهور التميمى ابو على الزاهد المشهور من قرية " فندية "ببلاد فارس ،توفى سنة ١٨٧ هـ انظر طبقات الصوفية للسلمى ،ص ٩ وما بعدها . وانظر التقريب " لابن حجر العسقلانى ، جـ ٢ ، ص ١١٣ .

(٤) قال الفضل بن عياض"الغناء رقية الزنا "وقال يزيد بن الوليد "يابنى اميه اياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويهدم المروءة وانه يفعل مايفعل السكر فان كنتم لابد فاعليه فجنبوه النساء فانه داعية الزنا " انظر . ابن كثير ،البداية والنهاية ،جـ ١٠،ص ١٦ .

(٦) والصفة السابعة : هى ان السماع ينبت النفاق فى القلب وذلك ان للغناء فيما يرى ابن القيم - خواص لها تأثير فى صبغ القلب بالنفاق وانباته فيه كانبات الزرع بالماء .

وقد ذكر من تلك الخواص التى يتصف بها السماع وتجعله ينبت النفاق فى القلب انه يلهس القلب ويشغله عن التعبد ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه .

ويرى ابن القيم ان القرآن والغناء لا يجتمعان فى القلب لما بينهما من تضاد ، فالقرآن ينهى عن اتباع الهوى ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفس واسباب الغى وينهى عن اتباع خطوات الشيطان . بينما الغناء فى رأيه يأمر بضد ذلك(١).

ويستشهد ابن القيم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو "الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل"(٢).

وصاحب الغناء فى نظر ابن القيم بين امرين اما أن يتهتك(٣) فيكون فاجرا او يظهر النسك فيكون منافقا(٤)

---

(١) انظر كتاب: اغاثة اللهفان لابن القيم الجوزية . الجزء الخاص بحكم الاسلام فى الغناء .و انظر له ايضا :حكم الاسلام فى الغناء تحقيق ابوحذيفة ابراهيم ،ص ٣٧.

(٢) ابن القيم . اغاثة اللهفان انظر الفصل الخاص بحكم الاسلام فى الغناء والحديث اخرجه ابود اود فى سننه ٧/٢٧٩- تخريج العراقى ٢/٢٨٣- الجامع الصغير ٢/٧٣ و القرطبى ١٤/٥٢.

(٣) يتهتك بمعنى لايبالى ان يفشى سره حين يرتكب خطأ.

(٤) ابن القيم ،حكم الاسلام فى الغناء .تحقيق ابوحذيفه ابراهيم بن محمد ،ص ٣٨ .

بمعنى أن من يحضر مجالس السماع ويحب الاستماع الى الغناء، لا يخرج عن ان يكون لا يبالى اذا افتضح امره بين الناس وشاع عنه انه من محبى اللهو وهو بذلك يكون فاجرا واما أن يظهر انه يحب الغناء ليرقق قلبه ويثير وجده تقربا الى الله وفى هذه الحالة يكون فى رأى ابن القيم منافقا فلو لم يكن منافقا ما قضى حياته فى سماع اللهو والطرب واتخذ دينه لهوا ولعبا وكان مزمار الشيطان أحب اليه من استماع سور القرآن فالنفاق غش ومكر وخداع والغناء مؤسس على ذلك والمنافق يفسد من حيث يظن انه يصلح .

(٨) واما تسميته السماع بقرآن الشيطان فيرى ابن القيم أن ذلك مأثور عن التابعين وانه جاء فى حديث رواه الطبرانى فى مجمع الزوائد من حديث ابى امامة مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم :" لما هبط ابليس قال : يا رب لعنتنى فما عملى ؟ قال السحر . قال فما قرآنى ؟ قال الشعر قال فما كتابى ؟ قال الوشم . قال فما طعامى ؟ قال كل مسكر قال فاين أسكن ؟ قال الاسواق . قال فما صورتى ؟ قال المزامير قال : فما مصايدى ؟ قال النساء "(١) .

ويذهب ابن القيم الى ان الغناء المحرم او كما اسماه قرآن الشيطان لما آراد الله ان يجمع عليه نفوس المبطلين قرنه بما يزينه من الالحان المطربة والالات والملاهى والمعازف وأن يكون من امرأة جميلة او صبى جميل ليكون ذلك ادعى الى قبول النفوس لقرآنه وتعويضها به عن القرآن المجيد(٢) .

---

(١) رواه الطبرانى، كما جاء فى مجمع الزوائد ١١٩/٨ - ورواه عبدالرزاق فى مصنفة ٢٦٨/١١، باب الشعر والزجر رقم ٢٠٥١١ .

(٢) ابن القيم، حكم الاسلام فى الغناء ، تحقيق ابو حذيفه ابراهيم بن محمد ، ص ٤٣ .

(٩) واما تسمية السماع بالصوت الاحمق والصوت الفاجر فيقول عنها ابن القيم هى تسمية الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ويستدل على ان الغناء صوت الحمق والفجور بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه الترمذى من حديث ابن ابى ليلى عن عطاء عن جابر رضى الله عنه قال:" خرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع عبد الرحمن ابن عوف الى النخل فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه (اى يحتضر) فوضعه فى حجرة ففاضت عيناه ،فقال عبد الرحمن: أتبكى ،وأنت تنهى الناس ؟ قال : انى لم انه عن البكاء، وانما نهيت عن صوتين فاجرين : صوت عند نغمة : لهو ولعب ومزامير شيطان ،وصوت عند مصيبة : خمش وجوه (اى لطم الوجوه وضربها) وشق جيوب(اى شق الملابس) ورنة (اى الصياح)• وهذا (يعنى البكاء) هو رحمة ومن لا يرحم لا يرحم• لولا انه امر حق ووعد صدق ، وان آخرنا سيلحق اولنا ،لحزنا عليك حزنا هو اشد من هذا وانا بك لمحزونون ،تبكى العين ،ويحزن القلب ،ولا نقول ما يسخط الرب "(١).

ويتعجب ابن القيم من امر العارف بالله كيف يستجيز لنفسه اباحة ما نهى الله عنه ورسوله وما سماه الرسول بالصوت الاحمق الفاجر ومزمور الشيطان وجعله والنياحة التى لعن صاحبها سواء •

---

(١) رواه ابوداود الطيالسى ١/١٠٩ والترمذى ٢/٣٦" تحفة الاحوذى" طبع الهند البيهقى فى السنن الكبرى ٤/ ٦٩ واخرجه البزار والضياء عن أنس وذكر فى الترهيب والترغيب ٤/١٧٧ ـ والجامع الصغير للسيوطى ٤٦ / ٢ والقرطبى ٥٣ /١٤ •

ويرى ان ذلك من الرسول نهى مؤكد عن سماع الغناء حيث سماه صوتا أحمق ووصفه بالفجور ومزامير الشيطان .

(١٠) كما اطلق ابن القيم الجوزيه على السماع صوت الشيطان لانه فى رأيه يدعو الى معصية وان كل متكلم بغير طاعة الله وكل مصوت . بمزمار أو دف او طبل حرام .

واستند فى ذلك الى قوله تعالى للشيطان وحزبه : " اذهب فمن تبعك فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا"(١).

وقد فسر ابن عباس قوله تعالى : " واستفزز من استطعت منهم بصوتك " قال " يعنى كل داع الى معصية" ويرى ابن القيم ان الغناء اعظم الدواعى الى المعصية ولهذا فسر صوت الشيطان به .

كما روى باسناد الى الحسن البصرى ان صوت الشيطان هو الدف(٢)،ويرى ابن القيم ان كل متكلم بغير طاعة الله وكل مصوت ببراغ او مزمار او دف او طبل حرام فذلك صوت الشيطان وكل ساع فى معصية فهو فى رجله وكل راكب فى معصية الله فهو خيالته(٣).

---

(١) سورة الاسراء ، آية ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) ابن القيم الجوزيه ، حكم الاسلام فى الغناء . تحقيق ابوحذيفه ابراهيم ، ص ٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(١١) ووصف ابن القيم السماع بانه مزمور الشيطان وقد استند في اطلاق تلك التسمية على السماع الى حديث عائشة رضي الله عنها الذى ورد فى الصحيحين قالت : " دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث "(١) فاضطجع على الفراش وحول وجهه . ودخل ابوبكر رضى الله عنه فانتهرنى وقال : مزمار الشيطان عند النبى صلى الله عليه وسلم؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :دعهما ، فلما غفل غمزتهما فخرجتا"(٢) .

ويرى ابن القيم ان ابوبكر رضى الله عنه كره سماع المزمار وقال عنه مزمار الشيطان وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليه تلك التسمية . وان الرسول اذا كان قد أقر الجاريتان فذلك فى رأيه لانهما صغيرتان وغير مكلفتان تغنيان بغناء الاعراب الذى قيل فى يوم حرب بعاث عن الشجاعة والحرب وان اليوم كان يوم عيد(٣) .

وذلك الحديث السالف يحتج به الصوفية الذين اباحوا السماع على حله واباحته وهذا ما سيأتى الحديث عنه تفصيلا فى موضعه .

---

(١) بعاث بضم الباء هو حصن للاوس ويقال انه كان دار بنى قريظة .وكان يوم بعاث يوم عيد لانه اخر العداء والقتال بين قبيلتى الاوس والخزرج ،وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ثم بعد الهجرة اصبح الجميع اخوانا تحت لواء الاسلام .

(٢) انظر صحيح مسلم ٣/٢١ طبعة الحلبى،وانظر ايضا صحيح البخارى ٢/٤٤٥ طبعة السلفية .ومسند احمد بن حنبل ٦/ ١٣٤ وسنن النسائى ٣/١٩٦.

(٣) ابن القيم .حكم الاسلام فى الغناء ، تحقيق ابو حذيفه ابراهيم ص٤٧

وقد اطلق ابن القيم على من اباحوا السماع " حزب الشيطان" ويرى انهم قد توسعوا فاحلوا صوت المرأة الجميلة الاجنبية او صوت الصبى الامرد يغنى بما يدعو الى الفجور والزنا وشرب الخمر مع آلات اللهو التى حرمها رسول الله مع التصفيق والرقص ويقول :" وتلك الهيئة المنكرة التى لا يحلها احد من اهل الاديان فضلا عن اهل العلم والايمان ويحتجون بغناء جوريتين غير مكلفتين تغنتا بنشيد الاعراب ونحوه من الشجاعة ونحوها فى يوم عيد بغير" شبابة "ولا دف ولا رقص ولا تصفيق ،ويدعون المحكم الصريح لهذا المتشابه وهذا شأن كل مبطل"(١).

ويقول ابن القيم ما نصه :" نعم نحن لا نحرم ولا نكره مثل ما كان فى بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك الوجه . وانما نحرم نحن وسائر اهل العلم والايمان السماع المخالف لذلك وبالله التوفيق " .

وهنا يصرح ابن القيم انه لا ينكر الغناء الذى يشيد بالشجاعة ويحفز الهمم مثل الذى كان تغنيه الجوارى فى بيت رسول الله وانما هو يحرم السماع الذى يتغنى اصحابه بما يدعو الى الفجور والزنا من اغانى الغزل التى تثير الشهوة ويكره ما يصطنعه الصوفية من حركات ووجد اثناء السماع .

(١٢) واما تسمية السماع بالسمود فقد استند فيه ابن القيم الجوزيه الى قول الحق تبارك وتعالى :" أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون"(٢).

---

(١) ابن القيم ،حكم الاسلام فى الغناء ،تحقيق ابو حذيفه ابراهيم ص٤٧

(٢) سورة النجم ، آية ٥٩ ، ٦١ .

وقد قال " عكرمة " نقلا عن ابن عباس " السمود" هو الغناء فى لغة حمير " ويقال " اسمد لنا اى غنى لنا(١) .

وقال ابوعبيدة " المسمود"(٢) الذى غنى له وقال "عكرمة" " كانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا فنزلت هذه الاية "(٣) .

ويذهب ابن القيم الى ان تفسير" المبرد" للسمود بانه هو الاشتغال عن الشئ "بهم" او " بفرح" يتشاغل به ،وتفسير ابن الانبارى" بان السامد هو اللاهى والساهى والمتكبر، لا يتناقض مع تفسير ابن عباس بان السمود هو الغناء لان الغناء فى رأيه يجمع بين هذا كله .

والغزالى وغيره من الصوفية الذين اباحوا السماع يردون على تلك الاعتراضات التى احتج بها ابن القيم الجوزى وغيره ممن حرموا السماع .

ويذهب ابن القيم الى ان رسول الله (ص) حرم تحريما صريحا الات اللهو والمعازف وساق الاحاديث الدالة على ذلك ومن ذلك ما رواه عبد الرحمن بن غنم قال : حدثنى ابوعامر او ابومالك الاشعرى انه سمع النبى(ص) يقول:" ليكونن من امتى قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف(٤) .

(١) انظر، ابن القيم ،حكم الاسلام فى الغناء ،تحقيق ابوحذيفه ابراهيم ابن محمد ،ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) اخرجه البخارى فى صحيحه ،محتجا به فى باب فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه . انظر البخارى اشربه ٦ ،وذكره ابو داود - لباس ٦ ،والترمذى فتن ٣٨ ،والدارمى . اشربه ٨ .

وقد شكك ابن حزم فى صحة هذا الحديث وقال انه منقطع فيما بين البخارى وهشام بن عامر . وان البخارى لم يصل سنده . ولذلك لا يحتج به فى تحريم المعازف . غير ان ابن القيم الجوزيه تصدى بقوة لاعتراض ابن حزم، على صحة هذا الحديث ، محاولا اثبات صحته من عدة وجوه (١).

وكذلك فعل الحافظ فى كتابه "الفتح" (٢) وقد اطال ابن القيم القول فى تصحيح هذا الحديث وتخريجه وقال ما نصه : "ولم يفع من قدح فى صحة هذا الحديث شيئا كابن حزم ونصره لمذهب الباطل فى اباحة الملاهى ،وزعم انه منقطع لان البخارى

---

(١) قال ابن حزم ان هذا الحديث ضعيف وليس له سند متصل فيما بين البخارى وهشام - غير ان ابود اود فى سننه قد ذكره بسند متصل الى الرسول (ص) اما ابن القيم فقد اعترض على قول ابن حزم بان هذا الحديث ضعيف وقال ما نصه "جواب هذا الوهم من وجوه : احدها ان البخارى قد لقى هشام بن عامر وسمع منه .فاذا قال "قال هشام "فهو بمنزله قول عن هشام - والثانى - انه لو لم يسمع منه فهو لم يستجز الجزم به عنه .وقد صح عنه انه حدث به فالبخارى ابعد الناس عن التدليس - والثالث - انه ادخله فى كتابه المسمى "بالصحيح "محتجا به .فلولا صحته عنده لما فعل ذلك والرابع - انه علقه بصيغة الجزم دون صيغة التعريض فانه اذا توقف فى الحديث اولم يكن على شرطه يقول: "يروى عن رسول الله (ص)" ويذكر عنه فاذا قال: "قال رسول الله (ص) فقد جزم وقطع باضافته اليه - الخامس - انا لو ضربنا عن هذا كله صفحا فالحديث صحيح متصل عند غيره - انظر ابن القيم الجوزيه ،حكم الاسلام فى الغناء تحقيق ابو حذيفه ابراهيم بن محمد ،ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) انظر الحافظ - الفتح ،ج ١٠ ،ص ٤١ .

لم يصل سنده "(١).

وقد ذكر ابن القيم روايات عديدة لهذا الحديث متصلة السند ليثبت صحته وعلق على تلك الاحاديث بقول :" ونحن نسوقها لتقربها عيون اهل القرآن وتشجى بها حلوق أهل سماع الشيطان"(٢).

كما هاجم السماع ابن الجوزى البغدادى(٣) ونقد مسالك الصوفية فى الغناء والرقص وذكر ادلة كراهة الغناء والاثار الناجمة عن سماعه وذكر ادلة القائلين بجوازه ونقدها وبين تلبيس ابليس على الصوفية فى الوجد. وعاب عليهم تقطيع ثيابهم . وما يأتون به من حركات وصياح اثناء السماع. ثم بين حكم الغناء فى المذاهب الفقهية الاربعة .

والجدير بالذكر ان ابن الجوزى البغدادى لم يحرم الغناء بشكل مطلق وانما اباح الحداء وغناء الحجيج واغانى الغزاة فى الحرب لشحذهم الجنود لملاقات الاعداء ،وانشاد المبارزين فى القتال باغانى واشعار التفاخر عند المبارزة كذلك الغناء الذى يحث على الزهد. وهو فى ذلك يتفق مع الغزالى الذى قال ما نصه :" وقد تكلم الناس فى الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من اباحه من غير كراهه ومنهم من كرهه مع الاباحة وفصل الخطاب ان نقول . ينبغى ان ينظر فى ماهية الشىء ثم يطلق عليه التحريم او الكراهة او غير ذلك

---

(١) انظر ابن القيم : حكم الاسلام فى الغناء ، تحقيق ابو حذيفه ابراهيم بن محمد ،ص ٤٩ ،وانظر ايضا ، الحافظ ، الفتح ، ج ١٠ ، ص ٤١.

(٢) ابن القيم ،حكم الاسلام فى الغناء ، تحقيق ابو حذيفه ابراهيم بن محمد ، ص ٥١ .

(٣) ابن الجوزى البغدادى ،تلبيس ابليس ، ص ٢٢٢ .

والغناء يطلق على اشياء منها غناء الحجيج فى الطرقات ...... يصفون مكة وزمزم والمقام، وربما ضربوا مع انشادهم بطبل فسماع تلك الاشعار مباح...وفى معنى هذا انشاد المبارزين للقتال للاشعار تفاخرا عند النزال ،ومن هذا اشعار الحداة (١).

فهذه الاشعار المغناه تحرك الانسان ، الا ان ذلك التحريك لا يوجب الطرب الذى يخرج صاحبه عن الاعتدال وهى تؤدى فى نظره الى انفعالات محمودة.

وقد كان لرسول الله حاد يقال له " أنجشه " يحدو للابل فتسرع فى سيرها حتى ان رسول الله (ص) كان يقول له عند الحداء" يا انجشه رويدك سوقا بالقوارير" (٢).

وقد انشد اهل المدينة طلع البدر علينا...الخ عند قدوم رسول الله عليهم مهاجرا .

ويذكر ابن الجوزى البغدادى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعائشة رضى الله عنها الجوارى الصغيرات السن ليلعبن معها ويغنون لها حيث كانت صغيرة (٣).

وقد حدث ان تزوجت جارية من الانصار يتيمة رجل من الانصار وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها من بين من اهداها الى زوجها. فقال رسول الله لعائشة. ان الانصار قوم فيهم غزل فما قلتم : قالت دعونا لها بالبركة . قال: افلا قلتم..

---

(١) الغزالى ، احياء علوم الدين ،ج ٢ ،ص ٢٦٦ .

(٢) ابن الجوزى البغدادى ،تلبيس ابليس ،ص ٢٢٣ ،ص ٢٢٤.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

أتيناكم اتيناكم فحيونا نحييكم ... الخ

ويعلق ابن الجوزى على ذلك بقوله : ان هذا الغناء الذى كانوا يغنون به ليس مما يطرب او يثير الانفعالات غير المباحة ولا كانت دفوفهن على ما يعرف اليوم(١).

كذلك الاشعار التى تحث على الزهد كقول بعضهم :

يا غاديا فى غفلة ورائحا
الى متى تستحسن القبائحا
يا عجبا منك وانت مبصر
كيف تجنبت الطريق الواضحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا
يستنطق الله به الجوارحا

وايضا القصائد التى فى ذكر الجنة والنار فهى فى رأى ابن الجوزى البغدادى مباحة والى مثل هذا اشار احمد ابن حنبل فى الاباحة عندما سأله أبوحامد الخلفانى قائلا: " يا أبا عبدالله هذه القصائد الرقاق فى ذكر الجنة والنار اى شىء تقول فيها ؟ فقال : مثل اى شىء . قلت : يقولون :

اذا ما قال لى ربى
اما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب عن خلقى
وبالعصيان تأتينى(٢)

---

(١) ابن الجوزى البغدادى ،تلبيس ابليس ،ص ٢٢٥ .

(٢) المرجع السابق ،ط ٢،ص ٢٢٦،وانظر ايضا ،محمد بن ابى الهدى المكنى بابى البركات ،روض الاسماع فى احكام الذكر والسماع ص ٤٤ .

فقال أعد على فأعدت عليه فقام ودخل بيته ورد الباب فسمعت تحيبه من داخل البيت وهو يقول هذا البيت .

وقد تأثر الامام احمد بتلك الابيات وبكى لشدة تاثره فمثل هذه القصائد فى رأيه حلال لانها لا تثير شهوة ولا هوى وانما تثير مشاعر محمودة (١).

اما أشعار النواح التى تثير الاحزان والبكاء فهى محرمة شرعا وأما الاشعار التى ينشدها المغنون فى وصف الحسنوات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع عن الاعتدال ويثير ماكمن بها من حب اللهو مثل قول الشاعر :

ذهبى اللون تحسب من
وجنتيه النار تقتدح
خوفونى من فضيحته
ليته وافى وأفتضح (٢)

واغانى الغزل هذه تغنى بالحان مختلفة وهى تخرج سامعيها عن حيز الاعتدال وتثير حب الهوى فيهم. فليس كل غناء فى رأيه محرما. وانما المحرم أنواع بعينها من القصائد التى لا تتفق والاخلاق الفاضلة وتثير الشهوات ويقول ما نصه " وقبل أن نتكلم فى اباحته (اى السماع) او تحريمه او كراهته نقول : ينبغى للعاقل ان ينصح نفسه واخوته ويحذر تلبيس ابليس فى اجراء هذا الغناء مجرى الاقسام المتقدمة التى يطلق عليها اسم الغناء فلا يحمل الكل محملا

---

(١) ابن الجوزى البغدادى، تلبيس ابليس، الطبعة الثانية ، ص ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

واحدا، فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان"[١].

وفى رأى ابن الجوزى البغدادى ان الشاب السليم البدن الصحيح المزاج اذا ادعى أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر فيه ولا تضره فى دينه فانه غير صادق فيما ادعى لان ذلك فى رأيه يخالف الطبع ، ويرى انه لو صح ذلك لكان بصاحبه مرضا جعله لا يتأثر بتلك المؤثرات . اما اذا تعلل بأنه ينظر الى المستحسنات ليعتبر بها ويستدل منها على حسن الصنعة فى اتساع العينين ودقة الانف ونقاء البياض فان لديه من انواع المباحات ما يكفى للاعتبار ومعرفة بديع خلق الله وفى هذه الحالة لن تؤثر شهوته على فكره وتأمله .

وان ادعى ان الغناء المطرب الذى يثير الطباع والشهوة لا يؤثر فيه ولا يلفت قلبه الى حب الدنيا الموصوفة فيه فانه كاذب لانه لا يستطيع ان يتخلص من غرائزه الفطرية التى قد تكون كامنة لشدة خشوعه وخوفه من الله فهو يستثيرها بهذا الغناء .

كما أنه يذهب الى ان الصوفى اذا ادعى انه بلغ من درجات الترقى الى المقام الذى لا تؤثر فيه هذه الاغانى وكان صادقا فى احواله فينبغى الا نبيح السماع الا لمن هذه صفته ويقول ما نصه : " ثم ان كان الامر كما زعم هذا المتصوف فينبغى الا نبيحه الا لمن هذه صفته والقوم قد أباحوه على الاطلاق للشباب المبتدى والصبى الجاهل حتى قال ابو حامد الغزالى ان التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر اوصاف النساء، الصحيح انه لا يحرم"[٢].

---

(١) ابن الجوزى البغدادى، تلبيس ابليس ، الطبعة الثانية ، ص ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

فهو يعيب على الغزالى اباحته هذا النوع من الغناء. وللغزالى فى ذلك رأى سيأتى تفصيله فى موضعه وموجزه ان تلك النوعية من الغناء قد يسمعها الصوفى المتحقق بالكمال الاخلاقى ولا يحملها على ظاهرها وانما يسمعها كاشارات لاشياء اخرى ابعد ما تكون عما يفهمه منها العامة. فهو سماع من احب الله وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شئ الا رآه تعالى فيه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او فيه كما اوضحنا آنفا ، كما ان الغزالى يرى ان اغانى الشوق والعشق غير محرمة فهى اذا سمعت فى حضرة المعشوق فهى تأكيد للذة وان كانت فى غيبته فهى تهييج للشوق وفيه نوع من اللذة ايضا اذا اضيف اليه رجاء الوصال ،فالرجاء لذيذ واليأس مؤلم بشرط ان يكون المعشوق او المشتاق اليه ممن يباح وصاله شرعا كالزوجة او الام او الابناء...الخ.

ولم يغفل الامام الغزالى الاشارة الى ان مثل هذه الاغانى تحرم على من لا يجوز فى حقه السماع،فاذا طلق الرجل زوجته فيحرم عليه ان يسمع هذا الغناء ويسقطه عليها لان فى هذه الحالة لا يجوز له تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال.

اما من يتمثل فى نفسه صورة أمراة لا يحل له النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثله فى نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر فى الافعال المحظورة (١).

وسنقف على رأى الغزالى فى هذا الشأن بعد وسنرى انه لم يطلق اباحة سماع اغانى الغزل والشوق والعشق للشباب والصبية الجاهلين وانما ابان من يحل له سماعها ومن يحرم

---

(١) انظر،الغزالى : احياء علوم الدين ،جـ ٢ ،ص ٢٧٧ .

عليه ذلك، ولاشك ان كل مستمع أدرى باحواله والله على الكل رقيب وهو سبحانه يعلم ما فى السرائر ويحاسب عليه .

وقد ذهب ابن الجوزى البغدادى الى ان من يدعى انه لم يسمع الغناء للدنيا وانما أخذ منه اشارات هو مخطىء من وجهين :

أحدهما : أن طبعه يسبق الى مقصوده قبل أخذ الاشارات فيكون كمن قال انى انظر الى هذه المرأة المستحسنة لاتفكر فى قدرة الله على خلق هذا الجمال .

والثانى : انه يقل فيه (اى غناء الغزل والعشق) وجود شىء يشار به الى الخالق تبارك وتعالى ويرى ابن الجوزى انه لا يجوز فى حق الله تعالى ان يقال انه يعشق ويقع الهيمان به وانما له سبحانه الهيبة والتعظيم فقط(١) .

والغزالى له فى ذلك رأى سيأتى تفصيله فى موضعه واكتفى هنا بالاشارة السريعة اليه وهو انه يقصد بعشق الله المحبة المفرطة فالمحبة اذا تأكدت سميت عشقا ومن عرف الله أحبه محبة مؤكدة وبقدر تأكيد معرفته تتأكد محبته واذا تأكدت المحبة صارت عشقا(٢) .

وقد ذكر ابن الجوزى البغدادى ادلة على كراهه السماع من القرآن والسنه ومن تلك الادلة ما ذكره من قبل ابن القيم الجوزيه ولا داعى لاعادة ذكرها واما أدلته من السنة منها حديث "نافع" عن "ابن عمر بن الخطاب" رضى الله عنهما : " أنه سمع

---

(١) ابن الجوزى البغدادى : تلبيس ابليس ، طبعة ثانية ، ص ٢٢٧ .

(٢) أنظر ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

صوت زمارة راع فوضع أصبعه على اذنه ، وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول يا نافع أتسمع فاقول : نعم فيمضى حتى قلت : لا . فرفع يديه . وقال . رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل مثل هذا" [١] .

كما استدل ايضا على كراهة السماع بان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن [٢] الحديث ، وبالنسبة للحديث الاول قال : أبوعلى اللؤلؤي : "سمعت أبا داود يقول : هذا حديث منكر .

وقال الشيخ الامام الحافظ المقدسى : هذا حديث اورده ابو داود فى سننه هكذا وقد رد من وجهين : الاول فساده من طريق الاسناد. والثانى. ان سليمان بن موسى هذا (وهو من رواة الحديث) هو الاشدق الدمشقى تكلم فيه اهل النقل،وتفرد بهذا الحديث عن نافع ولم يروه عنه غيره .

وقال البخارى سليمان بن موسى عنده مناكير [٣] ،وهكذا حاول المقدسى التشكيك فى صحة هذا الحديث .

---

(١) ابن الجوزى البغدادى، تلبيس ابليس، طبعة ثانية ،ص٢٣٢، ٢٣٣، أخرج الحديث ابود اود فى سننه ٧/٢٣٨ وابن ماجه فى سننه ١/١١ والقرطبى ١٠/٢٩.

(٢) روى عن النبى (ص) انه قال (النظر الى المغنية حرام وغناؤها حرام وثمنها حرام) - رواه يزيد بن عبدالملك بن المغيرة بن نوفل المدينى ابو خالد عن يزيد بن حفيصة عن السائب بن يزيد عن عمر بن الخطاب - أخرجه الترمذى عن ابى امامه ، انظر الترمذى ٧٢، ١٤/٧٤ .وفى القرطبى لاتبيعو القينات ولاتشتروهن ولا تعلموهن ولاخير فى تجارة فيهن وثمنهن حرام ١٣/٥١ - واخرجه الطبرانى فى الاوسط باسناد ضعيف عن عائشة ان الله حرم الغنينة وبيعها وثمنها وتعليمها .وقال البيهقى ليس بمحفوظ - انظر تخريج الطبرى على الاحياء ٢/٢٨٣ .

ومن بين من أنكر السماع الامام ابوبكر الطرطوشى الذى يرى أن من يستمعون الى الغناء فانهم قد وقعوا فى قبضة الشيطان فاستزلهم واغراهم بحب الهوى وسماع الطقطقة (١) وخالفوا الفقهاء وعلماء الدين وحملته فيقول فى مقدمة كتابه "فى تحريم السماع" :" بلغنا أن طائفة من اخواننا المسلمين وفقنا الله واياهم - استذلهم الشيطان واستغوى عقولهم فى حب الاغانى واللهو وسماع الطقطقة والنفير (٢) ، واعتقدته من الدين الذى يقربهم الى الله ، وجاهرت جماعة المسلمين وشاقت سبيل المؤمنين وخالفت الفقهاء والعلماء وحملة الدين (٣) .

وقد أوضح فى مصنفه السالف الذكر حرمة الغناء واستند فى ذلك على الادلة والحجج من الكتاب والسنه كما ذكر فيه رأى أئمة الفقه الاربعة مالك وابوحنيفه والشافعى واحمدبن حنبل ولم يزد فى عرض اراءهم عما ذكره ابن القيم فى هذا الشأن والذى سبق توضيحه .

وانتهى الى ان الغناء محرم ومنفعته محرمة والاستأجار عليه باطل وان أكل المال به أكل مال بالباطل ولا يجوز للرجل بذل ماله للمغنى ويحرم عليه ذلك وان الزمر حرام .

كما ذهب الى مثل ذلك الرأى ابوزكريا النووى فى روضته القسم الثانى حيث يذهب الى ان يغنى ببعض الات الغناء

---

(١) الطقطقة : هى الضرب بالقضيب على مخذة من الجلد ونحوها .

(٢) النفير : يشبه الصفير .

(٣) انظر ابوبكر الطرطوشى ، مقدمة كتاب فى تحريم السماع .

بما هو من شعار شاربى الخمر وهو مطرب كالطنبور[١] والعود والصنج[٢] وسائر المعازف والاوتار يحرم استعماله واستماعه .

ويرى ان فى اليراغ[٣] وجهان . وجه يحرمه وآخر يحله ويرى ان الصحيح تحريمه .

كما ذهب الى تحريم السماع ايضا ابوعمرو بن الصلاح[٤] فقال ما نصه " واما اباحة هذا السماع وتحليله فليعلم ان الدف والشبابة والغناء اذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين ولم يثبت عن احد ممن يعتد بقوله فى الاجماع والاختلاف انه اباح هذا السماع " ويقول ايضا :" وقولهم فى السماع المذكور انه من القربات والطاعات قول مخالف لاجماع المسلمين ومن خالف اجماعهم

---

(١) الطنبور بضم اوله قال :الهيثمى فى الزواجر ،ج ٢،ص ١٧٨، هو غير العود، وقدجاء فى دائرة المعارف الاسلامية ،ج ١ ، ص ٢٦٩ ان الطنبور هو اسم جنس لكل الات الطرب التى تستخدم فيها اوتار السلك وذكر منها ثلاثة انواع .

(٢) الصنج . آلة باوتار يضرب عليها وذكر الزبيدى فى تاج العروس ،ج ٢ ،ص ٦٧ ان الصنج العربى هو الذى يكون فى الدف اما الصنج ذو الاوتار فهو دخيل بعرب يختص به العجم ـ وانظر دائرة المعارف الاسلامية ،ج ١٤،ص ٣٣٧،٣٣٨.

(٣) اليراغ هو الشبابة وهو من جملة المزامير واشدها طربا . انظر، الزبيدى ،تاج العروس ،ج ٦ ،ص ١٩٧ .

(٤) انظر . فتاوى ابو عمرو بن الصلاح ،" الاجماع على تحريم الغناء " .

فعليه ما فى قوله تعالى: " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين توله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا "(١).

ويرى ان بلاء الاسلام فى طائفتين هما : المحللون لما حرم الله والمتقربون الى الله بما يباعدهم عنه ويعنى الصوفية الذين يتقربون الى الله عن طريق السماع .

ومن بين من ذهبوا الى اجازة بعض السماع وتحريم بعضه الامام " القرطبى " وهو مفسر وفقيه وهو يذهب الى ان الغناء عند المشتهرين به اذا كان مما يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذى يحرك الساكن ويبعث الكامن كالقصائد الشعرية التى تصف النساء وتذكرهن وتذكر الخمور والمحرمات فهذه لا يختلف فى تحريمها لان ذلك فى رأيه لهو وغناء مذموم .

أما الغناء الذى يغنى فى اوقات ومناسبات كالعرس والعيد وللتنشيط عند الاعمال الشاقة كما كان فى حفر الخندق وحدو " انجشه " و " سلمه بن الاكوع " فيجوز القليل منه فى تلك المناسبات وما شابهها .

اما رأيه فى سماع الصوفية للغناء ،فانه ينكره ويعتبره بدعة ويرى ان ما ابتدعه الصوفية من الادمان على سماع الاغانى باستعمال الالات المطربة كالشبابات والطار والمعازف والاوتار فحرام(٢).

---

(١) سورة النساء ، آية ١١٥ .

(٢) انظر ـ تفسير القرطبى ، جـ ١٤ ، ص ٥٤ .

كما ذهب القرطبي الى ان سماع الرسول (ص) واصحابه انما كان القرآن فاياه يتدارسون وفيه يتفاوضون،ومعانيه يتفهمون ، ويستعذبونه في صلاتهم ، ويأنسون به في خلواتهم ويتمثلون به في مجادلاتهم ويلجئون اليه في جميع حالاتهم فاذا سمعوا انصتوا كما أمروا ،واذا قرؤه تدبروا واعتبروا فأحلوا حلاله وحرموا حرامه واقتبسوا أحكامه يتخلقون باخلاقه ويعملون على وفاقه علما منهم بانه طريق النجاة ونيل الدرجات . وتلاوته افضل العبادات ، واجمل القربات فانه حبل الله المتين الصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرده من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه دعى الى الصراط المستقيم (١).

كما أنكر السماع علي بن علي بن محمدين ابي العز " صاحب كتاب " شرح الطحاوية في العقيدة السلفية " وهو ينكر على السامعين ويعتبرهم من المبتدعين الضالين ولو كان ما يسمع ليس أنغاما والحانا وانما القرآن ايضا في رأيه لا يجوز لسامعه ان يصفق او يتواجد كما يفعل الصوفية ويقول ما نصه : " وكذلك الذين يصفقون عند سماع الانغام الحسنة مبتدعون ضالون ، وليس للانسان ان يستدعى ما يكون سبب زوال عقله (يعني ما يؤدي به الى الغناء الصوفي) ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك ولو عند سماع القرآن ،بل كانوا كما وصفهم الله . اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون (٢)

---

(١) انظر، محمدبن ابي الهدى المكنى بابي البركات ، روض الاسماع في احكام الذكر والسماع ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) سورة الانفال ، آية ٢ .

كما يذهب الى ان ما يحدث لبعض السامعين عند سماع الانغام المطربة من الهزيان والتكلم ببعض اللغات المخالفة للغتهم فان ذلك لا يكون الا شيطان يتكلم من لسان السامع كما يحدث للمصاب بالصرع ويقول :" وما يحصل لبعضهم عند سماع الانغام المطربة من الهزيان والتكلم ببعض اللغات المخالفة لسان المعروف منه ،فذلك شيطان يتكلم على لسانه كما يتكلم لسان المصروع "(١).

كما يستنكر ان يكون زوال العقل اوالفناء سببا او شرطا او تقربا الولاية الله كما يظنه كثير من اهل الضلال على حد تعبيره. والذى يراه بعض المجانين نوع من المكاشفة او تصرف خارق للعادة وهو الكرامات الصوفية فانه يكون بسبب ما اقترن بصاحبه من الشياطين كما يكون للسحرة والكهان(٢).

ويذهب الى ان الانسان الضال هو الذى يظن ان كل من خبل او خرق العادة كان وليا ومن اعتقد هذا فى رأيه فهو كافر(٣).

وقد استند من ذهب الى تحريم السماع على الكثير من الاحاديث النبوية غير التى اوردناها والتى سيرد ذكرها فى رد من احل السماع عليهم ورد الغزالى ايضا على حججهم.
ذلك هو رأى من مالوا الى تحريم السماع وسنتبين معا رأى من اباحوه

---

(١) انظر، شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ،دار الفكر بيروت ،لبنان ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ،ص ٣٤٦ ٣٤٧.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٧

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الفصل الرابع

رأى من أحلوا السماع وأدلتهم على حله

الفصل الرابع

رأى من أحلوا السماع وادلتهم على حله

اجاز السماع الكثيرون من الصوفية غير أنهم اشترطوا جميعا كما رأينا الا يشتمل السماع على محظور او قول مخالف للشرع والا يكون لمجرد اللهو والعبث واشباع الهوى وان يلتزموا باداب السماع .

وكان الغزالى أبلغ القائلين بحل السماع استنادا الى الحجج النقلية من الكتاب والسنه والحجج العقلية كما سيتبين لنا فيما بعد .

ومن القائلين بحل السماع الامام " القشيرى" (٣٧٦هـ - ٤٦٥ هـ) وقد استند فى ذلك الى قول الحق تبارك وتعالى " فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه "(١) ويذهب الى ان الله تعالى فى هذه الاية ذكر "القول " على وجه العموم فهى تقتضى التعميم والاستغراق . والدليل على ذلك ان الله مدحهم باتباع الاحسن من القول(٢). ومعنى العمومية ان الغناء متضمن فى" القول" فاذا اتبع السامع احسن ما يغنى من الانشاد والاغانى فهو جائز ولا حرمة فيه .

كما استدل ايضا على حل السماع بقوله تعالى:" فهم فى روضة يحبرون "(٣) فجاء فى التفسير انه السماع من الحور العين باصوات جميلة يقلن "نحن الخالدات فلا نموت أبدا .نحن الناعمات فلا نبؤس ابدا "(٤) فدل ذلك على ان الغناء ليس مكروها وانه جائز وغير محرم.

---

(١) سورة الزمر ، آية ١٨ .

(٢) القشيرى ، الرسالة ، ج ٢ ،ص ٦٣٧ ، ٦٤٧ .

(٣) سورة الروم ، آية ١٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٤٧ .

ويذهب القشيرى الى ان الاشعار قد انشدت بين يدى رسول الله (ص) وانه سمعها ولم ينكر عليهم انشادها[١]. ويرى انه اذا جاز سماع الشعر بغير الحان بين يدى رسول الله فلا يتغير الحكم بان يسمع بالالحان .

كما ذكر القشيرى العديد من الاحاديث النبوية الشريفة الدالة على اباحة السماع منها ما رواه ابو الحسن على بن احمد الاهوازى بسند متصل ان أنسا قال " كانت الانصار يحفرون الخندق فجعلوا يقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا
على الجهاد ما بقينا أبدا

فاجابهم الرسول :" اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فأكرم الانصار والمهاجرة " وان كان هذا القول من الرسول (ص) ليس على وزن الشعر الا انه قريب منه[٢].

ويذهب القشيرى الى ان السلف الصالح واكابر القوم قد سمعوا الابيات بالالحان ومن بين من اباح السماع فى رأيه الامام مالك بن أنس واهل الحجاز كلهم اجمعوا على اباحة الحداء .

---

(١) ذكر ابن محمد بن طاهر فى مصنفه "باب الاقتراح على القول والسنه" ما رواه عمر بن الرشيد عن ابيه ان رسول الله (ص) استنشد من شعر آمية فأخذ يقول هى هى حتى انشده مائة قافيه . انظر ابن الجوزى البغدادى تلبيس ابليس ، الطبعة الثانية ، ص ٢٤٠ .

(٢) القشيرى ، الرسالة ، ج ٢ ، ص ٦٣٧ .

واستدل القشيرى على جواز الغناء بحديث عائشة رضى الله عنها المشهور عن الجاريتان اللتان غنتا فى بيتها ولم ينههما الرسول عن ذلك يوم "بعاث" والذى سبق ذكره .

وقد احتج ابن الجوزى البغدادي على استدلال من أجاز الغناء بهذا الحديث ويقول ما نصه :" ان انشاد الشعر عند عائشة لا يخرج الطباع من الاعتدال . وكيف يحتج بذلك الواقع فى الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الاصوات المطربة الواقعة فى زمان كدر عند نفوس قد تملكها الهوى . ما هذا الا مغالطة او لبس " .

وقد احتج القشيرى ايضا بحديث عائشة الذى روى بسند متصل انها انكحت ذات قرابتها لرجل من الانصار ودخل رسول الله (ص) ولم يسمع غناء فقال : الا بعثت معها من يغنى ؟ فقالت : قد دعونا لها بالبركة . فقال رسول الله (ص) ان الانصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول :

اتيناكم اتيناكم فحيانا وحياكم (١) فدل ذلك على جواز الغناء وذكر القشيرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب الصوت الحسن وقد روى بسند متصل عن البراء بن

---

(١) روى هذا الحديث بصيغ متعددة - رواه البخارى عن عائشه : "زفت امرأة الى رجل من الانصار . فقال نبى الله (ص) يا عائشة ماكان معكم لهو؟ فان الانصار يعجبهم اللهو - صحيح البخارى بشرح العمدة القارى ٢٠/١٤٩ - ورواه ابن ماجه نكاح ٢١ ، ١/١٦٣ - احمد بن حنبل ٣/٣٩١ ، المستدرك ١/٥٧١

عازب قوله :"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"حسنوا القرآن باصواتكم ،فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا"(١).

ويذهب القشيري الى ان الصوت الحسن من النعم التي ينعم بها الله على صاحبه. وقد فسر قوله تعالى:" يزيد في الخلق ما يشاء"(٢).

ان من ذلك الصوت الحسن فيهبه الله من يشاء من خلقه ،كما ذم الحق سبحانه وتعالى الصوت القبيح بقوله : " ان أنكر الاصوات لصوت الحمير"(٣).

وقد استند القشيري في قوله بحل السماع ايضا بحديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" لم يأذن الله تعالى لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن "(٤).

وقيل ان داود عليه السلام كان يتمتع بصوت جميل وكان اذا قراء الزبور يستمع لقراءته الجن والانس والطير والوحش كما اسلفنا وكان الصحابي ابوموسى الاشعري حسن الصوت فقال عنه الرسول (ص) "لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود"(٥).

---

(١) ذكره الدارمي في فضائل القرآن ٣٤، والبخاري آداب ٩٠ ، والترمذي آداب ٦٩، واحمد بن حنبل ٣- وابن ماجه آداب ٤١

(٢) سورة فاطر ، اية ١.

(٣) سورة لقمان ، آية ١٩ .

(٤) البخاري فضائل القرآن ١٩، توحيد ٣٢- ورواه مسلم مسافرين ٢٣٢، ٢٣٤، والنسائي افتتاح ٨٣، والدارمي صلاة ١٧١ ،فضائل القرآن ٣٤ ،واحمد بن حنبل ١، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٩ .

(٥) القشيري: الرسالة .تحقيق د.عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف ،ج ٢ ،ص ٦٤٢ .

وانتهى القشيرى الى ان سماع الاشعار بالنغمة المستلذة والالحان الطيبة لا حرمة فيه مالم يسمعه السامع على مكروه فى الشرع وهو عنده فى الجملة مباح، وقوله فى ذلك:"اعلم ان سماع الاشعار بالالحان الطيبة والنغم المستلذة اذا لم يعتقد المستمع محظور او يسمع على مذموم فى الشرع ولم ينجر فى زمام هواه ولم ينخرط فى ذلك ،لهو مباح فى الجملة (١)

وفى رأيه ان السماع يزكى الوجد ويحمل المستمع على التحرز من الزلات ويؤدى الى قلبه فى الحال صفاء الواردات وانه مستحب فى الدين مختار فى الشرع وانه قد جرى على لفظ رسول الله (ص) ما هو قريب من الشعر وان لم يقصد ان يكون شعرا (٢).

ويعلق الامام" القشيرى" على رأى من قال ان الغناء "لهو" بقوله :" ليس كلامنا فى هذا النوع من السماع فان هذه طائفة (يعنى الصوفية) جلت رتبتهم عن ان يسمعوا بلهو، او يقعدوا للسماع بسهو، او يكونوا بقلوبهم مفكرين فى مضمون لغواو يستمعون على صفة غير كف ء" (٣).

ويذهب القشيرى الى ان استلذاذ القلوب واشتياقها الى الاصوات الطيبة واستروا حها اليها مما لا يمكن حجوده فان الطفل يسكن الى الصوت الطيب ،والجمل يقاسى تعب السير

---

(١) القشيرى : الرسالة تحقيق د.عبد الحليم محمود ومحمود ابن الشريف ، ج ٢ ،ص ٦٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ،نفس الصفحة .

ومشقة الحمولة فيهون عليه الحداء(1) قال تعالى :" أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت "(2).

ومن الصوفية الذين اباحوا السماع "السهروردى" وفى مصنفه "عوارف المعارف" افاض فى الحديث عن السماع وعن ادابه واراء المعارضين له والمؤيدين وبين درجات السامعين ونقد المدعين المتكلفين وبسط لاهل الانكار لسان الاعتذار واوضح لهم الفرق بين سماع يؤثر وسماع ينكر. كما تناول آداب السماع فى مصنفه" اداب المريدين " .

وذهب السهروردى الى ان سماع القرآن الكريم لا اختلاف فيه وانما الاختلاف فى استماع الاشعار بالالحان. وقد كثرت الاقوال فى ذلك وتباينت فهناك من ينكر السماع ويلحقه بالفسق وهناك من يشهد بانه واضح الصدق ويقول ما نصه : " لقد كثرت الاقوال فى ذلك وتباينت الاحوال فمن منكر يلحقه بالفسق ومن مولع به يشهد بانه واضح الحقويتجاذبان فى طرفى الافراط والتفريط"(3).

والسهروردى كغيره من الصوفية الذين اجازوا السماع يرى ان الاستماع الى الغناء والالحان ليس مباح بشكل مطلق كما انه ليس محرما تحريما مطلقا ايضا وانما للسماع آداب شرعية يجب ان يلتزم بها المستمع اذ يقول :" فاذن لا يطلق القول بمنعه وتحريمه. والانكار على من يسمع كفعل القراء المتزهدين المبالغين فى الانكار ولا يفسح فيه على الاطلاق

---

(1) القشيرى : الرسالة ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(2) سورة الغاشية ، آية ١٧ .

(3) عوارف المعارف : بهامش احياء علوم الدين للغزالى ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ .

كفعل بعض المشتهرين به المهملين شروطه وآدابه . المقيمين على الاصرار"(١) وقد تحدثنا عن تلك الاداب فى الفصل الاول.

ويذهب السهروردى الى ان استخدام الالات الموسيقية يكون بحذر فقد نهى عن استخدام انواع من الالات(٢) التى تستخدم فى العزف فى مجالس الشراب كالشبابه والدف حتى لاتشابه مجلس السماع مجالس الشراب ويرى ان الاولى تركهما وان كان الامام الشافعى قد اعطى فى مذهبه فسحة لهما غير ان السهروردى يرى الاخذ بالاحوط والخروج من الخلاف .

---

(١) عوارف المعارض :بهامش احياء علوم الدين للغزالى ،ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

(٢) روى عن النبى (ص) انه قال: " امرنى ربى عزوجل بنفى الطنبور والمزمار وهوحديث رواه ابراهيم بن اليسع بن الاشعث المكى ابو اسماعيل عن هشام بن عروه عن ابيه عن عائشة وقال البخارى عن ابراهيم هذا انه منكر الحديث وقال النسائى عنه انه مكى ضعيف، انظر محمد بن طاهر - السماع تحقيق ابو الوفا المراغى ،ص ٨٢،ونص الحديث كما رواه امامه عن النبى (ص) ان الله بعثنى رحمة وهدى للعالمين وامرنى ان امحق المزامير والكبارات اى البرابط والمعازف والاوتار التى كانت فى الجاهلية ،واقسم الى بعزته الا يشرب عبد من عبادى جرعة من خمر الا سقيته مكانها من حميم جهنم ... الخ" اخرجه احمد عن طريق على بن يزيد واخرجه ابوطالب الغيلانى عن على" بعثت بكسر المزامير" وعن ابن عباس ان النبى (ص) قال: " بعثت بهدم المزامير- انظر الترغيب والترهيب ٣/١٨٦ - والقرطبى ١٠/٥٣ .

ومن الاغانى والاشعار التى يرى السهروردى اباحة سماعها القصائد التى تذكر بالجنة والنار والتشويق الى دار القرار ، ووصف نعيم الملك الجبار، وذكر العبادات والترغيب فى الخيرات على حد تعبيره فهذه لا سبيل فى رأيه الى انكارها ، كذلك قصائد الغزاه والحجاج فى وصف الحج ووصف الغزو مما يثير العزائم والوجد الكامن والشوق الساكن فى الحاج .

واما القصائد التى تذكر القدود ،والخدود،ووصف النساء فلا يليق فى رأيه بأهل الديانات ان يجتمعوا لسماع مثل لتلك القصائد. ثم هناك القصائد التى تكون فى ذكر الهجر والوصل والقطيعة والصد مما يقرب جملة على امور الحق سبحانه وتعالى فى تلون احوال المريدين ، ودخول الافات الى الطالبين ،فانه يجوز سماعه فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات . او تجدد عنده عزم لما هوآت ، فلا حرج عليه فى سماعه . ويرى ان كثير من السامعين لهذه القصائد يقتاتون ويتقوون بما تحمله من معان ، وتثير عندهم الشوق ،والوجد ويقول السهروردى : " فاذا استمع العبد الى بيت من الشعر وقلبه حاضر ... فيه خطاب قلبه لما يجده من قوة عزمه على الثبات فى امر الحق الى الممات يكون فى سماعه هذا ذاكرا لله تعالى"(١) بمعنى ان سماع القصائد الدينية هو نوع من ذكر الله .

ويستدل السهروردى على حل السماع بحديث عائشة رضى الله عنها اذ قالت : " كانت عندى جارية تسمعنى فدخل

---

(١) السهروردى ـ عوارف المعارف ـ بهامش الاحياء للغزالى ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى على حالها ، ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله ؟ فحدثه بحديث الجارية . فقال: لا أبرح حتى اسمع ما سمع رسول الله فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاسمعته "(١).

وقد أنكر من ذهب الى تحريم الغناء احتجاج الفريق الاخر الذى اباح السماع بان الجوارى كن يغنين عند عائشة رضى الله عنها وخلاصة قولهم فى ذلك نجمله فى النقاط التالية :

(١) ما كان ينشد عند عائشة من القصائد كانت أبعد ما يكون عن الاشعار التى تثير الشهوة والهوى ،كما هو الحال الان .

(٢) ان زمان عائشة كانت القلوب فيه صافية والايمان قويا فكان الغناء لا يؤثر فى القلوب بما يشغلها عن الدين.

(٣) ان عائشة كانت صغيرة السن وكان الرسول يرسل اليها الجوارى ليسرين عنها وكن فى مثل سنها تقريبا .

(٤) لم ينقل عن عائشة بعد بلوغها وتحصيلها الا ذم الغناء وقد كان ابن اخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ويمنع من سماعه ،وقد اخذ العلم عنها .

ومن الجدير بالذكر ان من هاجموا السماع نقدوا أدلة القائلين بحله . فالحديث الشريف " لم يأذن الله لشئ ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن"(٢) وحديث " ان الله اشد اذنا

---

(١) السهروردى . عوارف المعارف على هامش الاحياء ،ج ٢ ،ص ٢٣٣ ، اخرجه ابن ماجه نكاح ٢١ .

(٢) اخرجه البخارى فضائل القرآن ١٩ ،توحيد ٣٢ ،ومسلم ٢٣٢ ، ٢٣٤ - النسائى افتتاح ٨٣ ،الدارمى صلاة ١٧١ ،فضائل القرآن ٣٤ - احمد

للرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة الى قينته "(١) وقد اتخذهمـــا الصوفية من جملة الاحاديث التى تستدلون بها على حل الغناء . اذ لا يجوز ان يقيس الرسول على محرم ،فهذا الحديث يعنى ان الله عز وجل يستمع الى حسن الصوت وهو يتغنى بالقرآن ،كما يستمع صاحب القينة (اى الجارية) الى قينته ،فدل ذلك ان الغناء غير محرم(٢).

اما من أنكر السماع يرى ان التشبيه بالاستماع الى القينة لا يمنع ان المشبه حرام فان الانسان لو قال وجدت للعسل لذة أكثر من لذة الخمر كان كلاما صحيحا(٣).

وقد فسر سفيان بن عيينة قوله :" يتغنى بالقرآن ، فقال معناة يتحزن به ويترنم وقيل ايضا فى تفسيره يجعله غناء الركبان اذا ساروا"(٤).

كما احتج السهروردى بقول رسول الله (ص) " ان من الشعر لحكمة"(٥) وان النابغة كان ينشد الشعر عند رسول الله (ص) كما كان صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه ويهجو الكفار، الذين كانوا يهجون الرسول (ص) وكان صلى الله عليه وسلم يقول : " ان روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله"(٦).

---

(١) اخرجه ابن ماجه ٤٢٥ .

(٢) انظر ابن الجوزى البغدادى، تلبيس ابليس، طبعة ثانية ،ص٢٢٨.

(٣) محمد ابن طاهر: السماع .تحقيق ابو الوفا المراغى،ص ٤٠،٤١.

(٤) ابن الجوزى البغدادى: تلبيس ابليس، طبعة ثانية ،ص ٢٢٨.

(٥) انظر .عوارف المعارف بهامش الاحياء للغزالى ،ج ٢ ،ص ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

ويقول السهروردى نقلا عن ممشاد الدينورى[1] الصوفى انه قال رأيت رسول الله (ص) فى المنام فقلت : يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال : ما انكره ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن"[2]

ولاشك ان السماع المقصود هنا هو سماع الانشاد الدينى الذى يتغنى به القوال فى مجالس الصوفية ٠

ويروى السهروردى انه حكى ان ذا النون المصرى لما دخل بغداد دخل عليه جماعة فاستأذنوه ان يقول (اى المنشد) شيئا فأذن له ٠ فانشد القوال :

صغير هواك عذبنى
فكيف به اذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبى
هوى قد كان مشتركا
ما ترثى لمكتئب اذا
ضحك الخلى بكى

فطاب قلبه لسماع هذه الابيات وقام وتواجد[3] ٠

نستشف مما سبق ان السهروردى لا يجد حرمة فى سماع القصائد المغناة بشرط ان يلتزم المسمع بآداب السماع وان يتغنى بالقصائد التى ترقق القلب وتذكر الرب ولم يبيح

---

(١) ممشاد الدينورى من كبار مشايخ الصوفية صحب يحيى الجلاء عظيم المرمى فى علوم القوم احد فتيان الجبال، توفى سنة ٢٩٩هـ انظر طبقات السلمى ، ص ٧٦ ٠

(٢) السهروردى، عوارف المعارف على هامش الاحياء للغزالى، جـ٢ ، ص٢٣٤

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ٠

سماع اغانى الغزل ووصف النساء لما تثيره فى السامعين من اهواء بعيدة كل البعد عن الاعتدال والاحتشام .

كذلك ذوالنون المصرى يرى ان السماع يبعث على الوجد ويرقق القلب ويزعجه الى الحق فى حال صفائه ونقائه اذا كان صاحبه صادق الحال .

ويذهب ذوالنون الى ان من يسمع الغناء طلبا للمتعة واثارة للشهوة فانه عمل غير جائز وصاحبه زنديق(١).

وقد أباح الجنيد البغدادى الصوفى السماع وانشاد القصائد الدينية ويذهب الى ان "للنفس فى الشعرحظوظ واذا ارتاحت نفوس المسلمين بشئ من المباحات لاشك انه يحصل لهم الثواب بذلك لموافقته للامر النبوى والاذن المصطفوى فكيف اذا ارتاحت بحال يدل على الله ، ويذكر بالله ويشوق الى الله ، فالثواب فى ذلك أعظم والخيرية اوفر وأعم"(٢)

فهو يرى ان السماع حلال وان رسول الله (ص) قد سمع الغناء واذن به . ولا حرمة فى امر يريح النفس مادام ليس فيه ما يخالف الشرع ، وان الغناء الدينى يقرب العبد الى ربه ويشوقه اليه ، فله فى ذلك ثواب اعظم وخير اوفر.

ومن الصوفية الذين قالوا بجواز السماع محيى الدين ابن عربى وان كان لم يذكر الادلة الشرعية على اباحته وانما تناول السماع فى بعض مصنفاته مثل " المواقع " و " شمس

---

(١) القشيرى الرسالة القشيرية . تحقيق د . عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف ، ج ٢ ، ص ٦٤٤ .

(٢) انظر . محمد ابى المهدى المكنى بابى البركات ، روض الاسماع فى احكام الذكر والسماع ، ص ٦٧ ، (طبع بمصر ١٩٠٣ م).

الطريقة فى بيان الشريعة والحقيقة" ورسالة " آداب الشيخ والمريد" ورسالة النجاة" وغيرها فاوضح معنى السماع وآدابه ودوره كرياضة عملية فى اثارة وجد السامعين واوضح درجات السامعين ومقاماتهم. وقد تبينا ذلك فيما سبق (١).

ومن بين من أحل السماع وأجازه الحافظ (٢) الامام محمد ابن طاهر المقدسى الذى يذهب الى ان الحلال هو ما احله الله ورسوله والحرام هو ما حرمه الله ورسوله وعلينا أن نحل ما أحله الله ونحرم ما حرمه وان نقتدى بالرسول والخلفاء

---

(١) انظر المواقع، ص ١٦٤ وما بعدها - وانظر ايضا، رسالة فى آداب الشيخ والمريد، مخطوطة بالمكتبة الازهرية تحمل رقم ١٠٧٠ خاص - ٣٣٥٨٠ عام - مجاميع حليم، وانظر ايضا - سهام ابراهيم عبدالمجيد - المعرفة عند ابن عربى من ص ٢٣٣ الى ص ٢٣٦.

(٢) ابن القيسرانى - هو محمد بن طاهر بن على بن احمد بن ابى الحسن الشيبانى، ولد سنة ٤٤٨ هـ وتوفى سنة ٥٠٧ هـ، علم من اعلام القرن الخامس الهجرى اولع بعلم الحديث وسافر فى طلبه الى اكثر من اربعين مدينة وبلد ومن بلاد العالم الاسلامى كما ذكر ذلك ابن حجر وابن كثير - وله مصنفات كثيرة اغلبها فى علم مصطلح الحديث وقد ذكر له صاحب كتاب هدية العارفين ما يناهز السبعين كتابا منها ما يصل الى عشرة اجزاء ومن مؤلفاته كتاب "السماع " الذى اباح فيه الغناء مما اثار عليه بعض العلماء ونقدوه ومنهم المؤرخ ابن الجوزى فى " المرآة " حيث قال عنه صنف كتابا اسماه "صفوة التصوف" يضحك منه من رآه ويعجب من استشهاداته بالاحاديث التى لا تناسبه انظر. الوافى بالوفيات، جـ ٢، ص ١٦٦، ١٦٨، لسان الميزان، ص ٢٠٧، ٢٠٨، وشذرات الذهب لابن العماد، جـ ٤، ص ١١١ - هدية العارفين، جـ ٢، ص ٢٨.

الراشدين الذين أمر صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم وأنه لا يجوز تحريم الفعل الا بدليل من آية محكمة أو سنة ماضية صحيحة أو اجماع الأئمة.

وأما الاستدلال بالموضوعات والغرائب والأفراد من روايات الكذبه الذين لا يقوم لقولهم حجة والذين فسروا القرآن بحسب مرادهم فلا يجب الرجوع الى قولهم أو سلوك طريقهم وانما علينا التزام قول من أيده الله بالوحى والتنزيل وقال عز وجل فيه "وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى" (١).

وقد استند الحافظ محمد بن طاهر القيسرانى على حل السماع بأدله من الكتاب والسنة وقد سبق أن ذكرنا الكثير منها عند من سبق ذكرهم من العلماء الذين أحلوا السماع وسيقتصر الحديث هنا على ما فيه جديد لم يسبق ذكره.

ومن الأدلة التى استند اليها ما رواه باسناد عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، قال ابن عبد الرحمن: "خرجنا مع عمر بن الخطاب فى الحج الأكبر "هو حج الفرض والعمرة هى الحج الأصغر" حتى اذا كان عمر بالروحاء (٢)

---

(١) س ق آية ٣، ٤.

(٢) الروحاء موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة.

كلم الناس رباح بن المعترف [١] وكان حسن الصوت بغناء الاعراب ، فقالوا أسمعنا وقصر عنا الطريق فقال أني أفرق من عمر. قال : فكلم القوم عمر : انا كلمنا رباحا يسمعنا ويقصر عنا المسير فأبى الا أن تأذن له ، فقال له : "يا رباح ، أسمعهم وقصر عنهم المسير ، فاذا اسحرت فارفع وخذلهم [٢] من شعر ضرار بن الخطاب فرفع عقيرته [٣] يتغنى وهم محرمون" [٤].

ويستدل من هذا الاثر أن عمر بن الخطاب قد سمح للرجل أن يتغنى ليقصر على المسافرين الطريق الى الحج ولاشك أنه تغنى بأشعار الزهد والحكمة . ولو كان الغناء محرما ما سمح له عمر به.

وقد استند ابن القيسرانى أيضا على جواز السماع بما رواه باسناد عمر ابن أبى ربيعة أن الحارث بن عبيد

---

(١) جاء فى نهاية الارب للنويري ج ٤ ، ص ١٨٩ أن اسمه رباح بن المعترف وهو رجل حسن الصوت .

(٢) وخذلهم ذكرت فى نهاية الارب للنويري "واحدهم" ج ٤ ، ص ١٩٠.

(٣) "عقيرته" صوته ففى القاموس "العقيرة" صوت المغنى والقارىء والباكى. أنظر : ابن القيسرانى - السماع- تحقيق أبو الوفا المراغى ص ٤٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٢ .

الله بن عباش أخبره أنه كان يسير مع عمر بن الخطاب في طريق مكة في خلافته ومعه المهاجرين والأنصار فترنم عمر ببيت فقال له رجل من أهل العراق - ليس معه عراقي غيره - غيرك فليقلها ياأمير المومنين ! فاستحى عمر وضرب راحلته حتى انقطعت من الموكب [١] وهذا يدل على أن الترنم بالغناء جائز شرعا فالخليفة عمر بن الخطاب ما كان يفعل ذلك لو أنه محرما.

كما استند أيضا الى ما حدث به عبيد الله بن خالد ابن أبي بكر بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال : "حدثني حمزه بن عبد الله بن عمر قال : كنت أحس من نفسي بحسن الصوت وكان صوت سالم بن عبدالله كرغاء البعير ، فقال : أنا أحسن منك صوتا. فقال لنا عبد الله بن عمر أحدوا حتى أسمع ،فغنينا غناء الركبان، فقلت لأبي : آينا أحسن صوتا ؟ فقال : انكما كحماري العبادي [٢] ، أي أن كليهما ليس بحسن الصوت ولو كان الغناء محرما لما سمح لهما به.

وقد ذكر ابن القيسراني الكثير من الروايات التي يستدل منها على أن الصحابة والتابعين لم ينكروا السماع

---

(١) أنظر النويري . نهاية الأرب ج ٤ ص ١٨٩ وابن القيسراني . السماع ص ٤٢.

(٢) من أمثال العرب في الشيئين الرديئين . ما أحدهما بأمثل من الآخر يقال هما كحماري العبادي الذي قيل له أي حماريك أشر؟ قال هذا ثم هذا.

ولم يحرموا الغناء، وأستند الى آيات من القرآن وأحاديث سبق ذكرها للرسول لا داعى لتكرارها.

أما عن الموسيقى فهو يرى أن ضرب الدف والاستماع اليه سنة لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستمع اليه وأمر بضربه ولا ينكر ذلك الا جاهل مخالف للسنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من رغب عن سنتى فليس منى"(١).

وذكر باسناد ما روته "الربيع بنت معوذ" قالت: "جاء رسول الله (ص) فدخل على صبيحة بنى على فجلس على فراشي كمجلسك منى فجعلت جويرات يضربن بدف يندبن من قتل من آبائي يوم بدر الى أن قالت: "فينا نبى يعلم ما فى غد" فقال دعى هذا وقولى الذي كنت تقولين قبلها"(٢).

وهذا الحديث الذي روته "الربيع بنت معوذ" يوضح كيف أن غناء الجواري والضرب بالدف حدث فى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يحرمه ولم يعترض عليه وانما

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم فى باب النكاح من أنس. أنظر: البخاري بشرح عمدة القارىء ج ٢٠ ص ٦٥ ومسلم ص ١٠٢٠.

(٢) أخرجه البخاري فى باب النكاح وفى باب المغازي أنظر صحيح البخاري بشرح عمدة القارىء ج ٢٠، ص ١٣٥ والترمزي ج ٤، ص ٣٠٩.

اعترض على قول الجاريه "وفينا نبى يعلم ما فى غد" لان الغيب لا يعلمه الا الله ولانه يستحى أن يوصف بهذه الصفة التى يجب ألا تنسب الا لله وحده ، وأمرها أن تقول ما كانت تتغنى به من أشعار تتعلق بالمغازي والشجاعة والتضحية والفداء من أبطال المسلمين يوم بدر ويستدل القيسرانى من هذا الحديث على أن الضرب بالدف سنة عن الرسول .

كما استدل بما روى عن عائشة أن رسول الله (ص) سافر سفرا فنذرت جارية من قريش : ان الله عز وجل رده أن تضرب فى بيت عائشة بدف ، فلما رجع (ص) جاءت الجارية فقالت عائشة للنبى (ص) هذه فلانة بنت فلان نذرت ان ردك الله تعالى ان تضرب فى بيتى بدف ، قال : فلتضرب (١).

وقد قال رسول الله (ص) "لا نذر فى معصية" (٢) فلو كان الضرب بالدف معصية لله لما وافق الرسول على وفاء نذر الجارية بالضرب به فى بيت عائشة . وهذا يدل على أن الضرب بالدف جائز وغير محرم.

---

(١) أخرجه أحمد والترمزي وصححه الترمزي ج٢ ، ص ٢٧١ .

(٢) أخرجه ابن ماجه عن عمران بن الحصين بلفظ: " لا نذر فى معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم". وأخرجه مسلم بهذه الرواية.

أنظر : صحيح مسلم ص ١٢٦٣ وابن ماجه ص ١٦٨٦

أما الاحاديث التى استند اليها من ذهب الى تحريم الغناء والموسيقى فان ابن القيسرانى قد تعرض لهما وأوضح أنها ضعيفة.

فقال عن استماع "اليراع" وهو قصبة الزمار أن بعضهم حرمه واحتج بحديث عبد الله بن عمر عندما سمع مزمار الراعى فوضع أصبعيه فى أذنيه ونأى عن الطريق وكان معه نافع . فقال له هل تسمع شيئا فقال لا، فرفع أصبعيه من اذنيه وقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا ففعل مثل هذا . وقال هذا حديث أورده أبو داود فى سننه (١) وهو فى رأي ابن القيسرانى فاسد من وجهين :

الأول : فساده من طريق الاسناد الثانى وهو الراوى سليمان بن موسى ويذهب الى أن سليمان بن موسى هذا هو الأشدق الدمشقى تكلم فيه أهل النقل وهو تفرد بهذا الحديث عن نافع ولم ينقله عنه غيره وقال عنه البخاري: سليمان بن موسى عنده مناكير "أي عنده روايات منكرة"

الثانى : قول عبد الله بن عمر لنافع : أتسمع؟ ولو كان ذلك منهيا عنه لم يأمره بالاستماع.

وقوله كنت مع رسول الله فسمع مثل هذا وفعل مثل هذا يدل على عدم تحريمه لانه لو كان حراما لنهاه عن

---

(١) أخرجه أبو داود فى باب النهى عن الغناء فى سننه ج ٧ ، ص ٢٣٨ كما ذكره ابن ماجه ج ١ ، ص ٦١١ ، والقرطبى ج ١٠ ، ص ٢٩ .

عن استماعه وصرح بتحريمه لانه الشارع المأمور بالبيان فأي ضرورة أحوجته الى أن يأخذ طريق آخر؟ (١) ففى رأيه أن لو كان الزمر محرما ما سمح الرسول لصاحبه الذي يرافقه فى السير أن يسمع هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن الرسول مأمور ببيان الحلال والحرام من الله وتبليغ ذلك الى الناس فكيف له أن يكتفى بأن يترك الطريق الذي سمع فيه الزمر الى غيره دون أن يبين لمن يستعمل المزمار أن ذلك العمل منكرا ومحرما ؟ فاذا لم يفعل ذلك دل على أنه عمل غير محرم.

وللغزالى تعليق على هذا الحديث سيأتى فى موضعه بعد عند رده على من حرم السماع .

أما القول فى استماع القضيب والأوتار والذي يقال له التغبير (٢) أو الطقطقة . فهو يذهب الى أنه لم يجد فى الاثر اباحة أو تحريم فليس هناك ما يدل على تحريمها أو تحليلها فى الشرع غير أن المتقدمين قد أباحوا استماعها ومن ثم يمكن اعتبار أصلها الاباحة (٣).

---

(١) أنظر : محمد بن طاهر القيسرانى : السماع ، ص ٥٩، تحقيق أبو الوفا المراغى (القاهرة ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠م).

(٢) "المغبرون" قوم يغبرون بذكر الله أي يهللون ويرددون الصوت بالقراءة وغيرها وسمحوا بذلك لأنهم يرغبون الناس فى الغابرة أي الباقية.
أنظر: القيسرانى ، السماع ص ٦٣.

(٣) محمد ابن طاهر القيسرانى: السماع.تحقيق أبو الوفا المراغى ص ٦٣ .

كذلك الأوتار فالقول فيها كالقول فى القضيب لم يرد الشرع بتحليلها ولا تحريمها ويذهب القيسرانى الى أن كل ما ورد فى التحريم هو غير ثابت عن الرسول (ص)٠

وقد أبان فى فصل كامل فى كتابه "فى السماع" ، أن الاحاديث التى نسبت الى الرسول (ص) والتى تحرم القضيب والأوتار أحاديث ضعيفة ومتهافتة وغير موثوق فى رواتها ويقول ما نصه : "واما الأوتار فالقول فيها كالقضيب لم يرد الشرع بتحليلها ولا تحريمها وكل ما ورد فى التحريم فغير ثابت عن الرسول (ص) ونحن نجيب عنه فى الفصل الثانى ونبين حال رواته ، ولأجل هذا صار "أي العزف عليها" مذهبا لأهل المدينة لا اختلاف بينهم فى اباحته واستماعه" [١].

كما يذهب الى أن أبو اسحق ابراهيم بن على بن يوسف الفيروز آبادي المعروف بالشيرازي[٢] لم ينكر السماع أو العزف على الأوتار مع أنه أمام يعتد به وكان زاهدا متقشفا[٣].

---

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢) ولد الشيرازي سنة ٣٧٣ هـ وتوفى سنة ٤٧٦ هـ وكان أنظر أهل زمانه عاش ببغداد وكان من كبار العلماء فى عصره تفقه فى الدين وكان زاهدا وهو شافعى المذهب .
أنظر الأنساب للسمعانى ج ٢ ، ص ٢٣٣ ٠

أما رد القيسرانى على من حرم الغناء واستماع المعازف فذلك سنورده بعد.

وقد أورد القيسرانى أحاديث تبيح المزامير والملاهى فقد روى باسناد عن ابن جبير قوله : "كان رسول الله (ص) يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائما يخطب خطبيتين ، وكن الجواري اذا أنكحوهن يمرون يضربون بالدف والمزامير ، فيتسلل الناس ويدعون رسول الله (ص) قائما فعاتبهم الله عز وجل فقال : "واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما"(١) ويذهب ابن القيسرانى الى أن الحق سبحانه وتعالى قد أنكر على المسلمين أن يتركوا الرسول فى المسجد ويتسللون الى سماع الضرب بالدف والمزامير كما عاتبهم أيضا فى هذه الآية الكريمة على تركهم الرسول والانصراف عنه عندما يسمعون بقدوم قوافل التجارة فيسرعون اليها. ويرى أن الحق سبحانه عطف اللهو على التجارة وأن حكم المعطوف حكم المعطوف عليه والتجارة محللة شرعا بالاجماع فثبت أن هذا الحكم ينسحب على اللهو أيضا لانه غير محتمل أن يكون النبى (ص) قد حرمه ثم يمر به على باب المسجد يوم الجمعة. ثم يعاتب الله عز وجل من ترك رسوله (ص) قائما وخرج ينظر اليه ويستمع ولم ينزل فى تحريمه آية ، ولا سن رسول الله (ص) فيه سنة فعلمنا بذلك بقاءه على

---

(١) س الجمعة آية ١١ ، ذكره مسلم فى صحيحه ص ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، وجاء فى شرح عمدة القارىء لصحيح البخارى ج٦ ، ص ٢٤٧.

حاله كما كان فى الجاهلية [١].

هذا الى جانب أن الرسول كان لا يحرم اللهو فى الأفراح والاعراس وقد روى بسند متصل عن "عبيد الله بن عميره " قال : "حدثنى زوج "درة" [٢] بنت أبى لهب قال : دخل على رسول الله (ص) حين تزوجت درة . فقال : هل من لهو ؟" [٣].

وابن طاهر القيسرانى يرى أن هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها تثبت اباحة الغناء والضرب بالدف والمزامير والعزف على الأوتار أما الذين ذهبوا الى تحريم ذلك انما اعتمدوا - على حد قوله - على أن فلان كرهه وأن فلان حرمه والاستدلال بأحاديث لا أصل لها. وليس لأحد اذا صح عن رسول الله (ص) أن يحل حراما أو يحرم حلالا.

وانتهى الى أن الغناء حلال والضرب بالدف والمزمار والأوتار غير محرم.

---

(١) محمد بن طاهر القيسرانى : السماع. تحقيق أبوالوفا المراغى ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) زوج درة هو "عبد الله بن عمر" كما جاء فى التقريب ج ٢ ، ص ٥٥٨ .

(٣) أخرجه الحاكم فى كف الرعاع ، ص ٢٠٧ .

وردا على من احتج بالآية الكريمة التى سبق ذكرها "ومن الناس من يشترى لهو الحديث"(١) على تحريم السماع والزمر يقول ما نصه : " أوردوا فى ذلك عدة أسانيد الى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فنظرت فيها جميعا فلم أر فيها طريقا يثبت الى واحد من هؤلاء الصحابة الا طريقا واحدا رواه يوسف ابن موسى القطان عن جرير عن عبد الحميد عن عطاء بن الشائب عن سعيد ابن خبير عن ابن عباس فى قول الله عز وجل "ومن الناس من يشترى لهو الحديث ".

قال : الغناء والشبابة ، وسائرهما لا يخلو من رواية ضعيف لا تقوم بروايته الحجة ورأيت فى بعضها رواية عطية العوفى عن ابن عباس عن طريق غير ثابت أيضا".

وذهب محمد بن طاهر القيسرانى الى أنه لا يصح الاحتجاج بذلك على تحريم الغناء والزمر.

ويذهب الى أنه قد ورد فى هذه الآية تفسير آخر يلزمهم قبوله على أصلهم وهو أن "لهو الحديث " هو اللعب والباطل وهذا التفسير أيضا لا يقبله ولا يلزمهم بقبوله لانه قد تحدث به محمد بن أبى الزعيزعة عن نافع عن ابن عمر أنه سمع النبى (ص) يقول فى قول الله عز وجل "ومن الناس من يشترى لهو الحديث" باللعب والباطل لانه لا يشق

---

(١) س لقمان ، آية ٦ .

فى رواية الزعيزعة ويقول "أنه ليس ممن أحتج به عليهم وانما أوردت ذلك التغير وهو مناقض لما أوردوه وتمسكوا به" (١).

وهو يرى أن ما صح عن عبد الله بن عباس أن أجمع أهل السنة على أن السنة تقضى على الكتاب وأن الكتاب لا يقضى على السنة (٢) بمعنى أن السنة تفسر الكتاب والكتاب لا يفسر السنة ، وقد جاءت السنة الصحيحة بأن النبى (ص) استمع الغناء وأمر باستماعه ، وأنكر على من أنكر ذلك .

---

(١) القيسرانى : السماع ، تحقيق أبو الوفا المراغى ص ٧٥ ، ٧٦.

(٢) أخرجه ابن عبد البر عن الأوزاعى قال : يحى بن أبى كثير : السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضيا على السنة" .وقال ابن عبد البر أيضا . قال الفضل ابن زياد سمعت أبا عبد الله (يعنى أحمد بن حنبل) وسئل عن الحديث الذي روى أن السنة قاضية على الكتاب . فقال ما أجسر على هذا أن أقوله : ان السنة قاضية على الكتاب ، اى ان السنة .. تفسر الكتاب وتبينه . أنظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، وأنظر أيضا محمد بن ظاهر السماع، تحقيق أبو الوفا المراغى ص ٧٦ .

ثم يورد جواب شان على من يحتج بهذه الآية على تحريم الغناء والمعازف يقول فيه ما نصه : "هل علم هؤلاء الصحابة الذين أوردتم أقاويلهم فى هذه الآية ما علمه الرسول (ص) أو لم يعلمه ؟ فان قالوا : لم يعلمه وعلمه هؤلاء ، كان جهلا عظيما بل كفرا ، وان قالوا: علمه : قلنا : ما نقل الينا عنه فى تفسير هذه الآية مثل ما نقل عن هؤلاء من الصحابة وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوزبحال بل أمحل المحال أن يكون تفسير قوله عز وجل "ومن الناس من يشترى لهوالحديث" هو الغناء ، ويقول رسول الله (ص) لعائشة رضى الله عنها: أما كان معكن من لهو فان الانصار يعجبهم اللهو"(١).

وفى رأيه أنه لو صح أن تفسير هذه الآية هو اللهو والغناء فكيف يصح أن يجوز الرسول (ص) سماعه ويسمح للمسلمات أن يغنين للجارية يوم عرسها. بل ويطلب ذلك من عائشة رضىالله عنها.

---

(١) قال أبو القاسم اسماعيل عن حمزه بن يوسف السهمى عن أبو أحمد عدى الحافظ عن أحمد بن موسى البزاز عن محمد بن سابق عن اسرائيل عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها زفت امرأة الى رجل من الانصار فقال النبى (ص) يا عائشة أما كان معكم من لهو فان الانصار يعجبهم اللهو" أخرجه البخاري فى صحيحه بشرح عمدة القارىء ج ٢٠ ص ١٤٩ .

ومن الصوفية الذين جوزوا السماع أبو بكر محمد الكلبازي ففى رأيه أن السماع استجمام من تعب الوقت وتنفس لأرباب الاحوال واستحضار الأسرار لذوي الأشغال. وأن الصوفية قد اختاروا الغناء على غيره مما تستروح اليه الطباع لان النفوس تسكن اليه.

والسماع عنده عندما يقرع الأسماع يثير كوامن الأسرار ، والسامع اما يطرب ولا يقوى على حمل الوارد ، واما يكون متمكن بقوة حاله (١).

كما أباح السماع من الصوفية العلامة النابلسى فى مصنفه "العقود اللؤلوية" وهو يرى أن السماع ينقسم الى ثلاثة أقسام حرام ومباح ومندوب . فمن كان يسمع ليرتاح الى معصية الله تعالى فسماعه حرام . ومن كان يسمع ليستدعى السرور فيتخلص من هم ويستجلب أنسا فسماعه مباح ، وذلك بشرط ألا ينطق عن الهوى وأن تكون نيته جلب السرور الى نفسه والترويح عنها وليس أثارة الشهوة والهوى والاعمال بالنيات وانما لكل أمرىء ما نوى . وليس لأحد أن يحكم على القلوب .

وهو يرى أن الذين ينكرون السماع يجهلون الاحكام وتحكمهم الجرأة فى القول بالحلال والحرام والحكم فى

---

(١) أنظر الكلبازي ، التعرف لمذهب أهل التصوف . تحقيق محمود أمين النواوي ، الطبعة الثانية ، ص ١٩٠ ، ١٩١ (القاهرة ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م).

الأمرين (أي الحلال والحرام) يتوقف على نص من الكتاب أو من كلام الرسول عليه السلام.

ويذهب النابلسى الى أن الحركة التى تقع من القوم فى مجالس الذكر تحدث اما من فرح بالله واما من خوف منه تعالى ، واما من نشأة سر هزها حب النبى صلى الله عليه وسلم وهى واردات سماوية وأحوال تنزيلية ولا يصح أن يزعم أن المهتز بالذكر يرقص ،وأن يفرق بين الوجد والطيش .

ويقول أن عبد الله بن جعفر سمع العود والأوتار وكذلك معاوية وعطاء والشعبى وجماعة من السلف الصالح.

ويروى أن أناسا شكوا رجل يجلس فى محرابه بعد صلاته ويترنم بشىء من الشعر ، الى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فسأله عن ذلك . فقال : نعم أقول كذا وكذا وذكر أبياتا تذكر الموت وتوبخ النفس على الغفلة فبكى عمر وردد البيت الأخير مع قائله وقال له وأنا أقول كذلك . فالسماع الذي يذكر بالله وينفى الغفلة عن القلب ويهذب النفس ويرتفع بها الى متابعة أهل الحق ويغرس فيها محبة الله تعالى ورسوله فهو مندوب ويستحب سماعه .

أما مجالس السماع التى تشتمل على الفحشاء والمنكر وتكون آلة للفسق والفجور والزنا والخمور فهذا منهى عنه ولا خلاف فى تحريمه وأما الكلمات التى تدل بمعانى لطيفة على الله وتجذب القلب اليه تعالى وتجعل السمع

متلذذا بمحبة الله ورسوله وأولياء الله فسماعه طاعة لا ريب فيها . وجعلها معصية لا يستند على أساس شرعى[(١)] .

ومن المفكرين المسلمين الذين أباحوا السماع ابن حزم الاندلسى (٣٨٤ هـ (٩٤٤م) - (٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) ومع اباحته السماع قال ان تركه أفضل كسائر لذات الحياة الدنيا التى أباحها الاسلام .

ويستند ابن حزم فى قوله باباحة الغناء الى النصوص القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة التى سبق ذكرها ومن رأيه أنه لا يحل تحريم شىء أواباحته الا بنص من الله تعالى أو من رسوله عليه السلام لانه اخبار عن الله تعالى ، ولا يجوز أن يخبر عنه تعالى الا بالنص الذي لاشك فيه [(٢)].

وابن حزم كغيره ممن أباحوا الغناء يشترط ألا يكون الغناء مثير للشهوات وألا يكون متعارضا بأي حال من الأحوال مع قواعد الشريعة الاسلامية وآدابها.

---

(١) أنظر - النابلسى - العقود اللؤلؤية - ولد النابلسى بدمشق سنة ١٠٥٠ وتوفى سنة ١١٤٣ هـ وكان من علماء اللغة والدين والتصوف وله نحو مائة مصنف فى الفقه والتوحيد والحديث .

(٢) رسائل ابن حزم ، ص ١٠١ .

ومن الأحاديث التى تجيز الغناء والتى ذكرها ابن حزم الحديث الذي رواه سفيان الثوري وشعبه أن أبا مسعود البدري وقراظه بن كعب وثابت بن زيد كانوا فى العريش وعندهم غناء وعندما أنكر عليهم البعض هذا ردوا قائلين بأن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام رخص لهم فى الغناء فى العرس والبكاء على الميت فى غير نواح وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لكل أمرىء ما نوى فاذا نوى المرء ترويح نفسه لتقوى على طاعة الله عزوجل فما أتى ضلاله (١).

وقد تصدى ابن حزم للرد على القائلين بتحريم السماع وذلك بالتشكيك فى صحة الأحاديث التى استندوا اليها ومن ذلك الحديث الذي رواه سعيد بن أبى رزين عن أخيه عن عائشة أم المؤمنين عن النبى صلى الله عليه وسلم "أن الله حرم المقينة وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع اليها" (٢) والذي سبق ذكره . يقول ابن حزم عن هذا الحديث أنه ذكر فيه سعيد بن أبى رزين عن أخيه وكلاهما لا يدري أحد من هما. (٣)

أما حديث معاويه الذي رواه كيسان مولى معاويه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن تسع منهن الغناء والنوح والتصاوير والشعر والذهب وجلود السباع والخز والحرير بأنه حديث ضعيف ذكر من رواته كيسان

---

(١) رسائل ابن حزم ، أنظر من ص ٩٨ - ١٠١ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) المرجع السابق ،ص ٩٨ .

ويتساءل ابن حزم من يكون كيسان هذا(١).

ومن الآيات القرآنية التى استند اليها من حرم السماع كقوله تعالى "ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل به عن سبيل الله" ، هذه الآية التى سبق ذكرها وقد فسر لهو الحديث الذي ذكر فيها بأنه الغناء يرى ابن حزم أن هذا تفسير باطل لم يثبت عن أحد من أصحاب رسول الله. ولان الله تعالى يقول : "ليضل عن سبيل الله " وكل شئ يضل الانسان عن سبيل الله ويفتنه فى دينه فهو اثم وحرام ، ولو كان ذلك شراء مصحف أو تعليم قرآن (٢) وليس الغناء فقط.

وانتهى ابن حزم الى أن كل ما لم يحرم بنص صريح فى القرآن والسنة فهو حلال ومن ذلك الغناء.

ومن بين من أشار اليهم الغزالى فى كتابه أحياء وعلوم الدين ممن أباحوا السماع أبو طالب المكى الذي نقل أباحة السماع عن بعض الصحابة فقال "سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر. كما سمع عبد الله بن الزبير والمغيره ابن شعبه ومعاوية وغيرهم"(٣) ويضيف أن

---

(١) ارجع الى رسائل ابن حزم ، ص ٩٨.

(٢) أنظر وسائل ابن حزم ص ٩٣ - ١٠١ ، وأنظر أيضا د. صلاح الدين بسيونى رسلان : الأخلاق والسياسة عند ابن حزم ص ٢٨٤ ، الى ص ٢٨٨.

(٣) أحياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٦٧.

الكثيرين من السلف الصالح قد فعل ذلك من الصحابة والتابعين باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الايام المعدودات التى أمر الله تعالى عبادة فيها بذكره كأيام التشاريق . وأن أهل المدينة لم يزالوا مواظبين كأهل مكة على السماع الى زماننا هذا (١).

ويشير الغزالى أيضا الى أنه قرأ فى بعض الكتب محاكيا عن الحارث المحاسبى وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصوفه وجده فى الدين وتشميره على حد تعبير الغزالى(٢).

ويروى الغزالى أن ثلاثة من الأصدقاء اجتمعوا فى مجلس السماع فأنكره أحدهم وهو أبو بكر بن داود فسأله صديقه عن رأيه فيمن أنشد بيت من الشعر أهو حرام؟ فقال ابن داود لا : قال : فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال : لا . قال : فان أنشده وطول وقصر الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه . قال : أنا لم أقوى لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين . وكان يخشى من ذلك أن يستدرجه صاحبه بهذا الاسلوب المنطقى الى أن يسلم باباحة الغناء وكف بذلك عن المجادلة فى هذا الأمر(٣).

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٦٧.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

وقد قيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون المصرى يستمعون . قال : وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير منى فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما أنكر اللهو واللعب فى السماع .

ولاشك أن حصر جميع من أباحوا السماع أو حرموه من علماء الدين والصوفيه ، أمر يكاد يكون مستحيلا وانما نكتفى بذكر هؤلاء محاولين الوقوف على رأي الغزالى فى الغناء وهذا ما سنتعرض له تفصيلا . بعد توضيح رد الغزالى على الامام الشافعى ومناقشة رأيه فى الغناء . وتعليقه عليه . ثم رده على حجج المائلين الى تحريم السماع لتوضيح موقفه ممن أنكروا السماع .

الفصل الخامس

رأى الغزالى فى السماع

---

١ - رد الغزالى على الشافعى .
٢ - رد الغزالى على حجج القائلين بتحريم السماع .
٣ - رأى الغزالى فى السماع وأدلته على اباحته .

الفصل الخامس

رأى الغزالى فى السماع

تمهيد :

أوضحنا فيما سبق أنه وجد اختلافا كبيرا حول موضوع السماع فكما رأينا أقره فريق من العلماء وجوزه ،وأنكره فريق آخر.

واعتبر الغزالى أن الوقوف فى حيرة وتردد بين القائلين بجواز السماع والقائلين بعكس ذلك أمر يجب أن يوضع له نهاية ففى رأيه أن فى الخبرة قصور ولابد من توضيح الأمور وبيانها للوصول الى الحق ولا يكون ذلك الا بالبحث فى مدارك الحظر والاباحة ومن ثم فقد بحث أمامنا الاحوال التى يباح فيها السماع والاحوال التى يحرم فيها وبينها واضحة.

وقد حاول الغزالى تقريب وجهات النظر بين المعارضين للسماع والمؤيدين له وكان يأمل أن يضع حدا لهذا الخلاف بعد أن يوضح الأمر ويبحثه ويدلى فيه بالحجج النقلية والعقلية ويقول "أعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع . ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص، أوالقياس على المنصوص ، وأعنى بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أو فعله . وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله ، فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه

قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقى فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات . ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك فى جوابنا على أدلة المائلين الى التحريم (١).

١ - رد الغزالى على الشافعى :

ناقش الغزالى رأي الشافعى فى السماع محاولا الرد عليه وتوضيح وجهة نظره فهو يرد على قول الشافعى أن من يواظب على السماع سفيه ترد شهادته ، وأن من يتخذ الغناء حرفة له لا تقبل شهادته أيضا. بأن السماع مطلوب ومباح فى حد ذاته غير أن الاكثار منه مكروه. وأن من يجعل السماع شغله الشاغل أو من يجعل الغناء حرفة له فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فى رأي الغزالى ، فالمواظبة على اللهو فى نظره جناية.

ويضرب الغزالى لذلك مثلا فيقول : "ان السماع مستحسن بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته فما أقبح ذلك فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة ، فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره" (٢). ويقول أيضا : "فان البيع حلال

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .

ويحرم بعارض الوقوع فى وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض والسماع من جملة المباحات من حيث أنه سماع صوت طيب موزون مفهوم وانما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته . فاذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا نبالى بمن يخالف بعد ظهور الدليل "(١). ففى رأى الغزالى أن الاستماع الى القصائد والالحان مباح ومستحسن بين تضاعيف الجد غير أن الاكثار منه والانغماس فيه أو احتراف الغناء أمر مكروه فسماع الصوت الطيب وهو يتغنى بكلام مفهوم على أنغام موزونه ليس محرما فى حد ذاته وانما يحرم لأسباب أخرى سيأتى الحديث عنها تفصيلا.

ويرى الغزالى أن مذهب الشافعى لم يحرم الغناء وانما هو يذهب الى أن من يتخذ الغناء حرفة له ترد شهادته لان الغناء من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل وأن من يتخذه صنعة كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروءة وان لم يكن ذلك محرما بين التحريم . وقد استدل الغزالى على ذلك بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان فى بيت عائشة رضى الله عنها والذي سبق ذكره .

ويرى الغزالى ان ما ذهب اليه الشافعى من أن السماع لهو مكروه يشبه الباطل هو قول صحيح غير أنه لهو غير محرم فان لعب الحبشه ورقصهم يعد من اللهو أيضا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ولايكرهه

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٨١ .

بل اللهو واللغو لا يؤخذ الله تعالى به ، ان عنى به فعل مالا فائدة فيه. فان الانسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه فى اليوم مائة مرة ، فهذا عبث لا فائدة له ، ولا يحرم . قال تعالى : "لا يؤخذكم الله باللغو فى أيمانكم"(١) فان كان ذكر اسم الله تعالى على طريق القسم من غير عقد عليه وتصميم والمخالفة فيه مع أن لا فائدة فيه ، لا يؤاخذ به . فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص "(٢).

والغزالى يتفق مع الشافعى فى أن الغناء لهو الا انه يرى أنه لهو غير محرم مثله كمثل ما لا فائدة فيه لا يحرم ولا يؤاخذ عليه.

وأما قول الشافعى "ان السماع مكروه" فالسماع فى رأي الغزالى مكروه فى بعض المواضع التى لا يستحب فيها الغناء وليس مكروها بصفة مطلقة . وتلك الأحوال التى يكره فيها الغناء ، سوف يتناولها الغزالى ويوضحها فيما بعد.

ويذهب الغزالى الى أن الشافعى قد يعنى بأن السماع مكروه أنه ينزل على التنزيه أي أنه مكروه لان لا يتفق مع تنزيه ذوي الدين ، ومثل السماع فى ذلك كمثل لعب الشطرنج ، فقد أباحه الشافعى ، وذكر أنه يكره كل لعب.

---

(١) س البقرة ، آية ٢٢٥ .

(٢) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .

وعلل ذلك بأنه ليس من عادة ذوي الدين والمروة .

وأما قول الشافعي برد شهادة المكثر من السماع أو الذي يحترف الغناء لا يدل أيضا على تحريمه في رأي الغزالي لان الشهادة ترد بأشياء كثيرة أخرى وغير محرمة كالأكل في الاسواق وكل ما يمس مروءة الانسان فهناك الكثير من الحرف والصنائع المباحة وليست من صنع ذوي المروءة فترد شهادة المحترف للحرفة الخسيسة مع أن هذه الحرفة غير محرمة . ولذلك فان الغزالي يعتقد أن أغلب الظن أن الشافعي أراد بالكراهة التنزيه . كما يعتقد أن هذا أيضا مراد كبار الأئمة . أما اذا أرادوا التحريم فان الغزالي قد بين لهم بالحجة والدليل الشرعي حل السماع كما سيأتي تفصيلا وقول الغزالي في ذلك :" وأما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التي ذكرتها لك أو ينزل على التنزيه فانه نص على اباحة ولعب الشطرنج وذكر أني أكره كل لعب وتعليله يدل عليه فان قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين والمروءة فهذا يدل على التنزيه . ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا ، بل ترد الشهادة بالأكل في السوق ، وما يخرم المروءة بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوي المروءة . وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة . فتعليله يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن أيضا بغيره من كبار الائمة . وان أرادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم "(١)

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

٢ - رد الغزالى على حجج القائلين بتحريم السماع :

أورد الغزالى فى معرض حديثه عن السماع ، الادلة والحجج التى استند اليها القائلين الى تحريم السماع وقد فند حججهم محاولا الرد عليها وموضحا أن سماع الغناء لم يحرمه الشرع تحريما صريحا بشكل مطلق لا جدال فيه وسيتضح لنا ذلك فيما يلى :

١ - سبق أن ذكرنا أن من ذهبوا الى تحريم السماع استدلوا بالآية الكريمة "ومن الناس من يشترى لهو الحديث "(١) وقد تبينا رد الصوفية على ذلك مثل محمد بن طاهر القيسرانى وغيره .

أما الغزالى فقد ذهب الى أنه ليس كل غناء بدلا عن الدين أو يشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى :

وأن أي شىء يضل عن سبيل الله فهومحرم بدون شك حتى ولو كان يقرأ القرآن ليضل به قارئه عن سبيل الله لكان فعله هذا حراما . ويقول الغزالى ما نصه "حكى عن بعض المنافقين أنه كان يؤم الناس ، ولا يقرأ الا " سورة عبس" لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهم "عمر" بقتله ، ورأى فعله حراما ، لما فيه

---

(١) أنظر ابن تيميه . مقدمة فى أصول التفسير - ومقدمة تفسير ابن كثير .

من الاضلال. فالاضلال بالشعر والغناء اولى بالتحريم"[(١)].

فالغناء الذي يضل عن سبيل الله محرما غير أن الغزالى يرى أنه ليس كل غناء يضل عن سبيل الله أو ينسى الانسان دينه ويبعده عن ربه . واذا كان ذلك كذلك فانه يمكن القول أن الغناء الذي يضل عن سبيل الله غناء محرما أما الغناء الذي لا ينتج عن سماعه الانصراف عن الدين أو الاضلال فهو ليس محرما . هذا ويجب ألا يكون سماع الغناء هو شغل الانسان الشاغل يقضى فيه جل وقته وانما يجب أن يكون السماع فى أوقات محدودة كنوع من الترويح عن النفس من كثرة الجد.

٢ - كذلك استدلوا من حرموا السماع بما روته عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "ان الله تعالى حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها"[(٢)]. والقينة المراد بها الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشراب .

ويرد الغزالى على ذلك بأن غناء الأجنبية للفساق ومن يخشى عليهم الفتنة حرام. والمقصود بالفتنة ما هو

---

(١) الغزالى : احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٢) أخرجه أحمد ابن حنبل ٢٠٧/٥ ، ٢٦٨ والحميدي فى مسنده ٤٠٥/٢ وابن ماجه ٧٣٢/٢ .

محظور . أما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث . بل أن سماع الجارية لغير مالكها عند عدم الفتنة لا يحرم . بدليل ما روى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضى الله عنها.(١)

٣ - واحتج من حرم السماع بقول الحق تبارك وتعالى "أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون "(٢) وقد أوضحنا أن ابن عباس فى تفسيره لهذه الآية الكريمة قال ان "السمد" هو الغناء بلغة حمير.

ويرى الغزالى أن هذه الآية الكريمة اذا كانت تحرم الغناء فلابد أنها أيضا تحرم الضحك وعدم البكاء لان الآية تشتمل عليهما وقطعا أن الضحك وعدم البكاء ليس محرما ، وبذلك يكون الغناء ليس محرما قياسا على ذلك. فان قيل : ان هذا يخص الضحك على المسلمين لاسلامهم ، وقد حرمته هذه الآية ، فهى بالتالى تحرم أشعارهم وغنائهم فى معرض الاستهزاء بالمسلمين . كما قال تعالى :"والشعراء يتبعهم الغاوون"(٣) وكان المراد بالشعراء ، فى هذه الآية .. شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر فى حد ذاته(٤).

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٢.

(٢) س النجم ، آية ٥٣ .

(٣) س الشعراء ، آية ٢٢٤ .

(٤) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

٤ - ومن بين الأحاديث الشريفة التى استند اليها فى تحريم السماع ما رواه "جابر" عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "كان ابليس أول من ناح وأول من تغنى"(١). وفى هذا الحديث جمع رسول الله بين النياحة وهى محرمة وبين الغناء وعليه فان الغناء محرما مثله فى ذلك كمثل النياحة سواء بسواء . ويرد الغزالى على ذلك بأن هناك من أنواع النياحة ما هو مستثنى وليس محرما. كنياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور.. والحزن والشوق حيث يباح ذلك . كما استثنى غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضى الله عنها. وغناء أهل المدينة عند استقبال الرسول مهاجرا اليها، بقولهم: طلع البدر علينا .... الخ.

٥ - ومن الأدلة التى استدل بها من حرم السماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه عنه أبو امامة وهو "ما رفع أحد صوته بغناء الا بعث الله

---

(١) يقول الغزالى حديث جابر "كان ابليس أول من ناح وأول من تغنى " لم أجد له أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طالب ولم يخرجه ولده فى مسنده.

شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك" (١)

ويرد الغزالى على من اتخذ هذا الحديث حجة لتحريم الغناء ، بأن التحريم ينزل على بعض أنواع الغناء، التى تحرك فى القلب ما هو مراد الشيطان ، من الشهوة وعشق المخلوقين . أما ما يحرك الشوق الى الله أو السرور بالعيد أو الفرحة بقدوم الغائب أو مولد الولد. فهذا كله ليس مراد الشيطان ولا يحرم .

ويستشهد الغزالى على صحة قوله هذا بحديث الجاريتين ورقص الحبشه وغيرها مما كان يحدث فى زمن

---

(١) رواه البخاري فى كتاب الصلاة ٨٣ ، والقدر ص ٧، والتوحيد ص ٣٤ ، كما رواه مسلم فى صحيحه كتاب الصلاة ص ١٤٥ ، وذكره أبو داود فى كتاب الصلاة ص ٢٨ ، ومناسك ص ٣٦ ، وذكره الترمزي فى كتاب الصلاة ص ٢٠٢ ، والجنة ص ٣٤ – وذكره النسائ فى الافتتاح ص ٤ – وذكره ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى ، كما ذكره الطيرانى فى الكبير – ويقول الغزالى أن هذا الحديث ضعيف .

أنظر احياء علوم الدين ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

الرسول ، وروى فى الصحاح[١] ويقول فى ذلك "فالتجويز فى موضع واحد نص فى الاباحة والمنع فى ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيل . أما الفعل فلا تأويل له . اذا ما حرم فعله انما يحل بعارض الاكراه فقط ، وما ابيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والمقصود"[٢].

٦ - ومن الاحاديث النبوية الشريفة التى استندوا اليها فى قولهم بحرمه السماع ما رواه عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "كل شئ يلهو به الرجل فهو باطل الا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته "[٣].

ويجيب الغزالى على ذلك بقوله أن قوله "باطل" لا يدل على التحريم ، بل يدل على عدم الفائدة ، وقد روى ذلك . الا أن النهى بالنظر الى رقص الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وهو ليس بحرام . فان غير المحصور يلحق

---

(١) حديث عائشة رضى الله عنها "رأيت النبى والحبشة يلعبون بحرابهم جاء فى البخاري فى كتاب الصلاة ص ٦٩ ، والعيدين ص ٨١ ، كما ذكره مسلم فى العيدين ص ١٩ ، ٢٢ - وأبو داود آداب ، ص ٥١ .

(٢) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

(٣) يقول الغزالى "ان هذا الحديث ذكره أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب .

أنظر : الاحياء ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

بالمحصور قياسا عليه كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاثة "(١). وهذا ليس على سبيل الحصر فانه يلحق به رابع وخامس. فملاطفة الزوج لزوجته لا فائدة لها الا التلذذ أو الحصول على متعة معينة ويمكن أن يقاس على ذلك التفرج على الحدائق والبساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات مما يلهو به الانسان، وهو غير محرم عليه، ويجوز وصفه بأنه باطل. ويقول امامنا في ذلك: "قلنا: فقوله باطل لا يدل على التحريم، بل يدل على عدم الفائدة. وقد يسلم ذلك. على أن التلهي بالنظر الى رقص الحبشة خارج عن هذه الثلاثة، وليس بحرام. بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا. كقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل دم امرىء مسلم الا باحد ثلاثة" فانه يلحق به رابع وخامس. وكذلك ملاعبة امرأته لا فائدة منها الا التلذذ. وفي هذا دليل على أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها، واذا جاز وصفه بأنه باطل "(٢).

وبذلك يكون السماع للغناء لهو لا فائدة منه. وهذا لا يعني أنه محرم لان هناك افعال كثيرة يقوم بها الانسان تعتبر لهو لا فائدة فيه كالتنزه في البساتين وسماع

---

(١) يقول الغزالي أن هذا الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود.

(٢) احياء علوم الدين، ج ٢، ص ٢٨٣.

أصوات الطيور والجلوس على الشاطئ وغيرها وجميعها لا يحرم . وان جاز وصفه بأنه باطل وكلها أفعال لا يجنى من وراءها فاعلها الا الترويح عن النفس وسماع الغناء يقاس عليها فهو أيضا فعل ما لا فائدة فيه . ثم علينا أن نتذكر أن للسماع آداب يشترط الالتزام بها . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسمع القصائد المغناه في أيام الأعياد والمناسبات ، وينظر الى رقص أهل الحبشة ولو كان فعله هذا محرما لم أقدم عليه .

٧ - كما احتج من آدعى حرمة السماع بقول عثمان بن عفان "ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١).

ويرد الغزالى على ذلك بقوله اذا كان التمنى ومس الذكر باليمنى حراما فيكون الغناء كذلك . وليس لدينا ما يثبت أن عثمان رضى الله عنه كان لا يمتنع الاعن الحرام فقط . وقوله فى ذلك : "قلنا فليكن التمنى ومس الذكر باليمنى حراما ان كان هذا دليل تحريم الغناء فمن أين يثبت أن عثمان رضى الله عنه كان لا يترك الا الحرام؟" (٢) واذا كان الامر كذلك فان قول عثمان يدل على عدم تحريم السماع وليس على تحريمه .

---

(١) أنظر سنن ابن ماجه ، طهارة ، ص ١٥.

(٢) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٣.

٨ - ومن بين ما استدل به على تحريم السماع قول ابن مسعود "أن الغناء ينبت النفاق فى القلب ، كما ينبت الماء البقل." (١) ونسب هذا القول الى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد شكك الغزالى فى صحة هذا الحديث . ومع ذلك لو فرض أن هذا الحديث صحيحا فان أمامنا يرد على من احتج به بأن النفاق يكون للمغنى فان غرضه أن يعرض صوته على غيره ، ويروج لجمال صوته . ولا يزال ينافق

---

(١) روى هذا الحديث عن ابن مسعود مرفوعا - كما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الملاهى قال :" اخبرنا ناعمة بن الفضل حدثنا حرمى بن عمارة حدثنا سلام بن مسكين حدثنا شيخ عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل" وقد قال أبو الحسن ابن المنادي فى كتاب أحكام الملاهى "حدثنا محمد بن على بن عبد الله ابن حمدان المعروف بحمدان الوراق حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا سلام بن مسكين. وذكر الحديث " فمداره على هذا الشيخ المجهول وفى رفعه نظر والوقوف أصح - أرجع الى ابن القسيم الجوزيه "حكم الاسلام فى الغناء" تحقيق أبو حذيقه ابراهيم بن محمد ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

ويتودد الى الناس ليرغبوا فى غنائه . وحتى وان كان الامر كذلك فهو لا يوجب تحريما. لان ما ينبت فى القلب النفاق والرياء أشياء أخرى كثيرة ،وهى غير محرمة . مثل لبس الثياب الجميلة ، وركوب الخيل المهملجة ، وسائر أنواع الزينة والتفاخر بما أنعم الله على الانسان من نعم الدنيا. فانها من المباحات التى يفعلها الانسان ليجذب نظر الآخرين ويبدو بينهم أرفع مكانة ، وأعظم مركزا. فهى تورث فى القلب النفاق . فليس ظهور النفاق فى قلب المرأ مقصورا على المحرمات فقط ، فهناك الكثير من المباحات تظهر النفاق . وقوله فى ذلك : "قول ابن مسعود رضى الله عنه". "ينبت النفاق فى القلب" أراد به فى حق المغنى فانه (أى الغناء) فى حقه ينبت النفاق . اذ غرضه أن يعرض نفسه على غيره ، ويروج صوته عليه . ولا يزال ينافق ويتودد الى الناس ، ليرغبوا فى غنائه . وذلك أيضا لا يوجد تحريما . فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والانعام والزرع وغير ذلك ، ينبت فى القلب النفاق والرياء ، ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله ، فليس السبب فى ظهور النفاق فى القلب المعاصى فقط، بل المباحات التى هى موضع نظر الخلق أكثر تأثيرا" (١).

ويستشهد الغزالى على صدق ما ذهب اليه من أن هناك أشياء كثيرة غير محرمة تنبت النفاق فى القلب . بأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قطع ذنب فرسه لأنه استشعر

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

فى نفسه العظمة والخيلاء لحسن مطيته ، حتى يزيل من نفسه هذا الشعور الذي ينبت النفاق فى القلب . ويقول الغزالى فى ذلك : "وكذلك نزل عمر رضى الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لانه استشعر فى نفسه الخيلاء لحسن مطيته فهذا النفاق من المباحات "(١).

وقد سبق ذكر تعليق بعض من أحلوا السماع على هذا الحديث .

٩ - وقد احتجوا أيضا على تحريم السماع بما حدث من على بن عمر بن الخطاب حينما مر على قوم يلبسون ملابس الاحرام وكان بينهم رجل يتغنى فقال : "لا أسمع الله لكم الا لا أسمع الله لكم"(٢)

ولا يرى الغزالى فى هذا القول لعلى بن عمر دلالة على تحريم السماع لمجرد أنه غناء ، بل لأنهم كانوا محرمين ، ولا يليق بهم أن يسمعوا من الغناء الا مايبعث على الوجد والتشويق الى زيارة بيت الله الحرام. وهو لم يجد فيما سمع من غناء ما يحث على ذلك ، وانما كان لمجرد اللهو وهو لا يصح فى هذه الحال لانه قد يثير شهوتهم وهم فى ملابس الاحرام حيث لا يليق بهم ذلك فأنكره عليهم. ويقول الغزالى : "وانما قول ابن عمر .... لا يدل على التحريم من حيث أنه غناء بل كانوا محرمين

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ولا يليق بهم الرفث . وظهر له من مخايلهم أن سماعهم لم يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله تعالى ، بل لمجرد اللهو ، فأنكر ذلك عليهم ، لكونه منكرا . بالاضافة الى حالهم وحال الاحرام وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال "(١)

ولا شك أن الغناء الذي يثير شهوة المحرم فى أيام الحج هو حرام ولا يليق بمن أتجه الى تلك البقاع الطاهرة ، والبيت الحرام ليؤدي فريضة الحج أن يستمع الى مثل هذه الاغانى وانما عليه أن يبقى نفسه فى حال روحانى خالص متوجها بكليته الى الله وهذا التحريم لا ينطبق على الغناء فى كل زمان ومكان ولا يوجب الاطلاق .

١٠ - واحتجوا على تحريم السماع بما رواه نافع أنه قال " كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى آذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أتسمع ذلك ؟ حتى قلت لا فأخرج أصبعيه وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع "(٢).

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) أنظر ابن ماجة كتاب النكاح ص ٢١ ، وكتاب الطهارة ص ٥٢ ، ومناسك ص ٤ - وذكره الدارمى فى كتاب الصلاة ص ٨ - وأحمد بن حنبل ص ٢ ، ٨ ، ٣٨ .

ويرد الغزالى على ذلك بأن سماع زمارة الراع ليس محرما ، ولو كان سماعها محرما لأمر نافع بأن يضع أصابعه فى أذنه هو أيضا. أو كان على الاقل ينكر عليه سماعه. وهو قد وضع أصابعه فى أذنه لأنه رأى أن ينزه سمعه وقلبه فى الحال عن صوت ربما يحرك فيه اللهو ويمنعه من فكر أو ذكر كان فيه . وكذلك فعل رسول الله وهذا لا يدل على التحريم ، وانما يدل على أن الاولى تركه .

والحقيقة أن أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها فى حاله تأثيرها على القلب بابعادها بينه وبين التفكر فى الله أو ذكره.

ويضرب الغزالى مثلا :(١) يوضح به أن ما يؤثر فى القلب ويشغله عن الله يحرم وان كان من الاشياء المباحة. فالرسول صلى الله عليه وسلم خلع ثوب أبى جهم الذى كان يرتديه أثناء الصلاة لما كان عليه من رسومات تشغله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة (٢). فهل وجود الرسومات أو الأعلام على الثوب حراما لانها قد تشغل من يرتديه عن الصلاة بلاشك أن وجودها ليس حراما وان كان يجدر بلابس الثوب ألا يتشاغل به أو ينظر اليه أثناء الصلاة. والا فالأولى به خلع هذا الثوب أثناء الصلاة.

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٤.

(٢) حديث خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبى جهم اذ كان عليه أعلام شغلت قلبه . اخرجه البخارى (باب الالتفات فى الصلاة)

ولا ريب أن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام عندما سمع مزمار الراع وسد أذنيه كى لا يسمعه كان فى حال لا تسمح له بسماع هذا الصوت ، فشغله صوت المزمار عن ذلك الحال ، كما شغلته الاعلام المرسومة على الثوب أثناء الصلاة . وان كان هذا كما سبق ذكره لا يعنى أن الاعلام التى على الثوب محرمة وقياسا عليه فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد سد أذنيه عن سماع المزمار حتى لا يشغله عن حاله فهذا أيضا لا يعنى أن السماع محرما (١) .

وحقيقة الأمر عند الغزالى أن الحاجة الى السماع لاستثارة الوجد والاحوال الشريفة ، نوع من القصور فالصوفى المتحقق فى نظره دائم الشهود للحق وليس فى

---

(١) يذهب ابن حزم الاندلسى فى حديثه عن الغناء أن هذا الحديث يويد حل السماع لانه لو كان حراما ما أباح رسول الله لابن عمر سماعه ولا أباح بن عمر لنافع سماعه . ولكنه عليه السلام كره لنفسه كل شىء ليس فيه تقرب الى الله وأنه بعث عليه السلام ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولو كان سماع الغناء حراما لما اقتصر عليه السلام أن يسد أذنيه عنه دون أن يامر بتركه وينهى عنه . فلم يفعل عليه السلام شيئا من ذلك بل أقره وتنزه عنه فصح أنه مباح .

ارجع الى رسائل ابن حزم ص ٩٨ - ١٠١ .

حاجة الى السماع ليستثير به وجده ، ولذلك قال الحصرى "وماذا أعمل بسماع منقطع اذا مات من أسمع منه"(١) والأنبياء عليهم السلام ليسوا فى حاجة الى اصطناع الوجد بالسماع لان لهم سماع من الله تعالى وهم دائما يستمتعون بلذة السمع والشهود. ولذلك فان الرسول عليه السلام عندما سمع مزمار الراع لم يرغب فى سماعها فهو فى وجد دائم (٢).

ومن الأقوال التى احتج بها من حرم السماع قول الفيض بن عياض "الغناء رقية الزنى" وقولهم "الغناء رائد من رواد الفجور" وقول يزيد ابن الوليد" اياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعل السكر ، فان كنتم لابد فاعليه فجنبوه النساء فان الغناء داعيه الزنا" (٣).

ويرد الغزالى على هذه الأقوال بأن السماع الذى تنطبق عليه هذه الاحكام هو سماع الفساق والشباب الذين يلهيهم سماع الغناء عن أمور الدين ،ويثير فى نفوسهم

---

(١) أنظر الاحياء ، ج ٢ ، ص ٢٨٤.

(٢) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٤.

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة ـ حديث اياكم والغناء فانه ينقص الحياء ..... الخ" رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الملاهى وابن كثير فى البداية والنهاية ١٠/١٦ عن ترجمة يزيد بن الوليد.

الشهوة ، بدلا من الوجد والحضور مع الله . فهذه الأحكام ليست عامة أو مطلقة على جميع أنواع وأحوال السماع ، ولو كان الامر كذلك ما سمع رسول الله غناء الجاريتين فى بيته . ويقول الغزالى: "أما قول الفضل هو رقبة الزنا وكذلك ما عداها من الأقاويل القريبة منه فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجارتين فى بيت رسول الله"(١).

وقد وصفوا السماع أيضا بأنه لعب ولهو لا يليق بذوي الدين .

ويرد الغزالى على ذلك بقوله : "لو كان الغناء لعب ولهو فالدنيا كلها لعب ولهو فقد قال عمر بن الخطاب لزوجته " انما أنت لعبة فى زاوية البيت" وجميع الملاعبة مع النساء لهو الا الحراثة التى هى سبب الولد" (٢)

وأمامنا يرى أن الدنيا ما هى الا لعب ولهو وأن المزاح واللهو الذي لا فحش فيه حلال ويقول ان ذلك قد نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضى الله عنهم (٣).

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٤.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

فحقيقة اللهو المشروع ، أنه مرح للقلوب وتخفيف للأعباء والفكر الذي يثقل القلب . والقلوب دائما في حاجة الى ما يروح عنه بين الحين والآخر ما يعلق بها من هموم وأعباء ثقيلة . وفي اللهو عون للقلوب على مواصلة الجد ، وتجديد النشاط . فالقلوب ينبغي ان يتجدد نشاطها لمواصلة التعبد بالصلاة في سائر الأوقات ، والتقرب الى الله بالنوافل وغيرها من الاعمال الجادة . ولا يمكن - في رأي الغزالي - لغير الانبياء والرسل من الاستمرار في الحياة الجادة ، دون التخفيف والترويح ببعض اللهو المشروع ، والا ملت القلوب وعجزت عن المواصلة والمواظبة . ويقول الغزالي : "فالمواظبة على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن تتعطل في بعض الأوقات ، ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات ، فالعطلة معينة على العمل ، واللهو معين على الجد ، ولا يصير على الجد المحض والحق المر الا نفوس الانبياء عليهم السلام ، فاللهو دواء القلوب من داء الاعياء ، والملل ، فينبغي أن يكون مباحا ولكن لا ينبغي أن يستكثر من الدواء" (١).

ويذهب الغزالي الى أن اللهو الكثير يصرف الانسان عن الجد ، والعمل ، والتقرب الى الله ، ولذلك فان السامع الذي لا يحرك السماع من قلبه صفة محموده ، ولا يطلبه الا لمجرد اللذة والاستراحة المحضة ، فينبغي الا ننكر عليه فقد يتوصل بالسماع الى شئ محمود ، وان كان في ذلك دون شك نقص ، وان دل على شئ فانما على أن السامع في هذه الحال لا يكون قريبا من ذروة الكمال

---

(١) الأحياء ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤.

فالكامل هو الذى يروح عن نفسه بالحق وليس بغير الحق فهو لا يحتاج الى غيره لكمال أخلاقه . ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين" (١).

ويتفق الغزالى فى ذلك مع السهروردي الذي يرى أن اللهو اذا طلب للترويح عن النفس وكان ذلك فى حدود الشرع لا يكون محرما. فاذا كان السماع لهوا فهو لهو محمود اذا قصد للترويح عن القلب ويقول السهروردي " أن الانسان بطبيعة تكوينه المختلف الجوانب وتنظيم خلقه المتنوع بتنوع أصول خلقته لا يستطيع أن يداوم على الجد الصرف ، فيجب أن يروح عن نفسه ، بين الحين والآخر بسماع الألحان . على أن يكون فى ذلك ملتزما بالاداب الشرعية وليس فى ذلك خروج على حرمة الدين فلو كانت الحياة كلها جد لسادها الملل" (٢).

ويوضح امامنا كيف أن من له دراية بعلم النفس ، يعرف أن التلطيف والتخفيف بأنواع اللهو المباح كالسماع وغيرها علاج للقلوب مما يعلق بها من كثرة الجد والعمل ، ومجدد لنشاطها ، حتى تستطيع المواصلة والاستمرار. ولا ضرر منه البتة بين الحين والآخر. قال تعالى:"ولاتنس نصيبك من الدنيا" (٣) فاذا ظلت حياة الانسان على وتيرة واحدة هى الجد المحض دعى ذلك الى الملل والكلل . أما أن يدخل قليلا من المرح المباح أو اللهو المباح بين جادة حياته ، فهو أمر محمود لا حرمة فيه ويقول

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٤.
(٢) عوارف المعارف بهامش احياء عليوم الدين ج٢،ص ٢٣٩.
(٣) س القصص آية ٧٧ .

الغزالى : "ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها الى الحق ، علم قطعا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه "(١)

والغزالى فى ذلك يتفق وأبو بكر الكلبازي الذي يرى أن السماع استجمام من تعب الوقت وتنفس لأرباب الأحوال وانه اختير على غيره مما تستروح اليه الطباع لبعد النفوس عن التشتت به والسكون اليه (٢).

واذا ما انتهينا من رد الغزالى على حجج المائلين الى تحريم الغناء علينا أن نعرض رأي الغزالى الخاص فى هذا الأمر.

وأود أن أشير الى أن اختلاف وجهات النظر حول السماع ما بين محلل ومحرم واستناد كل فريق على الأدلة والحجج النقلية ، لا يعنى هذا أن تلك النصوص متناقضة . فالنصوص النقلية من الكتاب والسنة ثابتة لا تتغير، ولا تناقض بينها. وانما التناقض والاختلاف هو فى نظرة كل فريق الخاصة الى الغناء. فمن يرى منهم أن الغناء لا يتفق مع وقار الدين وجلال العبادات/أنكره ورأى فيه محركا للشهوة وشاغلا عن الله ومن هنا جد أصحاب هذا الرأي الى ايجاد ما يويدمذهبهم فى تحريم الغناء واولوا النصوص بما يتفق مع رأيهم .

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٤.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف للقلبازي. تحقيق د.عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور ص ١٦١.

أما من لم يجد فى الغناء شاغلا عن الدين ووجد فيه وسيلة لترقيق القلب ـ وخاصة ما يبعث منه على الزهد والحكمة ـ كما وجد فيه ترويح للانسان من كثرة الجد . فمال الى اباحته . ان لم يكن فيه ما يخالف الشرع . وهؤلاء بدورهم جاهدوا فى سبيل اثبات صحة رأيهم ويستندون على ما يدعمها من الكتاب والسنة ويأولون النصوص الدينية بما يتفق ومذهبهم .

وكثيرا ما يكون النص واحدا ويتخذه كل فريق دليلا يبرهن به على صدق ما ذهب اليه ، ويفسره بما يدعم رأيه وان استدعى ذلك أن يحمل النصوص من المعانى أكثر مما تحتمل . ولا أدل على ذلك من حديث الجارتين اللتين كانتا تغنيان بغناء الاعراب فى بيت رسول الله عند عائشة فى حضرة الرسول . وقد رأينا كيف اتخذ كل من الفريقين (من حرم السماع ومن أباحه) هذا الحديث حجة على صدق رأيه يحتج بها على الفريق الآخر، فالاختلاف واقع فى التأويل والتفسير للنصوص الدينية بحسب اختلاف المذاهب والآراء وهذا ما سيتضح لنا اذا دققنا النظر فيما استند اليه كلا الفريقين من أدلة وفى رد كل فريق على حجج الفريق المخالف .

٣ ـ رأي الغزالى فى السماع وأدلته على اباحته :

لعله قد بدى لنا أن الامام الغزالى مال الى اباحة السماع وقد حاول اثبات حله مستندا فى ذلك على الحجج النقلية والعقلية فهو يرى أن النص والقياس قد

دلا على اباحته (١).

ولكى يثبت الغزالى جواز السماع مستخدما القيــاس ذهب الى أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى افرادهــا وهى : سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلــبة فالوصف الأعم ان الغناء صوت طيب .

والطيب ينقسم الى : الموزون ، وغير المـــوزون والموزون ينقسم الىمفهوم كالأشعــار والى غير مفهـــوم ،

---

(١) الغزالى : احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ وهذا المنطق للغزالى يتفق مع ما ذهب اليه الطوس حيث قال: "ما يدل على تحريم السماع نص ولا قيـــاس وقال لا وجه لتحريم سماع صوت طيب ، فاذا كـــان موزونا فلا يحرم أيضا . واذا لم يحرم الاحاد فلايحرم المجموع . فان أفراد المباحات اذا اجتمعت كـــان المجموع مباحا . ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شئ محظور حرم نشره ونظمه . وحرم التصويت به - ويرد ابن الجوزيه على ذلك فى كتابـــــه "تلبيس ابليس" ص ٢٤٥ بقوله :"وقد احتج لهــــم أبو حامد الطوسى بأشياء نزل فيها عن رتبته عـــن الفهم مجموعها انه قال : ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس وجواب هذا قد أسلفناه ، وقال : لا وجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزونا لا يحـــرم أيضا واذا لم يحرم الآحاد فلا يحرم المجموع . فـــان أفراد المباحات اذا اجتمعت كان المجموع مباحا =

كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات .

وسماع الصوت الطيب من حيث أنه طيب لا يجب أن يحرم بل هو كما يقول شيخنا حلال بالنص والقياس .

أما القياس فهو أنه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك الاصوات الجميلة ، والنغمات الرخيمة . وللانسان حواس خمس الى جانب العقل ولكل حاسة منها ادراك خاص بها . ومن مدركات كل حاسة ، ما هو جميل يستلذ به . فلذة النظر فى أن يرى مبصرات جميلة ، كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن ، وسائر الالوان الجميلة . ويكره أن يرى مبصرات قبيحة . كذلك فان الشم يستلذ الروائح الطيبة الزكية ، ويكره الروائح الكريهة . والذوق يستلذ الطعوم اللذيذة ويكره ماعدها من الطعوم المرة المستبشعة . واللمس يستلذ الملمس الناعم اللين ويكره الملمس الخشن . وكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم

= قال : ولكن بنظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شيء محظور حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به : قال: ابن الجوزي : وأنى لأتعجب من مثل هذا الكلام فان الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب ، فاذا اجتمعا وضربا بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج . وكذلك ماء العنب جائز شربه واذا حدثت فيه شدة مطربه حرم . وكذلك هذا المجموع يوجب طربا يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك. ارجع أيضا الى حديث الطوسى عن السماع فى كتابه اللمع .

الى مستلذ كصوت تغبريد الطيور ، وصوت الموسيقى، ومستكره كنهيق الحمير ، وغيرها من الأصوات المنكره .

فما وجه الحرام فى أن حاسة السمع تستمتع بالأصوات الجميلة كغيرها من الحواس الأخرى . فاذا قلنا أن شم الروائح الجميلة ليس حراما وتذوق الطعوم اللذيذة ليس حراما فكذلك سماع الغناء والأصوات الجميلة بالقياس اليها ليس حراما أيضا.

ومما ويستدل به الغزالى علىحل سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به اذ قال تعالى "يزيد فى الخلق ما يشاء" (١). وقيل هو الصوت الحسن كما سبق أن ذكرنا . كذلك فى الحديث الشريف "ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت "(٢) وقال صلى الله عليه وسلم "لله أشد آذنا للرجل الحسن الصوت يتغنى بالقرآن من صاحب الفينه الى فينته "(٣) وصيغ تلك الأحاديث قد سبق ذكرها.

واستدل بقول الله تعالى : "ان انكر الأصوات لصوت الحمير "(٤) وهذه الآية الكريمة فى رأي الغزالى تدل فى مفهومها على مدح الصوت الحسن .

---

(١) س خاطر ، آية ١ .
(٢) رواه الترمزي ، أنظر أحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٦٩.
(٣) سبق تخريج الأحاديث .
(٤) س لقمان ، آية ١٩ .

ويرد الغزالي على من قال أن سماع الصوت الحسن يجوز في التغني بالقرآن فقط أما التغني بغير القرآن من شعر وغناء فهو حرام يرد بأنه اذا كان ذلك حراما للزم أن يكون الاستماع الى صوت العندليب وغيره من الطيور ذات الصوت الحسن حرام وهذا غير معروف شرعاً. فان الاستماع الى أصوات تغريد الطيور جائز لا حرمة فيه مع أن تلك الاصوات على جمالها غير مفهومة فاذا جاز لنا سماع الاصوات الجميلة الغير مفهومة جاز لنا سماع الأصوات التي تتغنى بالعبارات المفهومة وذلك لكونها مفهومة من ناحية ولابد ان بها حكمة من ناحية أخرى. ويقول الغزالي في ذلك : "ان جاز أن يقال انما ابيح ذلك (بقصد التغني بالصوت الحسن) بشرط أن يكون في القرآن. للزم أن يحرم صوت العندليب لانه ليس من القرآن واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلما لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة "(١)

والأصوات الموزونة أو التي لها نغمة موسيقية خاصة يمكن أن تصدر عن ثلاثة مصادر : فهي اما أن تصدر عن جماد كصوت الآلات الموسيقية ، كالمزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيرها. واما أن تخرج من حنجرة طائر كصوت العندليب والكناري والطيور ذات الصوت الجميل الموزون المتناسب المطالع والمقاطع مما يجعل أصواتها ممتعة ومستحبة. واما ان تصدر من انسان.

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٦٩.

وفى الحقيقة أن أصوات الآلات الموسيقية مستمدة أساسا من الاصوات العذبة الطبيعية التى هى من خلق الله . والتى تصدرها الطيور المفردة ووضعت الالآت الموسيقية على شاكلتها ، وفى ذلك محاكاه الصنعة الانسانية للخلقة الربانية وفى ذلك يقول الغزالى : "وضعت المزامير على أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة . وما من شئ توصل أهل الصناعات بصناعاتهم الى تصويره الا وله مثال فى الخلقة التى استأثر الله تعالى باختراعها ، فمنه تعلم الصناعة . وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول فسماع هذه الاصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة ، وموزونه فلا ذاهب الى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور . ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغى أن يقاس على صوت العندليب الاصوات الخارجة من سائر الاجسام باختيار الآدمى كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيرها . ولا يستثنى من ذلك الا الملاهى والأوتار ، والمزامير التى ورد الشرع بالمنع منها"(١)

---

(١) احياء علوم الدين، ج ٢، ص ٢٦٩ : قال ابن عقيل: الاصوات على ثلاثة ، اضرب محرم ومكروه ومباح . فالمحرم الزمر والناي والسرنا والطنبور والمعزفه والرباب وما ماثلها ونص الامام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك وكذلك الجنك فهو محرم والقضيب فيه قولان واما المباح فهو الدف قال عنه أحمد بن حنبل أرجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس . أنظر تلبيس ابليس لابن الجوزي البغدادي ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦.

ويذهب الغزالى الى أن الأوتار والمزامير التى نهى الشرع عنها ليست لما تبعثه من لذه للانسان الذي يستمع الى الاصوات الصادرة عنها. فلو كان الشرع قد حرمها للذتها لقيس عليها كل ما يلتذ به الانسان من أصوات جميلة ولكنها حرمت لأنها شعار أهل الشراب . ففى مجالس الخمر ، كانوا يعزفون للجالسين بالأوتار والمزامير حتى تكتمل نشوتهم فهى محرمة تبعا لتحريم الخمر وذلك لثلاث أسباب ذكرهم امامنا

الأول : انها تدعو الى شرب الخمر أو توحى به لأن اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر . ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حريم . والسبب الثانى : انها فى حق من ترك شرب الخمر منذ فترة قصيرة تذكره بمجالس الأنس والشراب فهى سبب للتذكرة وسبب انبعاث شوق عنده. واذا قوى انبعاث الشوق وضعف الانسان ومال مع الهوى قد يعود الى الشرب مرة ثانية ويقول الغزالى :"ولهذه العلة نهى عن المزفت والحنتم والنفير"(١) وهى جميعها آلات للعزف كانت تستخدم فى مجالس الشراب ، وارتبطت بها ، ونهى عنها ، لانها تدعو الى التذكير والتشويق الى الخمر عند من ألف سماع الموسيقى الصادرة منها مع الشراب .

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

وهذا ما يسمى فى علم النفس بالارتباط الشرطى أو الفعل المنعكس الشرطى وفيه تحدث عملية ترابط بين المنبه والاستجابة ووظيفة الاستجابة الشرطية هى التوقع والاستعداد للقيام بالعمل (١) ، وفى حالتنا هذه يقترن صوت الموسيقى الصادرة عن آلات العزف السالفة الذكر بجلسة الندماء فى مجلس الشراب فاذا سمع من امتنع عن الشراب هذه الموسيقى التى أرتبط سماعها بشربه للخمر ، قد تذكره به أو تدعوه للعودة اليه ولذلك كان من الأفضل الا يسمع تلك الموسيقى حتى يسد على نفسه هذا الباب ٠

والسبب الثالث : هو عدم التشبه بأهل الفسق الذين اعتادوا سماع هذه الآلات فيجب عدم التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم ويقول الغزالى "لما صارت من عادة أهل الفسق فيمتنع من التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم٠ وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب " الكوبة " وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو"(٢)٠

---

(١) ارجع الى د٠ يوسف مراد ،مبادىء علم النفس العام ص ٢١٢ - ٢١٤ ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٢٠

(٢) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ ٠

والحقيقة ان مجالس الشراب اليوم وهى تتمثل فى دور الملاهى الليلية وما شابه ذلك تعزف فيها الموسيقى على جميع الالات الموسيقية المعروفة فى عصرنا . ولم تعد مجالس الشراب تختص بنوع او انواع بعينها من الات العزف دون سواها . فلا يمكننا ان نحرم الات معينة ونحلل ما عداها . وانما يحل للمسلم ان يستمع الى الموسيقى للاستمتاع بالنغمات وان يتجنب سماع الاغنيات الساقطة سواء كانت بالعربية او بلغات اخرى والايتشبه الشباب المسلم بمن يرى ويسمع من اصحاب الفرق الغنائية الموسيقية الاجنبية وانما عليه ان يلتزم باداب الاسلام فى مظهره ويتجنب ما يشعر من داخله انه لا يتفق معها .

وبعد ان ينتهى الغزالى من الحديث عن الاصوات الموزونة التى تصدر من الالات الموسيقية وهى الشطر الاول من الغناء ينتقل الى الحديث عن الشطر الثانى وهو الشعر او الكلمات المغناه المفهومة المعنى وهى الاصوات الموزونة التى تخرج من حنجرة الانسان وهى مباحة لانها كلام مفهوم موزون . والمفهوم الموزون من الكلام لا يحرم الا اذا كان يتضمن مفردات مخالفة للشرع . ولا شك ان الالفاظ المحظورة يحرم النطق

بها سواء كانت نثرا ام شعرا وقول الغزالى فى ذلك "والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الاحاد فمن اين يحرم المجموع. نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور حرم نثره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بالالحان او لم يكن"(١).

وهذا القول للغزالى يشبه ما قاله الامام الشافعى فى الشعر حيث قال: " الشعر كلام حسن وقبيحه قبيح. ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت والحان ،جاز انشاده مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت ،كان ذلك المجموع مباحا ومهما انضم مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الاحاد(ولا محظورها هنا) وكيف ينكر انشاد الشعر. وقد انشد الشعر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم " ان من الشعر لحكمه "(٢).

والغزالى كما نرى يستدل على حل الشعر بقاعدة فقهية هى ان افراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا لا يحرم الا اذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٢) المرجع السابق،ج ٢،ص ٢٧١- حديث انشاد الشعر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث ابو هريره وحديث ان من الشعر لحكمه من حديث ابى كعب وقد ورد فى البخارى ومسلم .

الآحاد . ولما كانت مفردات الشعر هو العبارات المفهومة الموزونة التى ليس فى معناها ما يخالف الشرع فهو جائز شرعا.

ويرى الغزالى ما هو جائز بغير الحان جاز انشاده بالألحان أيضا ولا حرمة فى ذلك ويقول الغزالى : ان عائشه رضى الله عنها قد أنشدت الشعر فى قولها :

"ذهب الذي يعاش في أكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الأجرب "(١)

وروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضى الله عنهما وكان بها وباء فقلت يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ فكان أبو بكر رضى الله عنه اذا أخذته الحمى يقول :

كل أمرىء مصبح فى أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

الا ليت شعري هل أبيتن ليلـــة
بواد وحولى اذخر وجليـــل

وهل أردن يوما مياه مجنـــة
وهل يبدون لى شامة وطفيـــل

قالت عائشة رضى الله عنها فاخبرت رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم فقال : "اللهم حبب الينا المدينة كحبنـــا مكة أو أشـــد."(١)

ويذكر الغزالى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان ينقل مواد البناء مع القوم لبناء أول مسجـــد فى الاسلام بالمدينة المنورة وهو يقول :

هذا الحمال لا حمال خيبـــر
هذا أبر ربنا وأطهـــر

كما كان يقول صلى الله عليه وسلم :

---

(١) حديث عائشة ورد فى الصحيحين البخاري ومسلم لكـــن أصل الحديث والشعر عند البخاري فقط وليس عنـــد مسلم . أنظر احياء علوم الدين للغزالى ، ج ٢ ، ص ٢٧١.

لا هم ان العيش عيش الآخـــــرة
فـارحم الانصـــار والمهاجـــرة (١)

وقد جاء فى صحيح البخاري حديث لرسول الله صلـــى الله عليه وسلم يفيد أنه صلى الله عليه وسلم كان يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه يفاخر عن رسول اللـــه وينافح ويقول الغزالى أنه حديث حسن صحيح بسند متصـــل الى عائشة رضى الله عنها. (٢)

وقد أنشد النابغه شعره لرسول الله عليه الصـــلاة والسلام فقال له "لا يفضض الله فـاك" (٣)

وقد روى مسلم فى صحيحه عن عمر بن التشريد عـــن أبيه قال : "أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائـة قافية من قول أمية بن أبى الصلت كل ذلك يقول فيـــه : "هيـه . هيـه" ثم قال إن كاد فى شعره ليسلم" (٤) وهـــذا

---

(١) هذا الحديث جاء فى الصحيح البخاري وصحيح مسلـــم والبيت الأول انفرد به البخاري فى قصة الهجرة مـن رواية عروة مرسلا وفيه البيت الثانى أيضا الا أنــه قال "الاجر" بدل العيش والبيت الثانى فى الصحيحين من حديث أنس وهو بيت غير موزون.

(٢) احياء علوم الدين للغزالى ، ج ٢ ، ص ٢٧١.

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) يقول ابن الجوزي فى هذا الموضوع كيف يحتج علـــى جواز الغناء بانشاد الشعر وما مثله الا كمثـل =

وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع الشعر ولا يحرم سماعه (١).

وجاء فى الصحيحين عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحدى له فى السفر أي كان المغنّى يغنى لجماله أثناء سفره فى الصحراء وكان انجشه يحدو بالنساء وكان البراء إبن مالك يحدو بالرجال" (٢) ولا يزال الغناء للابل أثناء سفرها من عادة العرب والحداء ما هو الا أشعار مغناة تؤدي بأصوات جميلة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة انكارها ويقول الغزالى "ربما كانوا يستحسنون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث أنه كلام مفهوم مستلذ يؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة" (٣).

(٤) النظر فى السماع من حيث أنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه :

ان النغمات الموسيقية المختلفة لها تأثيرات متنوعة على سامعيها ، فنغمة تثير الحزن وأخرى تثير الضحك

= من قال يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره أو قال يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه فى يومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام وقد نسى أن انشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء.

(١) أنظر احياء علوم الدين ، ج ٢ ص ٢٧١.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وثالثة تثير العواطف ... الخ ، فتختلف الانفعالات باختلاف النغمات ويرى الغزالى أن ذلك من الأسرار الالهية فهو سبحانه وتعالى قد أوجد علاقة بين النغمات والأصوات الموزونة وبين الأرواح فجعل لكل نغمة انفعال خاص فى الروح فنغمة تثير انفعال الفرح والبهجة وأخرى تبعث على النوم وأخرى تثير الحماس ومن النغمات الموزونة ما يبعث فى أعضاء الجسم حركات باليد أو الرأس أو الرجل على وزن هذه النغمات .

وقد يسمع الانسان أصوات ونغمات موزونة عذبة ، فيطرب لها دون أن يكون متفهما لمعناها ، وهذا مايحدث عندما يسمع الانسان أغنيات بلغات لا يعرفها ويطرب لسماعها وتثير وجدانه وتحرك روحه لان الذي يؤثر فيه هو جمال الصوت وعذوبة النغمات وليس معانى الكلمات. ويقول فى ذلك : " لله تعالى سر فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى أنها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغى أن يظن أن ذلك لفهم معانى الشعر بل هذا جار فى الأوتار ، حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج"(١)

---

(١) احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣ .

ولا أدل على أن النغمات العذبة والاصوات الجميلة تؤثر فى الارواح حتى وان لم تكن مفهومة مما يحدث للطفل الرضيع فى مهده اذا سمع صوت غناء أو موسيقى فانه يتنبه له ويطرب ويكف عن البكاء وينصت للصوت واذا سمع صوت مزعج فان ذلك يثير بكائه وضيقه .

اذن الاصوات الحسنة والنغمات الطيبة لها تأثير فى القلوب والارواح ملموس كما أوضحنا ذلك ومن لم يتأثر بها فهو انسان بعيد عن الروحانية أو كما يقول الغزالى : "من لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد فى غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فان جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة "(١)

ويرى أمامنا أنه مهما كان للسماع من تأثير فى القلب فاننا لا نستطيع أن نحكم باباحته أو تحريمه بشكل مطلق لان السماع يختلف حسب الاحوال التى يقال فيها ويختلف بحسب الاشخاص الذين يسمعون كما يختلف أيضا باختلاف النغمات . فحكمه حكم ما فى قلب السامع ويقول شيخنا : "ومهما كان النظر فى السماع باعتبار تأثيره فى القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا باباحة أو تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والاشخاص واختلاف طرق النغمات

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

فحكمه حكم ما فى القلب "(١)

وقد أحصى الغزالى المناسبات التى يكثر فيها الغناء ، والمشاعر التى تثيرها فى السامعين فقال : "أن التغنى بالأشعار والقصائد والكلمات الموزونة والمسجوعة معتاد فى مواقع لأغراض مخصصة ترتبط بها آثار فى القلب "(٢) وهذه المواقع سبعة ذكرها كما يلى :

(١) غناء الحجيج :

وهو عبارة عن أشعار نظمت فى وصف الأماكن المقدسة التى يعمرها حجاج البيت الحرام • وتغنى على نغمات الطبول والشاهين • والهدف منها تشويق المسلمين الى حج بيت الله الحرام ، واشعال نار الشوق الى أداء مناسك الحج •

وهذا الغناء فى رأي الغزالى غير محرم لان التشويق الى الحج محمود وما يؤدي الى هذا التشويق محمود • فكما يجوز للخطيب أن يحبب الناس فى الحج ويشوقهم اليه بخطبة يستخدم فيها السجع والكلمات المنمقة والعبارات البليغة • فكذلك يجوز لغيره أن يفعل ذلك بكلمات موزونة ولاشك أن الشعر بما يحمله من نغمات وموسيقى يكون له واقع أعظم فى نفس السامع فاذا كان الشعر مضافا اليه

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٣•

الطبل والشاهين وحركات الايقاع زاد التأثير. وفى نظر أمامنا أن كلها وسائل جائزة بشرط ألا يكون المزمار والآلات الوترية مستخدمة فى العزف أثناء الغناء، وذلك كما سبق أن أوضحنا لانها كانت تستخدم فى مجالس الشراب .

وعلى الرغم أن التشويق الى الحج بالغناء ليس محرما كما يقول الغزالى فانه لم يطلق هذا الحكم وانما قيده ورأيه هذا يتمشى تمشيا منطقيا مع قوله السابق بأنه لا يجوز القول بحل السماع أو حرمته بشكل مطلق ، بل أن لكل حال حكمه الخاص . فاذا كان الغناء لتشويق من حرم عليه الخروج للحج لانه لا يجوز له الخروج لأي سبب من الأسباب ، كمن لم يأذن له أبوه بالحج وهو دون البلوغ فتشويقه الى الخروج للحج حرام ، لان التشويق الى الحرام حرام . كمن يكون طريقه الى الحج غير آمنه وبها مخاطر تؤدي الى الهلاك فلا يجوز له الحج ويحرم عليه التشويق اليه بالسماع.

ويقول الغزالى فى ذلك : "ان قصد به (أي السماع) تشويق من لا يجوز له الخروج الى الحج كالذي أسقط الغرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه فى الخروج . فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه الى الحج بالسماع ، وبكل كلام يشوق الى الحج ، فان التشويق الى الحرام حرام. وكذلك ان كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجوز تحريك القلوب ومعالجتها بالشوق "(١)

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٤.

(٢) ما يعتاده الغزاه لتحريض الناس على الغزو :

يرى الغزالى أن الغناء لاثارة حماس المحاربين وشحذ هممهم مباح بشرط ألا يخالف ما يتغنون به من أشعار وما يستخدمونه من آلات العزف ما هو مشروع فى حال تشويق الحجيج • وذلك لان تشجيع المحاربين باستثارة غضبهم على الكفار وبذل الروح والمال والولد فى سبيل الله وفى سبيل اعلاء كلمة الحق ، باستخدام الاشعار مباح وقد قال المتنبى •

فان لا تمت تحت السيوف مكرما
تمت وتقاسى الذل غير مكرم

وقال أيضا :

يرى الجبناء ان الجبن حزم
وتلك خديعة الطبع اللئيم (١)

والسماع فى حال التشجيع على الغزو أيضا ليس مباحا اباحة مطلقة • فهو مباح فقط فى الوقت الذي يباح فيه الغزو • ومندوب اليه فى الوقت الذي يستحب فيه الغزو • ومحرم فى الوقت الذي حرم فيه الغزو• وهو محرم أيضا فى حق من لا يجوز له الخروج الى الحرب •

---

(١) الغزالى : احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٧٤ •

(٣) الرجزيات التى يستعملها الشجعان فى وقت اللقاء :

وهى الغناء الحماسى ، الذي يقال أثناء دوران رحى القتال مع الاعداء لتحريك نشاط المقاتلين ، والهاب حماسهم وفيه تمدح بالشجاعة والنجدة • واذا قيل بلفظ قدير وصوت طيب كان له أثر عظيم فى النفس (١)•

وهذا الغناء مباح ، فى كل قتال مباح ، ومندوب فى كل قتال مندوب ومحظور فى قتال المسلمين وأهل الذمة وكل قتال محظور لان تحريك الدواعى الى المحظور محظور ويقول الغزالى : "وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضى الله عنهم كعلى وخالد رضى الله عنهما • ولذلك نقول ينبغى أن يمنع من الضرب بالشاهين فى معسكر الغزاة فان صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق الى الأهل والوطن • ويورث الفتور فى القتال "(٢)•

---

(١) هذه الرجزيات كالاغانى الحماسية التى تغنى من خلال الاذاعة والتلفزيون أثناء الحرب لاثارة حماس الجيش والشعب للقاء الاعداء وفداء الوطن بالدم والروح والمال • وهذه الاغانى يرى الغزالى أنها ليست محرمة •

(٢) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٤•

ولذلك يرى الغزالى أن من يعزف أثناء القتال بآلات ترقق القلب وتضعف صرامة النفس وكان القتال فى سبيل الله وقصد تغيير قلوب المقاتلين ، وتغيير هممهم وتقاعصهم عن القتال . كان ذلك حراما فهو انسان عاصى . أما اذا فعله قاصداً احباط الهمم فى القتال المحظور فان ذلك مباح وكان صاحبه مطيعا .

(٤) أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها فى تهييج الحزن والبكاء :

وهى أقوال موزونة تقال بنغمات حزينة ويكون لها تأثير فى اثارة الاحزان .

والحزن عند الغزالى قسمان : حزن محمود ، وحزن مذموم . والمذموم كالحزن على ما فات والحزن على الأموات وهو مذموم لانه سخط على قضاء الله تعالى . وتأسف على أشياء لا يغنى فيها الاسف ولا يجدى . قال تعالى : "لكيلا تأسوا على ما فاتكم"(١) وتحريك هذا الحزن بالنياحة مذموم ولذلك ورد النهى عن النياحة.(٢)

اما الحزن المحمود ، فهو يكون لتقصير الانسان فى أداء العبادات والطاعات لله تعالى وحزنه وبكاؤه

---

(١) س الحديد ، آية ٢٣ .

(٢) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٤.

على ما ارتكب من خطايا أو معاص وهو حزن محمود لانه دليل على توبة الانسان وندمه • ويقول الغزالى عنه : "وأما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره فى أمر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود ومنه بكاء آدم عليه السلام • وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث على التشهير للتدارك" (١)

ويحكى عن داود عليه السلام أنه كان كثير النياحة مع دوام الحزن وكثرة البكاء خشية من الله وبسبب الخطايا والذنوب • (٢)

ولذلك فالالحان التى تثير حزن المذنب وتحثه على التوبة محمودة ، لان المفضى الى المحمود محمود• وفى هذا يقول امامنا: "وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب • ولا أن يبكى ويتباكى ليتوصل به الىتبكيه غيره واثارة حزنه (٣).

---

(١) احياء علوم الدين ،ج ٢ ،ص ٢٧٤ •

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ •

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة •

(٥) السماع فى أوقات السرور تأكيدا للسرور والبهجة :

وهى الالحان والاقوال المسجوعة والموزونة التى يتغنى بها على نغمات الموسيقى على الآلات المباحة. وهذا السماع فى رأي الغزالى مباح . كالغناء فى أيام العيد ، وفى الاعراس وفى وقت عودة الغائب ، وفى وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود . وعند ختانه . وعند اتمام حفظ القرآن الكريم . والغناء فى جميع هذه المناسبات جائز ومباح ووجه جوازه اشارة السرور والطرب والفرح وشيخنا يقول : "كل ما جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه"(١).

ومما يدل على جواز الغناء فى أوقات السرور والبهجة ما حدث من انشاد أهل المدينة المنورة عند استقبالهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعند وصوله اليها مهاجرا من مكة تعبيرا عن مدى سرورهم وفرحتهم بقدومه بقولهم :

طلع البدر علينا من زينات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وقد أنشدن نساء المدينة هذه الاناشيد ابتهاجا وفرحة بقدوم الرسول سالما من رحلة الهجرة. واظهار السرور هنا محمود حتى ان الغزالى يقول :" وهو سرور

---

(١) احياء علوم الدين ، ص ٧٤ .

محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضا محمود"(١) ويقول امامنا أيضا : "انه روى أن جماعة من الصحابة قد حجلوا (أي رقصوا) فى مناسبات سارة "(٢) فالرقص فى رأي الغزالى جائز فى المناسبات السعيدة ومما يدلل به على صحة قوله هذا ما روته عائشة رضى الله عنها انها قالت "لقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى برداثه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذي أسامه "(٣).

وروى عن عائشة رضى الله عنها أيضا أنها قالت : "كان يوم عيد ، يلعب فيه السودان بالدرق والحرب ، فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتشتهين تنظرين فقلت : نعم . فأقامنى وراءه وخدى على خده ويقول : دونكم يا بنى أرفده . حتى اذا مللت قال : حسبك . قلت نعم . قال : فاذهبى " وفى صحيح مسلم : "فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر الى لعبهم حتى كنت أنا الذي انصرفت "(٤).

كما استشهد الغزالى أيضا بحديث الجاريتين الذي سبق ذكره والغزالى يرى فى هذه الاحاديث أدلة قاطعة على أنواع الرخص باباحة اللعب وقوله صلى الله عليه

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٥.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) ورد هذا الحديث فى صحيح البخاري وصحيح مسلم بسند متصل الى عائشة وقد سبق تخريجه .

(٤) هذه الاحاديث وردت بروايات مختلفة وذكر الغزالى

وسلم "دونكم يا بنى أرفده" أمر باللعب والتماس له ، فكيف يقدرونه حراما ؟ ومنعه صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الانكار على الغناء وقوله أنه يوم عيد . أي أنه وقت سرور وأن هذا من أسباب السرور. ووقوف الرسول طويلا فى مشاهدة الرقص وسماع الغناء ، وموافقة عائشة رضى الله عنها فى مشاهدته وسماعه . وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة "أتشتهين أن تنظري " يعنى أن ذلك ليس محرما ولا غبار عليه . كما رخص الرسول بالغناء والضرب بالدف للجاريتين وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ويستدل الغزالى من ذلك على أن صوت النساء فى الغناء غير محرم الا اذا كان يخشى منه فتنة وقوله فى ذلك : "الرخصة فى الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن المزمار المحرم غير ذلك"(١) ويقول أيضا : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع. ولو كان يضرب بالأوتار فى موضع لما جوز الجلوس ... فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم (٢) تحريم صوت المزامير ، بل انما يحرم عند خوف الفتنة".

وهذا فى رأي شيخنا يدل دلالة واضحة على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج وغيرهم فى أوقات

= الكثير من الاحاديث الشبيهة بها فى المعنى أنظر احياء علوم الدين ج ٢ ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦.

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٦.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٧.

السرور كلها على اختلاف المناسبات والاوقات ـ قياسا على يوم العيد فهو وقت سرور ويقاس عليه يوم العرس ويوم العودة من السفر ويوم العقيقة والختان وغيرها من المناسبات السارة ، وسائر أسباب الفرح. ويقول الغزالى : " ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام واحد او كلام فهو ايضا مظنة السماع (١)

وتعلقا على قول الغزالى باباحة سماع صوت المرأة فى الغناء مدام ذلك لا يحدث فتنة فى السامعين انه روى عن الشافعى انه كان يسير مع بعض اصحابه وهم المزنى وابراهيم بن اسماعيل ومروا على قوم وجارية تغنى لهم .

خليلى ما بال المطايا كأننا
نراها على الاعقاب بالقوم تنكص

فقال الشافعى ميلوا بنا نسمع فلما فرغت قال الشافعى لابراهيم أيطربك هذا قال : لا . قال فما لك حس (٢) .

وهذا يعنى أن الشافعى سمع الغناء من الجارية واباح ذلك لنفسه ،ولكن أبن الجوزى البغدادى ينكر ذلك على قائله . ويرى ان هذا محال على الشافعى ويرى ان ابن طاهر الذى روى هذه الحكاية غير موثوق به وان فى الرواية مجهولون وان الشافعى كان اجل من هذا .

ويدلل على هذا بأن اصحاب الشافعى قالوا لا يجوز سماع الغناء من المرأة التى ليست بمحرم سواء كانت حرة او

---

(١) الغزالى ، الاحياء ، ج ٢ ،ص ٢٧٧ .
(٢) ابن الجوزى البغدادى : تلبيس ابليس ، ص ٢٤١ .

مملوكة كما أورد قول الشافعى "وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته "(١) ،وذلك لان من يدعو الى الباطل فهو سفيه فاسق ومن يفعل هذا فهو يدعو الناس الى الباطل ٠

قال ابن الجوزى فى كتابه "تلبيس ابليس " أخبرنا محمد عبدالرحمن السلمى قال : " اشترى سعد بن عبدالرحمن الدمشقى جارية قواله للفقراء وكانت تقول لهم القصائد(٢) ، ويرد ابن الجوزى بان سعد الدمشقى رجل جاهل اى جاهل بالحلال والحرام حتى يقوم بمثل هذا العمل ،ويرد ابن الجوزى البغدادى ايضا على قول ابوطالب المكى" أدركنا مروان القاضى ،وله جوار يسمعن التلحين ٠ قد أعدهن للصوفية ٠ وكان لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يسمعون التلحين منهما(٣) ٠

ويعلق ابن الجوزى البغدادى على ذلك بقوله ان صحت هذه الحكاية عن مروان فهو فاسق ،والدليل على ما قلنا ، ما ذكرناه عن الشافعى رضى الله عنه ٠ وهؤلاء القوم جهلوا العلم فمالوا الى الهوى ٠

وينكر ابن الجوزى ايضا على الحاكم ابوعبدالله النيسابورى ان ذكر فى كتاب " تاريخ نيسابور " انه كان يسمع من امرأةوتساءل كيف يحل له ان يسمع من امرأة ليست

---

(١) انظر ابن الجوزى البغدادى: تلبيس ابليس ،ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ٠

(٣) المرجع السابق ،نفس الصفحة ٠

بمحرم ثم يذكر هذا فى الكتاب السابق وهوكتاب علم[1].

وقد ذكر ان الجوزى حكايات كثيرة عمن كانوا يبيحون لانفسهم السماع من امرأة وأنكر عليهم هذا العمل وقال بتحريمه[2].

وقد أنكر السماع عن امرأة ليست بمحرم ولاشك أن الغزالى يرى ان الانشاد فى مجالس السماع يجبان يكون من رجل وليس من امرأة لتجنب الفتنة. وهذا ما ذكرناه فى آداب السماع .

---

(١) تلبيس ابليس ، ص ٢٤٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ، ص ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤ .

(٦) سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس:

يرى الغزالى ان السماع او الغناء اذا كان فى حضرة او وجود المعشوق ،كان ذلك تأكيدا للذة وجود العاشقين معا وفرحهما بالقرب واللقاء . واذا كان السماع فى غياب المعشوق وبعده ، كان الغرض تهييج الشوق اليه وتحريكا لعشقه .

وفى رأيه أن السماع فى حالة غياب المعشوق وفراقه فيه نوع من الالم الا أنه ايضا فيه نوع من اللذة.اذا كان مصحوبا برجاء الوصال والامل باللقاء.فالرجاء فى رأيه لذيذ على عكس اليأس فهو مؤلم وكلما كان الشوق الى الالتقاء بالمعشوق قويا كان الرجاء قويا . وكلما كان حب المعشوق قويا كان الامل فى الوصال قويا .

وحقيقة هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء فى الوصال والقرب والالتقاء ويقول الغزالى " ففى هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء ، المقدرة فى الوصال مع الاطناب فى وصف حب المحبوب"(١).

ويضيف الغزالى ان هذا النوع من السماع حلال غير ان حله ليس بشكل مطلق ، فاذا كان المشتاق اليه او المحبوب ممن يباح وصاله ، كمن يعشق زوجته او اسرته ، فله ان يصغى الى الغناء ولا حرمة فى ذلك لتتضاعف لذته فى لقاء احبابه فيحظى بمشاهدة البصر وبالسماع بالاذن ويفهم

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .

لطائف معانى الوصال والفراق فتترك أثرها فى القلب وتترادف اسباب اللذة . وهو نوع من التمتع من جملة المباحات التى أباحها الله لعباده فى الحياة الدنيا ومن جملة متاعها . ويقول الغزالى : " فهذه انواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة الا لهو ولعب وهذا منه "(١).

واما اذا كان السماع فى حق من لا يباح وصاله فالغزالى يرى ان السماع فى هذه الحالة حرام فانه لا يجوز للرجل ان يسمع فى حق مطلقته لانه لا يجوز تحريك الشوق اليها حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال او اللقاء . كذلك لا يحل السماع لمن يتمثل فى خياله صورة انسان لا يحل له النظر اليه . وهذا ينطبق على الرجل او المرأة ، وذلك لان السماع فى هذه الحالة محرك للفكر ، فى افعال محظورة وفيه تشويق الى لقاء من لا يباح الوصول اليه (٢).

ويحذر امامنا الشباب من هذا النوع من السماع ويوضح لهم انه ممنوع عليهم وذلك لما له من خطورة العاقبة فيقول : " وكذلك من غضبت منه جارية او حيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع وان يستثير به لذة رجاء الوصال فان باعها او طلقها حرم عليه ذلك بعده . اذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء واما من يتمثل فى نفسه صورة صبى او امرأة لا يحل له النظر اليها ، وكان ينزل ما يسمع على تمثله فى نفسه فهذا حرام لانه يحرك للفكر فى الافعال المحظورة ومهيج للداعية

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الى ما لا يباح الوصول اليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب فى وقت هيجان الشهوة ، لا ينفكون عن اضمار شئ من ذلك . وذلك ممنوع فى حقهم لما فيه من الداء الدفين،لا لأمر يرجع لنفس السماع"(١).

(٧) سماع من أحب الله وعشقه واشتاق الى لقائه :

هذا النوع من السماع يتغنى فيه المغنى بالقصائد الدينية التى يرد فيها ذكر صفات الله سبحانه وتعالى او سماع تلاوة القرآن الكريم بصوت خاشع رخيم وهو سماع الخاصة ممن احبوا الله فوجدوه فى كل ما حولهم من موجودات فلا يقرع سمعهم من شئ الا وجدوه سبحانه فيه ولا يقع بصرهم على شئ الا شاهدوا بديع صنع الله فيه .

ويرى الغزالى ان السماع فى حق من احب الله مهيج لشوقه ،ومؤكد لعشقه وحبه ،وباعث لوجده ومستخرج منه الاحوال المؤدية الى المكاشفات التى يعجز اللسان عن وصفها ، ولا يعرفها حق المعرفة الا اصحابها فلا يعرف حلاوة العسل الا من ذاقه . ويقول الغزالى فى هذا النوع من السماع " سماع من احب الله وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شئ الا رآه فيه سبحانه . ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او فيه فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومورد زناد قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه من لم يتذوقها . وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا مأخوذ من الوجودوالمصادفة اى صادف فى نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع"(٢).

---

(١) احياء علوم الدين ،ج ٢ ،ص ٢٧٧.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ويرى الغزالى ان القلب يتذوق السماع بحاسة باطنة فيه بعد وصول الصوت الى السمع وأن من فقد هذه الملكة القلبية للتذوق فهو بلا شك يعجز عن تذوق لذة السماع .

والمنكر للسماع لا يتصور العشق فى حق الله ويستنكر ان يقال ان السماع يحرك العشق فى قلب المعشوق .

ويرد الغزالى على اصحاب هذا الرأى(١) بقوله " ولعلك تقول كيف يتصور العشق فى حق الله حتى يكون السماع محركا له ؟" قد يظن البعض ان كلمة عشق لا يليق ان تطلق على علاقة المحبة بين العبد وربه ، فلفظ عشق يستخدم بين اثنين من نفس النوع ،والحق سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ . فكيف يتصور العشق فى حقه تعالى؟ وكيف يقال ان السماع يحرك العشق فى قلب المعشوق"(٢).

ويرد الغزالى على هذا الاعتراض بان من عرف الله حق المعرفة احبه حبا صادقا وان هذا مما لاشك فيه وانه كلما تأكدت المعرفة زادت المحبة وتأكدت وصارت قوية .واذا قويت سميت عشقا . فالعشق ما هو الا المحبة المؤكدة المفرطة وقول الغزالى فى ذلك : " فاعلم ان من عرف الله احبه لا محاله ومن تأكدت معرفته ، تأكدت محبته بقدر تأكيد معرفته .والمحبة اذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة مؤكدة مفرطة . ولذلك قال العرب ان محمدا قد عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة فى جبل حراء"(٣).

---

(١) انظر ابن الجوزى البغدادى ، تلبيس ابليس ،ص ٢٤٦،٢٤٧ .

(٢) احياء علوم الدين ، ج ٢ ،ص ٢٧٨ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

والغزالى يرى ان كل جمال فى العالم سواء كان جمالاً حسياً او معنوياً وسواء كان يمكن ادراكه بالحواس او العقول منذ بداية الخليقة حتى تقوم الساعة هو ذرة من خزائن قدرته ولمعه من انوار حضرته فكيف لا يعقل حب من اتصف بهذه الصفات العلية وكيف لا يعشقه الصوفية وتتأكد محبته تعالى فى قلوبهم حتى تصل الى مرتبة العشق ٠ بل تتجاوزها الى حد من المحبة يعجز التعبير عنه بالالفاظ ولا تشمله الكلمات ويكون فى هذه الحالة من الظلم ان نسمى هذه المشاعر الفياضة التى يشعر بها الصوفية العارفين بالله نحوه سبحانه وتعالى بالحب او العشق لانها اقوى واسمى من ذلك ويقول الغزالى : " بل كل حسن وجمال فى العالم آدرك بالعقول والابصار والاسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم الى منقرضه ومن ذروة الثريا الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من انوار حضرته ٠ فليت شعرى كيف لا يعقل حب من هذا وصفه ، وكيف لا يتأكد عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما فى حقه ، لقصوره عن الانباء عن فرط محبته "(١).

ويرى الغزالى ان المتحقق بمعرفة الله تعالى لا يعرف غيره فهو الوجود الحق وهو الفاعل الحق ٠ ومن عرف ان كل ما فى الوجود من صنع الله لم يجاوز معرفة المفعول على معرفة الفاعل فكل موجود سوى الله تعالى هو خلق الله وصنعه وتصنيفه وبديع افعاله ٠ ومن عرف هذه الموجودات من حيث هى صنع الله يرى فى الصنعة عظمة الصانع وصفاته كما يرى من حسن التنظيم والتنسيق والانسجام والتصنيف والدقة فضل المصنف والمنظم جلت قدرته ٠ كانت محبته لله تعالى غير

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ ٠

مجاوزة الى سواه. ويقول الغزالى فى ذلك " بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى اذ ليس فى الوجود تحقيقا الا الله وافعاله ومن عرف الافعال من حيث انها افعال. لم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره "(١).

ويذهب الغزالى الى ان لفظ عشق اذا اطلق على غير الله فانما يطلق مجازا لا حقيقة فسمات العشق الالهى انه لا يكون الا لله وحده فهو لا يقبل الشركة مثل غيره من العشق فكل عشق سواه قابل للشركة وكل محبوب غير الله يمكن ان يتصور له نظير اما فى الوجود واما فى الامكان . اما جمال الله فلا يتصور له ثان ولا مثيل لا فى الامكان ولا فى الوجود ولذلك فان لفظ عشق اذا اطلق على غيره يكون مجازا محضا

وقد اعتبر الغزالى ان الانسان الناقص فقط هو الذى لا يستطيع ان يدرك من لفظ عشق الاطلب الوصال او الاتصال الجسدى الظاهر فى الاجسام لقضاء الشهوة ويرى ان هذا الانسان الذى لا يفهم من العشق غير هذا المعنى لا ينبغى ان يستعمل معه الالفاظ التى يعجز عن فهم معناها فى حق الله كالعشق والشوق والوصال والانس ويقول فى ذلك " بل يجنب هذه الالفاظ والمعانى كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخص بالقت والحشيش واوراق القضبان فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها فى حق الله تعالى اذ لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه والاوهام تختلف باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة فى امثال هذه الالفاظ "(٢).

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

مما سبق يمكن ان نستخلص ان الغزالى يرى ان السماع مباح فى بعض المواطن ومندوب اليه فى بعض المواقع الاخرى وان حله ليس مطلقا بل ان هناك حالات يحرم فيها السماع وهذه قد ذكرها الغزالى ، فهو يرى ان السماع يحرم بخمس عوارض هى :

(١) عارض فى المسمع •
(٢) عارض فى آله الاسماع •
(٣) عارض فى نظم الصوت •
(٤) عارض فى نفس المستمع او فى مواظبته •
(٥) وعارض فى كون الشخص من عوام الخلق •

وجعل اركان السماع هى المسمع والمستمع وآلة الاسماع وسنتحدث فى ضوء ما ذكره الغزالى عن محرمات السماع بشىء من التفصيل عن كل عارض •

أولا - المسمع :

وهو الشخص الذى يقول او يقرأ القرآن او ينشد الالحان الدينية فاذا كان يقرأ القرآن سمى مقرىء وان كان ينشد الالحان سمى منشد •

ويذهب الغزالى الى انه لا يجوز سماع صوت المرأة وهى تقرأ القرآن كما لا يجوز ان يكون المنشد امرأة لا يحل النظر اليها ويخشى الفتنة من سماعها كما لا يجوز سماع الفتى او الصبى الامرد خشية الفتنة ايضا •

ويؤكد الغزالى ان وجه الحرمة فى ذلك خوف الفتنة وليس لمجرد الغناء فى حد ذاته فانه يمكن ان يفتتن

بصوت المرأة من غير الحان . فلا يجوز محادثة المرأة ولا محاورتها اذا كانت بحيث يفتتن بصوتها فى المحاورة من غير الحان . ويقول الغزالى " فان قلت فهل تقول ان هذا حرام بكل حال حسما للباب او يحرم الا حيث تخاف الفتنة فى حق من يخاف العنت ؟ فاقول : " هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها اصلان احدهما ان الخلوة بالاجنبية والنظر الى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة او لم تخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصور .

والثانى ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة . فلا يلحق الصبيان بالنساء فى عموم الجسم بل يتبع فيه الحال . وصوت المرأة دائر بين هذين الاصلين"(١) .

وهذا يعنى ان هناك خلاف فى الرأى حول جواز سماع صوت المرأة فى الحديث او الحوار بدون الحان مع الرجل الاجنبى هل هو حرام ام حلال ؟ ويمكن ان نستخلص رأيان ، الرأى الاول لا يجوز للمرأة ان تتحدث مع من هو اجنبى عنها ولا يجوز له سماع صوتها سواء كان مجرد حديث او غناء او قرأة قرآن او غير ذلك تجنبا للفتنة . والرأى الثانى : يذهب الى ان صوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة ويستشهدون على ذلك بان النساء فى زمن الصحابة رضى الله عنهم كن يكلمن الرجال فى الاسلام فى الاستفتاء والسؤال واخذ المشورة فالكلام العادى ليس محرما بين المرأة والرجل بشرط حسن النية . اما الغناء فان كلا الرأيين يرى ان صوت المرأة فى الغناء عورة لما للغناء من مزيد اثر فى تحريك الشهوة فيجب ان يكون التحريم

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

فى الشئ الذى يبعث على الفتنة فقط . ويقتصر التحريم عليه خاصة وان النساء لم يؤمرن بستر الاصوات ويقول الغزالى فى ذلك : " وصوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء فى زمن الصحابة رضى الله عنهم يكلمن الرجال فى الاسلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك . ولكن للغناء مزيد اثر فى تحريك الشهوة . قياس هذا فى النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يأمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الاصوات فينبغى ان يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه . هذا هو الاقيس عندى "(١) .

العارض الثانى - الالــة :

يشترط فى الالات الموسيقية المستعملة فى مجالس السماع الا تكون مما يستخدمه اصحاب مجالس الشراب من الالات وذلك للاسباب التى سبق ذكرها ولما جاء من النهى عنها فى حديث الرسول السابق ذكره .

والالات الموسيقية التى لا يحل استخدامها فى السماع هى كما اوضحها الغزالى . المزمار - والاوتار - وطبل الكوبة فهى كما يقول ثلاثة انواع ممنوعة وما عدى ذلك من الالات الموسيقية فاستعمالها مباح كالدف وان كان فيه جلاجل والطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الالات الاخرى فهى جميعا مباحة .

وقد سبق القول ان مجالس الشراب لم تعد تختص الان بالات موسيقية معينة كما كان الحال ايام الرسول (ص) ولذا يحل للمسلم سماع الموسيقى من مختلف الالات المعروفة .

---

(١) احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ .

العارض الثالث - الشعر :

او الكلمات التى يتغنى بها المستمع فيشترط الا يكون فيه شئ من الهجاء او الفحش او الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم او على صحابته . واذا وجد فيه شئ من ذلك فسماعه حرام بالالحان او بدون الحان ويقول الغزالى ان ما رتبه الروافض فى هجاء الصحابة وغيرهم سماعه حرام بالحان او بغير الحان والمستمع شريك للقائل كما يحرم ايضا وصف المرأة بين الرجال ولكن يجوز هجاء الكفار واهل البدع فقد كان حسان بن ثابت ينافح عن الرسول ويهاجى الكفار وامره صلى الله عليه وسلم بذلك(١) .

وللغزالى رأى فى القصائد التى تتناول جمال وجه المرأة وحسن قوامها وغيرها من اوصاف النساء فهو يرى انه يحل انشادها بلحن او بدون لحن بشرط ان من يسمع هذه القصائد الا ينزلها على امرأة معينة الا اذا كانت حل له . اما اذا انزلها على امرأة او فتاة اجنبية عنه فهذا لا يحل له وان فعل يكون عاص . وحتى لا يعرض نفسه للوقوع فى الحرام عليه ان يتجنب سماع مثل هذه الاغانى . ويقول الغزالى فى هذا الشأن " واما النسيب وهو التشبه بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر اوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح انه لا يحرم نظمه وانشاده بلحن او بغير لحن وعلى المستمع الا ينزله على امرأة معينة . فان نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على اجنبيه فهو العاصى بالتنزيل واحالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغى ان يتجنب السماع "(٢) .

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

رابعا - المستمع :

يرى الغزالى ان المستمع اذا كان شابا تغلب عليه الشهوة اكثر من غيرها فالسماع لا يحل له لانه سيتذوق معانى القصائد المنشودة بحكم سنه بطريقة تتناسب مع اتجاهاته وميوله فتحرك شهوته . فهو لا يسمع وصف جمال الوجه ووصف الفراق والوصال دون ان تتحرك شهوته حتى وان كان لا يغلب على قلبه حب شخص ما وذلك لان الشيطان يزين له الشهوى ويبعده عن العقل والتقرب الى الله . فالسماع له ولامثاله حرام وقول الغزالى فى ذلك " ان تكون الشهوة غالبة عليه وهو فى غرة الشباب وكانت هذه الصفة اغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه . سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب . فانه كيفما كان لا يسمع وصف الصدغ والخدود والفراق والوصال الا ويحرك ذلك شهوته وينزل على صورة معينة ينفخ الشيطان بها فى قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتمتد بواعث الشر وذلك هو النصر لحزب الشيطان والتخزيل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله "(١).

ويتفق الغزالى مع غيره من الصوفية فى ان النفس الانسانية بها جانبان هما جانب الشهوة والهوى وهو كما يسميه الغزالى حزب الشيطان وهو ما اسما الله تعالى فى كتابه العزيز النفس الامارة بالسوء . وجانب العقل او كما يسميه الغزالى حزب الله تعالى او نور العقل وهو ما اسماه الله تعالى " بالنفس المطمئنة " . وان الصراع دائم ومستمر بين الجانبين قال تعالى : " ونفس وما سواها

---

(١) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها"(١) وحتى يتمكن الانسان من تغليب جانب العقل فى نفسه على جانب الشهوى او ان يطوع نفسه الامارة بالسوء لنفسه المطمئنة عليه ان يتجنب كل ما يثير شهواته ويشعلها ويزكيها وعلى ذلك فيجب على الشاب وهو فى غمرة شبابه ان يتجنب الاستماع الى الاغانى التى تتغنى بالغزل الا اذا كان متأكدا من غلبة جانب العقل فى نفسه على جانب الشهوة والهوى وهذا امر نادر بين الشباب ولذلك فالاجدر بهم ترك سماع مثل هذه الاغنيات • ويقول الغزالى " والقتال فى القلب دائم بين جنود الشيطان وهى الشهوات وبين حزب الله وهو نور العقل الا فى قلب قد فتحه احد الجندين واستولى عليه بالكلية • وغالب القلوب الان • قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فتحتاج حينئذ الى ان تستأنف اسباب القتال لازعاجها فكيف يجوز تكسير اسلحتها وتشحيذ سيوفها واسنتها • والسماع مشحذ لاسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضربه "(٢) •

خامسا :

ان يكون الشخص من عوام الخلق لم تغلب عليه الشهوة كما يغلب عليه حب الله فلا مانع من ان يسمع القصائد والالحان فان السماع له محبوب حتى وان كان من عوام الناس فهو مباح فى حقه كسائر اللذات المباحة •(٣)

ومع قول الغزالى بجواز السماع وكوسيلة فى ترقيق القلب واصطناع الوجد فانه يحذر من ان يضيع فيه الانسان جل وقته بل انه يرى ان من يقضى وقته فى سماع الالحان كمن يواظب على اللهو وينشغل به عن اعماله وعبادته فاذا كان

---

(١) سورة الشمس ، آية ٧ •

(٢) احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ •

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ •

السماع حلال فالاكثار منه حرام شأنه فى ذلك شأن اشياء اخرى محللة غير ان الاكثار منها حرام كلعب الشطرنج فهو مباح[1] ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة . فهو مباح للترويح عن القلب والتسلية بعض الوقت عندما يكل الانسان من كثرة الاعمال الجادة فى حياته كالجد فى سبيل الكسب والتجارة وفى اداء العبادات الشرعية كالصلاة او من كثرة القراءة فلا بأس من ان يروح الانسان المتعب عن نفسه بشئ من اللهو المباح بين تضاعيف الجد لان فى ذلك راحة للقلب وتجديد للنشاط .

وحقيقة السماع كسائر المباحات المواظبة عليه مكروهة ويكون محبوبا اذا استمع اليه الانسان - الذى لا تغلب عليه شهوة - فى اوقات محدودة وليس بشكل مستمر لان المواظبة على اللهو جناية . وقد استمع الرسول صلى الله عليه وسلم الى غناء الزنوج واهل الحبشة ويقول الغزالى : " ولكن ابيح فى حقه كسائر انواع اللذات المباحة الا انه اذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذى ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية وكما ان الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة . فكذلك بعض المباحات بالمداومة تصير كبيرة "[1] .

---

(١) يكون لعب الشطرنج وما شابهه حلالا اذا قصد به الترويح بعد التعب من كثرة العمل ولم يكن المقصود منه المراهنات وكسب المال . انظر احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .

وما ذكره الغزالى فى حديثه عن المستمع يتفق مع ما قاله الصوفية من ان المستمع يجب ان يكون صادق الحال خال الفكر والقلب عما سوى الله وقد ماتت نفسه عن الشهوة والهوى وتخلص من كثافة المادة التى تحجبه عن الله او كما يقول الشيخ الرئيس ابن سينا " ان تكون نفسه سليمة على الفطرة لم تغلظها مباشرة الامور الارضية الفانية اذا سمعت ذكر روحانيا يغشاها وجد مبرح مع لذة مفرحة "(١). كما يجب على السامع الا يحدث حركة باختياره ويلتزم بالسكون اثناء السماع .

وتعليقا على قول الغزالى بان السماع وخاصة اغانى الغزل للشباب حرام لانه يثير لديهم الشهوة وحلال فى حق الكمل من الرجال يقول ابن الجوزى البغدادى وقد اعتقد قوم من الصوفية ان هذا الغناء الذى ذكرنا عن قوم تحريمه وعن آخر كراهته مستحب فى حق قوم . وابتدانا عبدالمنعم ابن عبدالكريم بن هوزان القشيرى قال : حدثنا ابى قال سمعت ابا على الدقاق يقول : " السماع حرام " للعوام لبقاء نفوسهم مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم مستحب لاصحابنا لحياة قلوبهم " (٢)

ويرى ابن الجوزى البغدادى ان هذا القول خطأ من خمسة اوجه هى :(٣)

---

(١) ابن سينا : الاشارات والتنبهات ، ج ٢ ، ص ١٦،
وانظر السهروردى : عوارف المعارف ،ص ١٢٤ ،
وعبدالوهاب الشعرانى ، كشف القناع عن وجه
السماع . مخطوط بالمكتبة الازهرية برقم
٩٤٢ /٣٣٥٧٦ حليم ل ٢١١ ظ .

(٢) انظر.ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ٢٣٩.

(٣) المرجع السابق ،ص ٢٤٠ .

(١) احداها ان ابى حامد الغزالى قد اباح السماع لكل احد وهو اكثر علما ومعرفة من ابوعلى الدقاق ـ هذا كما يقول ابن الجوزى غير ان الغزالى وان كان اباح السماع للجميع الا انه حذر الشباب من سماع قصائد الغزل ولم يقل باباحته بشكل مطلق بل قيده بشروط .

(٢) والثانى ان طباع النفوس لا تتغير وانما المجاهدة تكف عملها فمن ادعى تغيير الطباع ادعى المحال . فاذا جاء ما يحرك او يثير الطباع واندفع الذى كان يكفها عنه عادت العادة . اى اذا سمع من يجاهد نفسه قصائد الغزل فانها تثير فيه الشهوات وتعيده الى طبعه .

(٣) والثالث ان العلماء اختلفوا فى تحريم السماع واباحته وليس فيهم من نظر فى السامع . وذلك لعلمهم ان الطباع تتساوى . فمن ادعى خروج طبعه على طباع الادميين ادعى المحال .

(٤) والرابع ان الاجماع انعقد على ان السماع ليس بمستحب وانما غايته الاباحة فادعاء الاستحباب خروج عن الاجماع .

(٥) والخامس انه يلزم من هذا ان يكون سماع العود مباحا او مستحبا عند من لا يغير طبعه لانه انما حرم لانه يؤثر فى الطباع ويدعوها الى الهوى . فاذا امن ذلك فينبغى ان يباح .

وجملة القول ان الغزالى ذهب ان السماع ليس محرما بشكل مطلق ولا محللا دون قيود وانما بحسب تعبيره قد يكون حراما محضا ، وقد يكون مباحا ، وقد يكون مكروها ، وقد

يكون مستحبا . اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة . واما المكروه فهو لمن ينزله على صورة المخلوقين . ولكنه يتخذه عادة له فى أكثر الاوقات على سبيل اللهو . واما المباح فهو لمن لا حظ له الا التلذذ بالصوت الحسن واما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة (١) .

---

(١) الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

تعليـــــــــــب :

يمكن فى ضوء ما سبق عرضه لمختلف الاراء التـــى دارت حول السماع أن ننتهى الى ان الاسلام لم يحرم الغناء تحريما مطلقا • وانما التحريم فقط للغناء المبتـــذل الذى يبعـــث على اثارة الشهوات حيث لا يمكن تحقيقها بطريق شرعى •

كما ان الاكثار من الاستماع الى الغناء والتلهى بـــه عن العبادات وجعله هم الانسان الاول ، لا يحمد شرعـــــــــا فالاسلام ينهى عن الاسراف فى كل شئ ، ويحض على عدم الافراط او التفريط فى تحقيق المتعة واشباع الحاجات المباحة •

كذلك ينهى الاسلام عما يحدث داخل دور اللهو من غنـــاء النساء وهن متبرجات امام الجمهور وتراقصهن وتمايلهـــــن ومحاولاتهن نيل اعجاب المستمعين فى غير احتشام •

واذا كان الرسول (ص) قد نهى عن استماع القينـــــــات ـ وهن النساء المغنيات ـ ونهى عن بيعهن وشراشهن لانـــه (ص) لا يريد للمرأة ان تكون سلعة للاتجار بها لجمالها او حســن صوتها ، ولا يرضى الاسلام لها ان تقف امام مستمعيها للغنـــاء اذا كان الغناء مبتذلا او فيه فتنة بما يتنافى مع مـــــا يتطلبه منها الدين من التزام الوقار والاحتشام والبعـــــد عن الفاحشـــــــة •

ولنفس السبب كره بعض أئمة الفقه الغناء خاصـــــة وان الغناء فى دور اللهو يصحبه فواحش كالرقص المبتـــذل والشراب وغيرها من الاعمال المنكرة والتى لا يقرها الشـــرع لخروجها على آدابــــــه •

أما سماع الغناء لمجرد التلذذ والاستمتاع بالنغمات والصوت الطيب دون ان ينزل السامع ما يسمعه من كلمات الغزل والعشق والشوق والهجر والوصال وغيرها على من لا يحل له انزال تلك المعانى عليه ، فهو من جملة اللهو المباح الذى لابد منه ليخفف الانسان عن نفسه من كثرة الجد فالحياة ليست كلها اعمال جادة وانما لابد من بعض اللهو المباح بين تضاعيف الجد حتى يساعد ذلك على الاستمرار وعدم الملل .

كذلك الحال فى الغناء الذى يعين على العمل ،ويهون من مشقته ، كما يفعل عمال البناء او غيرهم ممن يقومون بالاعمال الشاقة وهم يتغنوا بما يشد أزرهم ويزيدهم قوة واحتمالا ، لمواصلة بذل الجهد . مثل هذا الغناء ليس فيه ما يحرم . فكل ما يهدف الى محمود فهو محمود ، وحكمه حكم من يترنم بالغناء ليأنس وحشته ، ومثل غناء الام لطفلها كى يكف عن البكاء او يستسلم للنوم .

والحال كذلك فى الغناء الذى يشعل حماس المحاربين ويشجعهم عن التضحية والفداء من اجل الوطن فهو غناء مستحب

والانشاد الدينى الذى يرقق القلب ويذكر بالله تعالى وصفاته ويحث على اتيان الطاعة ، ويزهد فى الدنيا ،ويذكر بالاخرة فهو ايضا مباح .

والغناء فى المناسبات السارة كالاعياد والافراح ويوم عودة الغائب ، وغناء الحجيج ،وكل غناء ليس فيه فاحشة او اثارة شهوة ،او مجون ،او مخالفة لاداب الشرع ، فهو لهو مباح . شريطة الا يسرف الانسان فى ذلك .

ولاشك ان خاصة المؤمنين يتورعون عن الكثير من المباحات فلا يسرفون فى بعضها ،ويتركون البعض الاخر، مما يجدونه لا يتفق ووقارهم ، وشدة اقبالهم على الله وانصرافهم عن لهو الحياة الدنيا وزينتها ،وكما قال الغزالى فيما سبق حسنات الابرار سيئات المقربين .

أما الغناء فى مجالس السماع الصوفى ،لو لم يكن جائزا لما أباحه الامام الغزالى حجة الاسلام . ولما قال بحله وهو فقيه متشدد الى درجة كبيرة وقد هاجم الفلسفة وكفر الكثير من اقوال الفلاسفة[(١)].

غير ان ادعياء التصوف قد اساءوا الى السماع وجعلوه اقرب الى اللهو،لما ياتون به من الحركات المتكلفة ، مع عدم صدق الحال . مما اثار سخط المنكرين ، وقد رأينا هموم ابن القيم الجوزية وغيره على السماع الصوفى،ولا يزال السماع والاذكار التى يرددها اتباع الطرق الصوفية فى حلقاتهم وهم يتمايلون على انغام الدفوف والطبول موضع هجوم وانتقادات الكثيرين .

وقد رد الاستاذ الدكتور ابو الوفا الغنيمي التفتازانى على ذلك الهجوم[(٢)] بان الاجتماع على الذكر فى هيئة حلقات

---

(١) انظر، الغزالى ،تهافت الفلاسفة تحقيق د.سليمان دنيا (دار المعارف بمصر).

(٢) جاءفى جريدة التعاون ، العدد ٨٢٠ الصادر فى ١٢ شعبان ١٣٩٥ هـ / ١٩ اغسطس ١٩٧٥م . جدل بين الدكتور التفتازانى والشيخ محمد غازى حول التصوف ، نذكر ما جاء فيه بخصوص الذكر والسماع .

فجائز شرعا، لورود الاحاديث فى فضل اجتماع الذاكرين على الذكر وان للذكر فى جماعة طريقة شرعية معينة ، منها ان يكون النطق باسم "الله" او غيره من اسماء الله الحسنى كاملا غير منقوص ، وفى خشوع وتدبر .

وان فائدة الذكر ان يلين القلب حينما يشعر الانسان انه متوجه الى الله بالعبادة ،ويعتبر الذكر نافلة يتقرب بها الانسان الى ربه .

اما ما نشاهده فى بعض مجالس الذكر من عدم النطق باسم الله كاملا ،او التمايل الشديد والعنف ، فهذه امور دخيله على التصوف ، لم يعرفها الصوفية الكمل .

اما الانشاد فهو ايضا لاحداث الوجد بالنسبة للصوفى الذاكر ، ليرق قلبه بسماع كلام الصوفية ،او اشعارهم ، او ترديد بعض ادعية الرسول (ص) او قراءة بعض الاوراد التى ألفها كبار المشايخ العارفين ، طالما كانت موافقة لما ورد فى كتاب الله ، وسنة رسوله . اما ان يتحول الذكر الى رقص ، وتفتعل الحركات فيه افتعالا فهذا مخالف للشريعة .

وكذلك لا يجوز للنساء ان يحضرن مع الرجال فى مجالس الذكر ويجب ان تتطهر الموالد من كل ما يخالف الشرع (١).

والحق ان انشاد القصائد الدينية التى ترقق القلب وتشعل حب الله فى قلوب عشاقه اذا التزم فيها الحاضرون باداب السماع وتواجدوا فى غير تكلف والتزموا بالسكون والخشوع ، الا من كان منهم صادق الحال فيعبر عن وجده

---

(١) انظر جريدة التعاون ، العدد ٨٢٠ الصادر فى ١٩ اغسطس ١٩٧٥ .

دون ارادة منه او تكلف فلا حرج عليه . والاجدر به ان يتحكم في انفعالاته والا يظهر وجده ما استطاع .

وقد روى عن الشيخ ابوبكر الكتاني قال :" جرت مسألة بمكة ايام الموسم (اى ايام الحج) فى المحبة فتكلم الشيوخ وكان الجنيد رضى الله عنه اصغرهم فقالوا : هات ما عندك يا عراقى . فاطرق رأسه وذرفت عيناه ثم قال : عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم باداء حقوقه ناظر اليه بقلبه ، احرق قلبه ، نور هيبته ، وصفى شربه من كأس وده ، فانكشف له سر الجبار ،من استار غيبته . فان تكلم بالله . وان نطق فمن الله ،وان تحرك فبامر الله وان سكن فمع الله . فهو بالله ، ولله ، ومع الله . فبكى الشيوخ وقالوا . ما على هذا مزيد"(١).

ولا يحق لمن لم يخوض التجربة الصوفية ان ينكر على اهل التصوف رسومهم .

---

(١) انظر : محمد بن ابى الهدى المكنى بابى البركات، روض الاسماع فى احكام الذكر والسماع ،ص ٤٢وانظر ايضا :

Encyclopedia of Islam: Art (ALD Junaid) Arberry.

الخاتمة

يمكن ان نخلص من تلك الدراسة عن السماع الى النتائج التالية :

(١) للموسيقى والغناء والاصوات الجميلة تأثير على الانسان وكذلك الحيوان لا يمكن اغفاله او انكاره .

(٢) ان الانسان قد عرف الغناء والموسيقى منذ القدم فى صورة بداثية تطورت على مر العصور حتى صارت على ما هى عليه الان من تقدم قائم على اساس علمى وفنى .

(٣) لكل شعب من شعوب العالم غناء وموسيقى خاصة به متميزة تتفق وذوق افراده وهذا لا يمنع ان يطرب البعض لسماع موسيقى وغناء الشعوب الاخرى .

(٤) استخدما الموسيقى والغناء لاغراض متعددة وتنوعا بتنوع تلك الاغراض .

(٥) ان الموسيقى والغناء تعبيرا عما كمن فى النفس من مشاعر دفينة مختلفة مما يجعلها تطفوا على السطح فهما لا يأتيا بجديد وانما يبعثا ما هو كامن فى النفس فقط .

(٦) اتخذ الصوفية من الموسيقى والغناء وسيلة لاستحضار الوجد وتهيئة القلب وخشوعة . وقد إستخدمت الموسيقى لهذا الغرض فى دور العبادة منذ القدم .

(٧) ان استجابة الروح للنغمات والاصوات الحسنة وانفعالها الشديد بها ، وتنوع تلك الانفعالات بتنوع النغمات والعبارات سرا من اسرار الله حاول الصوفية والحكماء والعلماء تعليله .

(٨) يعقد الصوفية مجالس للسماع يتلى فيها القرآن الكريم او تنشد فيها الاناشيد الدينية ويتبعون فى ذلك رسوما وآدابا خاصة يلتزمون بها .

(٩) تختلف الاستجابات الانفعالية للسماع من مستمع الى آخر كل حسب حاله ودرجته ومقامه .

(١٠) يعتبر الصوفية ان سماع القرآن الكريم هو سماع الكمل من القوم ،وان سماع الالحان هو سماع المريد المبتدئ .

(١١) ينكر الصوفية على الادعياء والدخلاء الذين يدعون الوجد وياتون بالحركات المفتعلة المتكلفة ، ويرون ان التحكم فى النفس والامساك عن الاستجابات الانفعالية الشديدة من كمال الحال وعلو المقام .

(١٢) انكر فريق من علماء الدين السماع ومالوا الى تحريم الغناء .

(١٣) اجاز فريق اخر السماع ورأى ان لا حرمه فيه .

(١٤) ان اولئك وهؤلاء أولوا النصوص الدينية بما يناسب مع موقف كل منهما ،وكثيرا ما كان يستند كلا الفريقين الى نفس الدليل على صحة رأيه ويدعم به مذهبه بحيث ان كل منهما يفسره تفسيرا خاصا .

(١٥) ان الرسول (ص) قد سمع الجوارى يضربن بالدف وشاهد رقص الاحباش وسمح بالاحتفاء بالاعياد والمناسبات السارة والاعراس بالغناء واللهو الذى لا فاحشة فيه .

(١٦) ان جميع من اجازوا السماع اشترطوا الا يكون مبتذلا او مشتملا على ما يخالف الشرع .

(١٧) ان الغزالى انتهى الى ان السماع قد يكون حراما لمن غلبت عليهم شهوة الدنيا من الشباب الذى لا يحرك السماع منهم الا ما يغلب على قلوبهم من الصفات المذمومة . وقد يكون مكروها ، لمن ينزله على صورة المخلوقين الذين لا يحلوا له ، كذلك فهو مكروه لمن يتخذه عادة له فى اكثر الاوقات على سبيل اللهو ويسرف فى ذلك وقد يكون مباحا ، لمن لا حظ له منه الا الاستمتاع والتلذذ بالصوت الحسن . وقد يكون مستحبا ،لمن غلب عليه حب الله تعالى ، ولم يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة .

(١٨) ان سماع صوت المرأة الاجنبية فى الغناء مباح فيما يرى الغزالى اذا لم يؤدى سماعها الى فتنة . وكان لمجرد الترويح عن النفس والاستمتاع بالصوت الطيب .

قائمة المراجع العربيـــــة

القـرآن الكريم .

ابن الاثير : النهاية فى غريب الحديث والاثر ، طبع الحلبى ، القاهرة (ليس عليه تاريخ).

ابن حنبل (الامام احمد) : مسند ابن حنبل ، طبع دار المعارف القاهرة ، ١٩٥٨ .

ابن الجوزى البغدادى (الحافظ الامام عماد الدين ابو الفرج) صفوة الصفوة ، حيداباد ، ١٣٥٥ هـ .

ــــــــــ تلبيس ابليس ، الطبعة الثانية ، دار الطباعة المنبرية ، القاهرة (ليس عليه تاريخ).

ابن خلدون ، المقدمة تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافـــى الجزء الرابع ، الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ / ١٩٦٢ م .

ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢ ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .

ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخـــــارى، القاهرة ١٣٤٨ هـ .

ــــــــــ : التقريب ، القاهرة (ليس عليه تاريخ)

ابن حجر الهيثمى : كف الرعاع عن محرمات اللهو والسمـــاع، القاهرة ،(ليس عليه تاريخ) .

ابن حزم : الاخلاق والسياسة ،تحقيق صلاح الدين بسيونى رسلان ، القاهرة ١٩٨٥ .

ابن سينا : جوامع علم الموسيقى ، تحقيق زكريا يوسف مراجعة د. حفنى محمود و د. احمد فؤاد الاهوانى ، القاهرة ١٩٥٦ .

________ : الاشارات والتنبيهات ، الجزء الرابع ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٥ .

________ : رسالة كلمات الصوفية ، مخطوط بدار الكتب المصرية ٢٠٠ مجاميع .

________ : رسالة فى ماهية الصلاة ، نشرها مهرن ضمن مجموعة الرسائل الصوفية لابن سينا (ليدن ١٨٨٩ م) .

ابن العماد : شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥١ هـ .

ابن القيم الجوزية : اغاثة اللهفان ، طبع القاهرة بدون تاريخ .

________ : مدارج السالكين ، تحقيق محمد رشيد رضا ، طبعة اولى ، القاهرة ١٣٣١ هـ .

________ : حكم الاسلام فى الغناء ، فصل من اغاثة اللهفان ،تحقيق ابوحذيفة ابراهيم بن محمد ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٦م ، ١٤٠٦ هـ. مكتبة الصحابة ، طنطا .

ابن كثير : البداية والنهاية ، طبعة بيروت ، ١٩٧٧ .

——— : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق عبد العزيز غنيم واخرون ، مطبعة الشعب (ليس عليه تاريخ) .

ابن عربى (محيى الدين) : النجاة رسالة خطية بجامعة القاهرة رقم ٢١٧١٦، تصوف واخلاق .

——— : مواقع النجوم ومطالعة اهله الاسرار والعلوم طبعة اولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .

——— : شمس الطريقة فى بيان الشريعة والحقيقة ، مخطوط بالمكتبة الازهرية يحمل رقم ١٢٧٢ خاص ، ٤٣٠١٠ عام آداب شرعية .

——— : آداب الشيخ والمريد ، مخطوطة بالمكتبة الازهرية تحت رقم ١٠٧٠١ خاص ، ٣٣٥٨٠ عام مجاميع حليم .

ابن ماجه : سنن ابن ماجة ، تحقيق الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، القاهرة ١٩٥٣ .

ابو البركات (محمد ابو الهدى الصيادى) : روض الاسماع فى احكام الذكر والسماع ، القاهرة ١٩٠٣ .

ابوبكر جابر الجزائرى : حكم الاسلام فى الغناء ، القاهرة ، مكتبة القرآن .

ابو قاسم الدرامى : تحريم البراغ ، طبع القاهرة ،(ليس عليه تاريخ) .

ابو عمر بن الصلاح : الاجماع على تحريم السماع ، مخطوط بالمكتبة الازهرية .

ابو داود : سنن ابو داود ،تحقيق محمد محيى الدين ،المكتبة التجارية ، القاهرة (ليس عليه تاريخ) .

ابوفرج الاصفهانى : كتاب الاغانى ، طبعة بولاق ، القاهرة .

أحمد فؤاد الاهوانى (دكتور) الكندى فيلسوف العرب ، القاهرة (ليس عليه تاريخ) .

اخوان الصفا : رسائل اخوان الصفا ، الرسالة الخامسة ، طبع القاهرة .

ابو الوفا الغنيمى التفتازانى (دكتور) ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه ، الطبعة الثانية مكتبة الانجلو ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

ـــــــــــــ : مدخل الى التصوف الاسلامى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦ .

الترمذى : صحيح الترمذى ، المطبعة المصرية ١٩٣١ .

التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، الهيئة العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٧٥

الجرجانى (على بن محمدعلى السيد) : التعريفات ،القاهرة ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م ٠

حسين مجيب المصرى (دكتور) : فارسيات وتركيات ، القاهرة ١٩٤٨ ٠

———— : صلات بين العرب و الفرس و الترك ،القاهرة ١٩٦٩

الحفنى (دكتور محمود احمد) : رسالة الكندى فى خبر صناعة التأليف ، نشرها بالاشتراك مع الدكتور/ روبرت لخمان ،فى ليبزج ١٩٣١ مع ترجمة الى اللغة الالمانية ٠

———— : فى اجزاء خبرية فى الموسيقى فى سلسلة تراثنا الموسيقى، القاهرة ١٩٥٩ ٠

زكريا يوسف (الاستاذ) : موسيقى الجندى ،بحث صغير ،بغداد ١٩٦٢ ٠

———— : مؤلفات الكندى الموسيقية ،بغداد ١٩٦٢٠

الزبيدى : اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين ، القاهرة ١٢٠١ هـ ٠

زكى مبارك (دكتور) : التصوف الاسلامى فى الاداب و الاخلاق، القاهرة ،مطبعة الرسالة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م٠

زكريا الانصارى : شرح الرسالة القشيرية على هامش الرسالة القشيرية ،مطبعة صبيح ١٣٦٧ هـ / ١٩٥٧م٠

السخاوى : المقاصد الحسنة ،مكتبة الخانجى ، ١٩٥٦ .

السلمى : (ابوعبدالرحمن) الطبقات الصوفية ، مكتبة الخانجى ، يسره ورتبه احمد الشرباصى القاهرة ١٩٦٩ .

السبكى : (تاج الدين) طبقات الشافعية ،المطبعة الحسينة ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .

سهام عبد المجيد (الاستاذة) : المعرفة عند محيى الدين بن عربى رسالة ماجستير ،تحت اشراف الدكتورة/ فوقية حسن محمود .

السهروردى : (ابو النجيب البغدادى) آداب المريدين تحقيق فهيم شلتوت ، القاهرة (ليس عليها تاريخ الطبع) .

———— : عوارف المعارف ، على هامش احياء علوم الدين للغزالى، الجزء الثانى،القاهرة ١٣٣٤هـ .

شوقى ضيف (دكتور) : الشعر الغنائى فى مكه ، القاهرة ١٩٤٥ .

———— : الشعر الغنائى فى المدينة ،القاهرة ١٩٤٤ .

صلاح الدين بسيونى (دكتور) : الاخلاق والسياسة عند ابن حزم الناشر مكتبة الشرق،جامعة القاهرة ١٩٨٥ .

الطوسى :"ابونصر السراج" . اللمع تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبدالباقى سرور ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٠ .

عبد السلام محمد هارون : الالف المختارة من صحيح البخاري
الجزء الاول والثاني ، مكتبة الخانجي
القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

عبد الوهاب الشعراني : كشف القناع عن وجه السماع ، مخطوط
بالمكتبة الازهرية رقم (٩١٧) حليم
٣٣٤٤٤ تصوف .

ـــــــــــ : الطبقات الكبرى ، القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

عبد الغني النابلسي : ايضاح الدلالات في سماع الالات ، طبع
دمشق .

علي بن علي بن محمد بن ابي العز : شرح الطحاويه في
العقيدة السلفية ، بيروت ١٤٠٤ هـ .

علي بن محمد المصري : كشف القناع عن وجه الفاظ شبه السماع
مخطوط بالمكتبة الازهرية رقم ٩٦٦ حليم
٣٣٦٠٠ تصوف .

الغزالي (ابوحامد) : احياء علوم الدين ، تقديم دكتور/ بدوي
طبانه ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ،
القاهرة .

ـــــــــــ : الرسالة اللدنية ، مكتبة الجندي ، القاهرة
بدون تاريخ .

ـــــــــــ : معارج القدس ، المكتبة التجارية الكبرى
القاهرة بدون تاريخ .

الغزالى (ابوحامد) : تهافت الفلاسفة ،تحقيق الدكتور سليمان دنيا ،دار المعارف مصر ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦ م٠

فارمر : تاريخ الموسيقى العربية ،ترجمة الدكتور/ حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٦ ٠

القسطلانى : ارشاد السارى بشرح صحيح البخارى ، المطبعة الميمنية ، القاهرة ٠

القشيرى : (ابو القاسم عبد الكريم) ، الرسالة القشيرية ،تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، ومحمود الشريف القاهرة ،دار الكتب الحديثة (ليس عليها تاريخ طبع)٠

______ : الرسالة القشيرية ،مطبعة محمد على صبيح، القاهرة بدون تاريخ ٠

القرطبى : تفسير القرآن ،طبعة دار الشعب ،بدون تاريخ ٠

الكلبازى : (ابوبكر محمد) التعرف لمذهب اهل التصوف الطبعة الثانية ،تحقيق محمد امين النواوى القاهرة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ٠

كوكب عامر (دكتوره) الامام عبد الوهاب الشعرانى وتصوفه رسالة ماجستير تحت اشراف الدكتورة/ فوقية حسين محمود ، ١٩٧٥ ٠

______ : التصوف عند ابن سينا (رسالة دكتوراه) تحت اشراف الدكتورة/ فوقية حسين محمود، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م ٠

الكنـــدى : المصوتات الوترية ، القاهرة (بدون تاريخ).

مسلـــم : صحيح مسلم ، طبعة الحلبى ، ١٣٠٤ هـ .

محمدبن طاهرالقيسرانى : السماع ،لجنة احياء التـــراث
بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهـرة
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

محمدفؤادعبدالباقى : المعجم المفهرس لالفاظ القـــرآن ،
القاهرة ١٩٨٧ .

منصور على ناصف التاج الجامع للاصول فى احاديث الرســول
مطبعة الحلبى ، القاهرة (بدون تاريخ) .

النويـــرى : نهاية الارب ، الجزء الرابع ، القاهرة ١٩٣٥ م.

النـــووى (ابوزكريا يحيى بن شرف) رياض الصالحين ،تحقيق
عبدالفتاح رباح واحمد الدقاق ، الطبعـــة
الثانية ، دار المأمون للتراث ،بغداد.

النسائـــى : سنن النسائى ، طبعة الحلبى ، القاهرة ،(ليـس
عليها تاريخ) .

يوسف مراد (دكتور) : مبادئ علم النفس العام ، الطبعـــة
الرابعة ،دار المعارف بمصر ١٩٦٢.

المراجع الاجنبيــــة

(١) An early Mystic of Baghdad by Margaret Smith. M.A., P.H.D. (London, 1935).

(٢) Encyclopedia of Islam. Art "Al Ghazali" by Macdonald.

(٣) History of Arabic Music by Farmer (London, 1936). ترجمه الى العربية د.حسين نصار سنة ١٩٥٦ .

(٤) Mysticism: A study in the nature and development of man's spiritual consciousness. by Underhill Eoelyn (London, 1949).

(٥) The Varieties of Religious Experience by James (W) (New York, 1932).

(٦) L'Empire des Sassandies: Christensen (Kovenhovn, 1907).

(٧) Psychologie du Mysticisme Religieux Tradication Francaise, Par Lncien Herr, 1925.

(٨) Les problémes de la vie mystique Bastide (Paris, 1931).